

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر - بسكرة -
كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

بلاغة الحجّة في خطاب الخلفاء الرّاشدين - دراسة وصفية لنماذج خطّابية -

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية تخصص علوم اللسان العربي

إشراف الدكتور:

- صلاح الدين ملاوي

إعداد الطالبة:

- هناء حلاسة

لجنة المناقشة

الرقم	اللقب و الاسم	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	لحلوحي صالح	أستاذ محاضر"أ"	بسكرة	رئيسا
02	ملاوي صلاح الدين	أستاذ محاضر"أ"	بسكرة	مشرفا ومقررا
03	سناني سناني	أستاذ محاضر"أ"	بسكرة	عضوا مناقشا
04	دفة بلقاسم	أستاذ	باتنة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2013 - 2014 م / 1434 - 1435 هـ

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ

إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ

فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ

﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

مقدمة

تهتم النظريات اللغوية الحديثة بدراسة الحجاج في مرحلة محدّدة من مراحل التّداول، يعتمد فيها المرسل إلى إقامة الحجّة وبنائها وفق وسائل لغوية ، مهما اختلفت طبيعة المواقف وتعددت أنماط الخطابات التي يتواصل بها مع مرسل إليه ، قد يكون مخالفا له في الرأي ، أو شاكا في مصداقية المعرفة المنقولة إليه ، أو جاهلا لحيثيات الموضوع الذي يبني على أساسه الخطاب ، ولكنّ المرسل قد يتعدى هذا المستوى ؛ أي مستوى بناء الحجّة إلى مستوى بلاغة الحجّة ، إذا كان خطيبا يروم أعلى مراتب الحجاج ، إذ تقع على عاتقه مسؤولية التأثير في متلق محدد وفق خطاب وظيفته الأولى الإقناع ، ودعائمه الأدلة و البراهين، يتعيّن على المحلّل اللساني رصدها، وإنفاذ النظر في كيفية استعمالها .

و لعل موضوع هذه المذكرة يتنزّل في هذا السياق؛ فهو يستتفد الجهد في سبيل الوقوف على "بلاغة الحجّة في خطاب الخلفاء الراشدين " من خلال دراسة نماذج خطابية محدّدة؛ سعيا إلى إثبات أنّ البنى الحجاجية في الخطاب الأدبي لا تكتفي بقوانين البناء، وإنما تقتضي بدورها ظواهر فنية تؤسس بلاغتها ، لكنّ هذا الإثبات لا يتحقق إلا من خلال جنس أدبيّ تمثل فيه تلك القوانين البنائية و الظواهر الفنية دعائمه الهيكلية ، فكان جنس الخطابة النمط الخطابية الذي تتحقق من خلاله المعالم المنشودة ، لأنه خطاب يقوم على المنطق والخيال ، ويخاطب العقل دون أن يقصي الوجدان.

و لا جرم أنّ حصر الدراسة في نماذج محدّدة من خطاب الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) يبرره أنّ هذه الخطب لا تتجاوز المستوى البلاغي دون أن تستقي منه الظواهر الفنية التي تسهم في بلورة بلاغتها، فضلا عن استيفائها قوانين البناء في تشكيل بنياتها الوظيفية.

بناء على ما سبق بيانه، تطرح الإشكالات الآتية:

- ما الأسس الحجاجية التي اقتضاها خطاب الخلفاء الراشدين في إقامة الحجّة ؟
- كيف عملت قواعد البناء على إرساء البنى الحجاجية في خطاب الخلفاء الراشدين ؟
- كيف أسهمت الظواهر الفنية في بلورة بلاغة الحجّة في خطاباتهم؟

تحقيقاً لهذه الغاية المأمومة، سيق البحث طباقاً لخطة مرسومة في: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وإليك بيانها:

- مقدمة؛

- الفصل الأول: المفاهيم الأوليّة و المعالم النظرية للمصطلحات البنائية؛

أولاً / الحجة و الحجاج

ثانياً / الخطاب الحجاجي

ثالثاً / فن الخطابة

- الفصل الثاني: بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين؛

أولاً / بلاغة الاستدلال بالتّقابل من خلال الاستلزام الحواري

ثانياً / بلاغة الاستدلال بالعكس والنّقض من خلال أفعال الكلام

- الفصل الثالث: بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين؛

أولاً / بلاغة الاستدلال بالقياس من خلال أفعال الكلام

ثانياً / بلاغة الاستدلال بالاستقراء من خلال الاستلزام الحواري

- خاتمة.

عقد الفصل الأول ، وهو فصل نظري، للتعريف بالمصطلحات التي بني على أساسها موضوع البحث ، لذلك قسم هذا الفصل بعد وسمه بـ " المفاهيم الأوليّة و المعالم النظرية للمصطلحات البنائية " إلى ثلاثة أقسام، يتكفل كل واحد منها على الترتيب بـ : الحجة والحجاج ، فالخطاب الحجاجي ، فنّ الخطابة .

و قد سيق الفصل الثاني بعنوان " بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين " ، على أنّ المعارف المتوصل إليها ، تفيد بأنّ الحجاج وفق خطاب أدبي يعتمد على مستوى بلاغي يستدعي ضمناً مستوى بنائياً استدعاء متزامناً، لذلك استدعى منهج التحليل قبل دراسة المستوى البلاغي ، دراسة المستوى البنائي الذي يضبط ما يسمى بـ " البنى المنطقية المباشرة " ، وبالتالي شملت عملية التّحليل البنى القائمة على قواعد التّقابل وقوانين العكس والنّقض حسب ما يلي :

أولاً/ بلاغة الاستدلال بالتّقابل من خلال الاستلزام الحواري:

- تمهيد (التّعريف بالتّقابل)

- I- منطق التّداخل وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
 II - منطق التّناقض وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب
 III- منطق الدّخول تحت التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب عثمان بن عفّان
 IV- منطق التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب
 ثانيا/ بلاغة الاستدلال بالعكس والنّقض من خلال أفعال الكلام:

- تمهيد (التّعريف بالعكس والنّقض)

- I- منطق العكس المستوي وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
 II- منطق نقض المحمول وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب
 أمّا الفصل الثّالث، فتشتمّ عنايته بالبنى المنطقيّة غير المباشرة، و من خلاله تم ضبط
 البنى القائمة على صور القياس وأصناف الاستقراء وفق الآتي :

أولاً/ بلاغة الاستدلال بالقياس من خلال أفعال الكلام:

- تمهيد (التّعريف بالقياس)

- I- منطق القياس الحلمي وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
 II- منطق القياس المضمر وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب
 III- منطق القياس الشّرطي وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب
 ثانيا/ بلاغة الاستدلال بالاستقراء من خلال الاستلزام الحوارية:

- تمهيد (التّعريف بالاستقراء)

- I- منطق الاستقراء التّام وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
 II- منطق الاستقراء النّاقص وأبعاده التّداوليّة :

1- في خطاب عمر بن الخطّاب

2- في خطاب عثمان بن عفّان

- III - منطق الاستقراء وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب:

1- منطق الاستقراء التّام

2- منطق الاستقراء النّاقص

و إذا كان تحديد البنى المنطقية بشقيها المباشر وغير المباشر قد تمّ بناء على ما هو وارد في النماذج الخطابية محلّ الدراسة ، فإنّ الظواهر البلاغية قد تمّ تحديدها إجرائياً بناء على ما اقتضته مضامين البنى المضبوطة سلفاً من خلال تحليل منهجي يعزى إلى كلّ من نظريتي الاستلزام الحواري والأفعال الكلامية.

و لأجل بسط القول في هذه الفصول، كان لزاماً توظيف المنهج التداولي، الذي يتكفل ببيان أبعاد اللغة و أهداف الخطاب في سياقات وظيفية متباينة.

و حري بالبيان أيضاً، أنّ البحث قد استقى مادته من مصادر ومراجع شتى، تتوعت بين ما هو تراثي، وما هو معاصر، لعل أوفرها حظاً في التوجيه المصنفات الآتية:

- التعريفات للجرجاني؛
- تاريخ الخلفاء للسيوطي؛
- البيان والتبيين للجاحظ؛
- البداية والنهاية لابن كثير؛
- تاريخ الأمم والملوك للطبري؛
- نهج البلاغة للشّريف الرّضي؛
- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني؛
- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي لطفه عبد الرحمن؛
- المنطق ومناهج البحث لماهر عبد القادر محمد علي؛
- إستراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية - لعبد الهادي بن ظافر الشهري .

ختاماً، لا يكون الحمد إلاّ لله عزّ وجلّ. أمّا الشّكر والامتنان والعرفان، فلاستاذي الفاضل الدّكتور صلاح الدّين ملاوي ، ولكلّ من قدّم لي النّصح والإرشاد والتّوجيه والمساعدة.

و ما توفّيقني إلاّ بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل الأول:

المفاهيم الأوليّة والمعالم النظريّة للمصطلحات البنائيّة

أولاً/ الحجّة والحجاج :

I- الحجّة

II- الحجاج

ثانيًا/ الخطاب الحجاجي :

I- مفهوم الخطاب وأنماطه

II- أسس الخطاب الحجاجي وخصائصه

ثالثاً/ فنّ الخطابة :

I- مفهوم الخطابة ونشأتها

II- هيكل الخطابة وأنواعها

III- أغراض خطابة الخلفاء الراشدين وخصائصها

أولاً / الحجة والحجاج:

I- الحجة:

1- مفهوم الحجة لغة و اصطلاحاً:

ورد في لسان العرب الحجة: الدليل والبرهان¹، وكذلك في المعجم العربي الأساسي، حيث جاء فيه، الحجة جمعها حجج وحجاج، بمعنى الدليل والبرهان، فالبرهان مصدر برهن يبرهن والجمع براهين: الحجة البينة الفاصلة، (...) وفي الرياضيات: ما يثبت قضية من مقدمات مسلم بها، والدليل: ما استدل به؛ استدل يستدل استدلالاً: انتقال الذهن من أمر معلوم إلى أمر مجهول، واستدل على الشيء: تعرف وتوصل إلى حقيقته، واستدل بالشيء على الشيء: اتخذ دليلاً عليه، والدليل مصدر دل يدل والجمع أدلة: دل فلان الشخص على الشيء أي أرشده وهداه إليه². كما أثبت صاحب "كتاب التعريفات" أن الحجة والدليل واحد، وهما ما دل به على صحة الدعوى³.

على حين يرى المناطق أن مصطلح "الدليل" (La preuve) يكون مرادفاً لكل من مصطلحي "الحجة" (L'argument) و"البرهان" (La démonstration) - في غالب الأحيان - على أساس أنه سبيل عقلي إقناعي شامل، لا يستمد قوته إلا من إعمال الفكر⁴.

لكن "الحجة" من دون "الدليل" تختص بصفتين هما:

أ- إفادة القصد⁵: لأن الحجة مشتقة من الفعل "حج"، ومعنى هذا الفعل كما ورد في المعاجم اللغوية هو "القصد"⁶، فسميت الحجة حجة؛ لأنها تحج أي تقصد؛ فالقصد لها وإليها⁷.

¹ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1997 م، مادة (حجج)، 28/2.

² المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، توزيع لاروس، 1989 م، ص291، 292.

³ الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، د. تح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005 م، ص60.

⁴ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1998 م، ص132؛ جبور عبد النور، سهيل إدريس، المنهل - قاموس فرنسي عربي -، دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1977 م، ص67، 309، 824.

⁵ طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص137.

⁶ المعجم العربي الأساسي، ص291.

⁷ ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجج)، 28/2.

وقد وضع "أبو الهلال العسكري" (ت400هـ) صفة "إفادة القصد" في كتابه "الفروق" بشرح أدق، حيث قال: "الحجة هي الاستقامة في النظر والمضي فيه على سنن مستقيم من رد الفرع إلى الأصل، وهي مأخوذة من المحجة وهي الطريق المستقيم (...). حج يحج، إذا استقام في قصده"¹.

ب- **إفادة الغلبة**²: وذلك أن الفعل "حج" يدل أيضا على معنى "غلب"؛ حج فلان فلانا أي غلبه بالحجة³؛ فيكون في هذه الحالة مدلول الفعل إلزام الغير بالحجة، فيصير بذلك مغلوبا، ويرجع "أبو هلال العسكري" تأثير الحجة في النفس - أي إفادة الغلبة - إلى صفة الاستقامة في القصد⁴؛ أي عدم انتهاج مسالك ملتوية أثناء عملية الإقناع؛ وفي حالة انتهاج المتكلم هذه المسالك يسمى دليله "المغالطة"⁵.

أما "البرهان" فمن خصائصه ما يأتي⁶:

أ- **التواطؤ**: حيث يحرص صاحب البرهان أي المتكلم على أن تكون الألفاظ التي يستعملها، والقواعد التي يصوغها خالية من كل آثار اللبس الدلالي، حتى تكون الألفاظ دالة على معانيها بوجه واحد لا ثاني له؛ وهذه الدلالة الواحدة أو الإفادة الواحدة هي ما اصطلح عليه بلفظ "التواطؤ".

ب- **الصورية**: إذ لا يستقيم الدليل على أصول البرهان إلا إذا كان بالإمكان رده إلى جملة من الصيغ والتراكيب؛ أو إلى جملة من الصور الكتابية التي تستعني بشكلها وترتيبها عن اعتبار المضمون الدلالي للألفاظ والعبارات التي استبدلت بها هذه الصيغ والتراكيب.

ج- **القطعية**: لما انبنى البرهان على التواطؤ، والصورية، أقر الحكماء أن النتائج التي يتوصل إليها البرهان تفيد القطع، وقد شاع في الاستعمال أن القطع مرادف لليقين، وبالتالي

¹ - أبو هلال العسكري ، كتاب الفروق، تقديم وضبط وتعليق وفهرسة: أحمد سليم الحمصي، دار جروس برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1994م، ص74، 75.

² - طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص137.

³ - ابن منظور، لسان العرب ، مادة (حجج)، 28/2.

⁴ - أبو هلال العسكري ، كتاب الفروق، ص75.

⁵ - ينظر: محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1970م، ص106، 107.

⁶ - طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص137، 138.

يكون البرهان مفيداً لليقين، وفي ذلك يقول "أبو الهلال العسكري": "دلالة البرهان هي الشهادة للمقالة بالصحة"¹، ويقول في موضع آخر من كتابه: "البرهان لا يكون إلا قولاً يشهد بصحة الشيء"².

د- الاستقلال: فالبرهان لا يتعلق بالمجال الذي استعمل فيه، وإن كان هذا المجال هو الأصل في النهوض به؛ لأن البرهنة تقع بطريقة مجردة في استقلال عن كل السياقات الخارجية وما يترتب عليها، عدا سياق النظام (السياق اللغوي)³.

وعلى اعتبار أن "قوام البرهان مقدمات أولية صادقة [يديهيات أو مسلمات]، وسابقة على النتيجة، وأبين منها"⁴؛ فإن المقدمات ونتائجها تفرض شكلاً سوريا يتواطأ مع المضمون الدلالي (الفكرة) وفق أسس منطقية تؤدي إلى حتمية الإثبات؛ أي إلى القطع بصحة ما استدعى البرهان؛ لأنها أسس (الأسس المنطقية) مستقلة عن كل تأثير خارجي.

بناء على ما سبق، يتضح أن "الحجة" أعم من "البرهان"، إذ قد يعتمد على البرهان في إقامة الحجة، إلا أن "الدليل" أعم منهما؛ لأنه لا يقصد للعمل به فحسب، بل قد يوضع لمجرد النظر فيه؛ كما لا يؤتى به في موطن الرد على الخصم فقط، بل قد يبني في موطن مستقل عن أية خصومة، إضافة إلى كونه يشتمل أصنافاً من المعطيات قد تدل ألفاظها على المعاني بضرب من ضروب الالتباس الدلالي، كما قد لا يحتاج - بناء على هذه المعطيات - إلى ضرورة الجزم (القطع)، نظراً لما لها من روابط بمقامات الكلام⁵.

وعليه، "الحجة" (L'argument) في اصطلاح المناطقة هي الدليل الذي يقصد، أو الذي يجب الرجوع إليه للعمل به من أجل تحصيل الغلبة على الخصم⁶.

¹ - أبو هلال العسكري، كتاب الفروق، ص 75.

² - نفسه، ص 76.

³ - ينظر: صابر الحباشة، التداولية و الحجاج - مداخل و نصوص -، صفحات الدراسات و النشر، دمشق، سورية، ط 1، 2008 م، ص 69.

⁴ - ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم - المنطق الاستقرائي -، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1984، 25/1.

⁵ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 137، 138.

⁶ - نفسه، ص 137.

2- أقسام الحجّة:

بناء على المعنى اللغوي و المفهوم الاصطلاحي، اتّضح أنّ عملية تشكيل الدليل أو توظيفه في كلام ما تسمى: "استدلالات"؛ والاستدلال: "طلب معرفة الشيء من جهة غيرهِ"¹، وتعبير أدق هو طلب الدليل سواء أكان برهاناً أم حجة².

وإذا كانت الحجّة هي ما يستدل به على صحة رأي ما، فإن المتكلم قد يطلب هذه الحجّة من جهة المنطق، كما قد يطلبها من جهة أبنية لغوية تحمل في كنهها (ذاتها) دليل حجبتها، ويحدث أن تطلب من الجهتين، فأما الحالة الأولى فيصطلح عليها بـ "الاستدلال المنطقي"، أما الحالة الثانية فيصطلح عليها "الاستدلال بالشواهد"، وما يأتي يوضح الفرق بين الحالتين:

أ- **الاستدلال المنطقي**: هو طلب الدليل/الحجّة من جهة المنطق³، ويقسم إلى مباشر وغير مباشر:

- **الاستدلال المنطقي المباشر**: هو استنتاج قضية من قضية أخرى - سواء أكانت عملية أم شرطية - دون توسط قضية ثالثة⁴؛ أي الوصول إلى نتيجة من قضية واحدة (مقدمة)⁵، ويتحقق ذلك وفق "قوانين العكس والنقض" و"قواعد التقابل بين القضايا"، وهذه القواعد هي: التضاد، و التناقض، و التداخل، و الدخول تحت التضاد⁶.

- **الاستدلال المنطقي غير المباشر**: هو استنتاج قضية (نتيجة) من قضيتين أو أكثر (مقدمات)، فإن تم استنتاج قضية من قضيتين يسمى الاستدلال "قياساً"، وإن تم الاستنتاج من أكثر من قضيتين يسمى الاستدلال "استقراء"، والقياس إما "حملي" وإما "مضمّر" وإما "شرطي"، وأما الاستقراء فيكون "تاماً" أو "ناقصاً"⁷.

¹ - أبو هلال العسكري ، كتاب الفروق، ص79.

² - طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص131.

³ - ينظر: محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي ، ص21، 22.

⁴ - محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص20.

⁵ - محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص79.

⁶ - ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1985، ص55.

⁷ - محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي، ص20 ، 21.

ب- الاستدلال بالشواهد: هو طلب الدليل من جهة الشاهد، والشاهد دليل يتميز بكونه يدل على أمر حاضر؛ أو مائل يتوسل به إلى غيره، ليظهر ما كان خفياً منه إما لإثباته وتأكيد، وإما لإفساد نتائج أدلة الخصم من خلاله¹؛ أو هو العينات التي تمثل مدلول اللفظ (الدليل) وخصائصه أحسن تمثيل، إذا ليس في الإمكان إدراك الدليل إلا بواسطة نماذج تستحضرها الذاكرة²، بناء على مقتضيات المقام، وبناء على ما تعارف عليه المحيط الاجتماعي، وعليه تكون النصوص المقدسة من قرآن كريم وحديث نبوي شريف في الثقافة الإسلامية، والأقوال المأثورة من أمثال وحكم، والحقائق التاريخية من أحداث واقعية ماضية وحاضرة، أدلة اصطلح عليها العلماء المحدثون بـ "الحجج الخطابية"³.

وما تجدر الإشارة إليه، هو أن "أرسطو طاليس" (Aristoteles / 384 - 322 ق.م)⁴ في كتابه "الخطابة" (Rhetorica) طرح تقسيماً مشابهاً لهذا التقسيم المنهجي بقوله: "أما التصديقات فمنها بصناعة، ومنها بغير صناعة، وقد أعني باللاتي بغير صناعة تلك اللاتي ليست تكون بحيلة منا، لكن بأمور متقدمة؛ كمثل الشهود (...)، وأما اللاتي بصناعة فما أمكن إعداده وتثبيته على ما ينبغي بالحيلة وبأنفسنا"⁵.

وعليه فإن الحجج عند "أرسطو" تقسم إلى "حجج غير صناعية" وهي الأقوال الجاهزة التي يوفرها المقام العام للكلام، و"حجج صناعية" وهي ما يتم استكشافها بناء على أعمال العقل من جهة، ومراعاة القضايا والمؤثرات النفسية من جهة أخرى⁶، ويقضي ذلك تقسيمها

¹ - طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص135.

² - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء، المغرب، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2000م، ص101.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية - ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ، لبنان ، دار أوبا للطباعة و النشر و التوزيع ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، 2004 م ، ص 537 - 540 ؛ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه - دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أريد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2008م، ص242، 270، 287.

⁴ - المنجد في اللغة و الأعلام ، دار المشرق ، المكتبة الشرقية للتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة المنوية الأولى، 2008 م ، 38 / 2.

⁵ - أرسطو طاليس ، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ط، 1979م، ص09.

⁶ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر - ، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت ، لبنان ، دار أوبا للطباعة و النشر و التوزيع ، طرابلس ، ليبيا ، ط1 ، 2008 م ، ص47.

إلى: حجج صناعية "منها ما يكون بكيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة السامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت"¹.

على أن الفرعين الأول والثاني من هذه الحجج، يختصان بالجانبين الأخلاقي (أخلاق الخطيب)، والانفعالي (انفعال السامع)، أما الفرع الثالث فيختص بالجانب العقلي (الاستدلال المنطقي)²، إلا أن ما يؤخذ على "أرسطو" في تقسيمه الحجة الصناعية، هو الفصل بين ما هو عقلي وما هو نفسي، في حين أن الفصل قد يكون مستحيلا، لأن توظيف الحجج المنطقية لا يتم بمعزل عن الجوانب النفسية والشعورية، كما لا يمكن لها أن تتحقق إلا وفق أساليب لغوية قد تكون بلاغية فيما لو كان الكلام فنيا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن اعتبار "أرسطو" "الحيلة" أو ما يسمى "بالحجة السفسطائية" من بين أصناف الحجة الصناعية فيه نظر، وذلك أن علماء المنطق لا يعتبرون السفسطة حجة؛ لأن الحجة من صفاتها الاستقامة، وبالتالي يعتبرونها دليلا قائما بذاته يسمى "المغالطة" أو "الأغاليط"³، ويعرف "الجرجاني" هذا الصنف من الأدلة بأنه⁴: قياس فاسد، يكون "سفسطة" إذا كان قياسا مركبا من مقدمات شبيهة بالحق، ولكنها ليست حقا (مسلمات خاطئة)، ويكون "مشاغبة" إذا كان قياسا مركبا من مقدمات شبيهة بالمشهورة (مسلمات احتمالية ظنية).

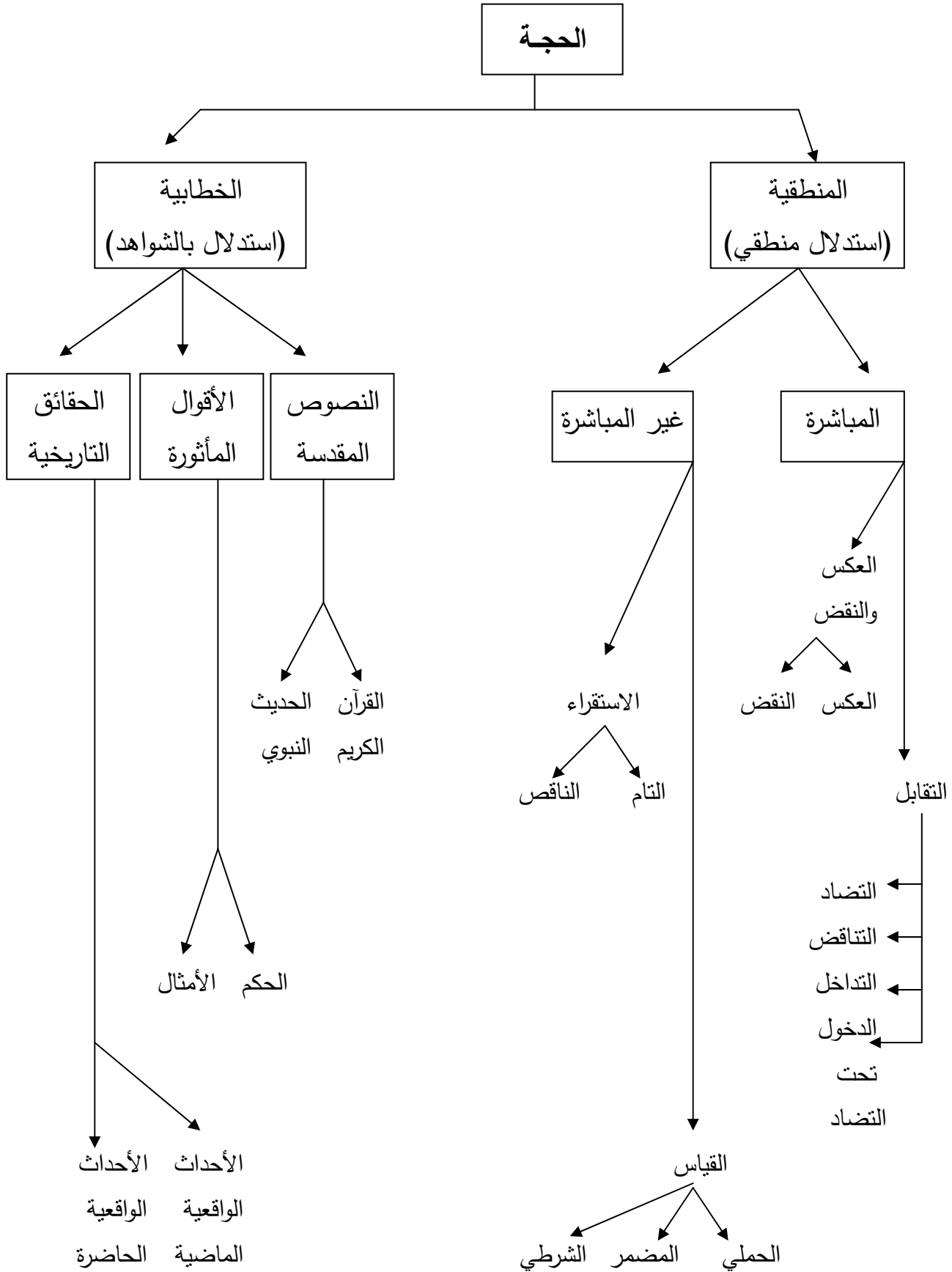
بناء على ما قيل، يمكن استنتاج مخطط عام يلخص أقسام الحجة حسب الآتي:

¹ - أرسطو طاليس ، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، ص10.

² - جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، 2000 م ، ص108 ، 109.

³ - محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص106 ، 107.

⁴ - الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص154 ، 155.



II- الحجاج:

1- مفهوم الحجاج وملامحه:

إذا كانت المعاجم اللغوية ترى بأن "الحجاج" جمع "الحجة"¹، فإن "الحجاج" (L'argumentation) في الدراسات اللغوية الحديثة، نظرية تؤطرها قواعد وقوانين تضطلع بتحديد وظائف التقنيات اللغوية التي تحمل المتلقي على الاقتناع بما يعرض عليه، أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع².

وقد تم التأسيس لهذا التوجه الحديث سنة 1958م، بصدور كتاب "مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة" (Traité de l'argumentation: la nouvelle rhétorique)، لكل من "شيم بيرلمان (Ch.Perlman)" و"أولبريشت تيتيكا (O.tyteca)"³.

وتستمد هذه النظرية آلياتها الإجرائية من المفهوم العام للحجاج، فهو طريقة تحليل واستدلال في كلام ما، بقصد تقديم مسوغات مقبولة للتأثير في الاعتقاد والسلوك⁴، والحمل على الإذعان بشكل يدفع إلى العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو التهيؤ للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة⁵، وهذا يقتضي استراتيجية لغوية تكتسب بعدها المعرفي من الأطراف الرئيسية في العملية التواصلية، إذ لابد لمتكلم أن ينقل تصورات ومدرجاته إلى مستمع بقصد الإبلاغ والإخبار مع حتمية الإقناع، بناء على مراعاة الظروف المقامية⁶. على هذا الأساس رأى الدارسون المحدثون أن الحجاج يتميز بخمسة ملامح هي⁷:

¹ - ابن منظور، لسان العرب ، مادة (حجج)، 28/2؛ المعجم العربي الأساسي ، ص292 .

² - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص21.

³ - Jean - Jacques Robrieux, Rhétorique et argumentation, édition NATHAN, Paris, France, R.2,2000, P39.

⁴ - جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، ص105.

⁵ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص107، 108.

⁶ - ينظر: حمدي منصور جودي، "خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي - دراسة لنماذج نصية مختارة -"، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، إشراف: محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، 2007/2008، ص49.

⁷ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص108.

أ- التوجه إلى مستمع، لأن الكلام بصفته حدثا نطقيا ينجز وفق معطيات معينة من سياق يفترض مستمعا خاصا من جهة الكفاءة، وخصوصا أيضا من جهة المعتقدات التي تكون فكرية ووجدانية في آن معا، وبالتالي إذا كان الكلام حجاجا فإن المستمع ما هو إلا وجهة نظر قد تتوافق ورأي المتكلم، فيعمل هذا الأخير على تأكيدها، وقد تلتزم الحياد أو تتخالف معه، فيعمل في هذه الحالة على الإقناع ومحاولة التأثير¹، ويقتضي ذلك ثقافة واسعة في المتكلم تجعله قادرا على النفاذ إلى عالم المستمع، والفعل فيه بتغيير آرائه ومواقفه، بل وما يرتبته لنفسه من سلوك².

ب- التعبير بلغة طبيعية، فمادامت اللغة المحتج بها كامنة في الذهن، فإن الحجاج يكون تلفظا شفويا أمام مستمعين، مثلما يكون مكتوبا تتداوله بالقراءة جماعة المعنيين به³، إلا أن هذه اللغة الطبيعية، سواء أكانت على طريق التلفظ الشفوي، أم على طريق الكتابة، فإن دلالات ألفاظها وإيحاءاتها تتعدد وإن لم تتعدد صيغها التركيبية (إمكانية التأويل)⁴، نظرا لانتكائها على بعدين مختلفين، بعد دلالي تصريحي، وبعد دلالي ضمني، وهذا ما يسوغ إمكانية التأويل التي تتحكم فيها وجهة نظر معينة، لذا يجب على المتكلم أن يضيف إلى مجهوده في اختيار المعطيات الحجاجية مجهودا آخر يبذله من أجل أن تؤول هذه المعطيات التأويل الذي يرتضيه، وأن تعطى لها الدلالة التي يريد فيما إذا كانت صريحة أو ضمنية⁵.

ج- المسلمات لا تعدو أن تكون احتمالية: إن الطابع الاحتمالي للمسلمات نابع من كون المستمع مستمعا خاصا كما سبق بيانه، حيث لا تكون المسلمات بديهية في ذاتها بل في كونها صادقة بالنسبة لذلك المستمع⁶، ووعي المتكلم بطاقات مخاطبيه المعرفية، والتي هي أفكار يسلمون بها سلفا وإن لم يكن لها فاعلية في ذاتها، يسهم في تحقيق وظيفة الحجاج بأقل جهد ممكن، لأن ما هو حاضر في الذهن يكون أهم، وما ينبغي على المتكلم إلا أن

¹ - محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل و التداول ، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، د.ط ، 2005 م ، ص 220.

² - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 31، 42.

³ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 110.

⁴ - محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، ص 222.

⁵ - ينظر: سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 31.

⁶ - محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل و التداول ، ص 224.

يأخذه بعين الاعتبار، وأن يستغله الاستغلال الأمثل¹، إلا أن إسناد المسلمات الاحتمالية إلى الحجاج لا يعني إقصاء ما هو حتمي، إذ قد يتضمن عناصر برهانية ضرورية².

د- الحجاج تقتقر إلى ضرورة منطقية: إذا كانت المقدمات (المسلمات) لا تعدو أن تكون احتمالية، فإن تطور الحجاج ضمن السلسلة الكلامية، قد لا يتم وفق تفكير منطقي³؛ لأن الحجاج قد يعرف في بعد من أبعاده بأنه ما كانت علاقته تأبى الخضوع للمنطق الصوري⁴، الصوري⁴، وفي مثل هذه الحالة قد يتخلى المتكلم عن المنطق، ويلجأ إلى قضايا ومؤثرات نفسية مثل: الخيال، والعاطفة، والمعاني الإنسانية... الخ⁵، إذ لا سبيل إلى الإقناع في كثير من الأحيان - خاصة في غياب المنطق - دون إثارة، وبالتالي لا مفر للحجاج من البلاغة، لأن معظم الأساليب البلاغية تتوفر على خاصية التحول لأداء أغراض تواصلية وإنجاز مقاصد حجاجية⁶.

هـ- النتائج غير ملزمة، وذلك بناء على الملمحين السابقين، فإذا كان مجال الحجاج هو المحتمل وغير المؤكد، وإذا كانت مقدماته ذات محتوى وجداني إذ لا يعضده في مثل هذه الحالة إلا الأساليب البلاغية⁷، فمن الطبيعي أن تكون نتائجه كذلك أي غير ملزمة، وإن سعت منطقيته خلال مرحلة من مراحل تطور الكلام، إلى إلغاء ما هو وجداني احتمالي، وإثبات ما هو عقلي يقيني⁸.

إذا، الحجاج (L'argumentation) هو آلية تعمل على عرض الحجج (Les arguments) وتوظيفها من جهة، وكيفية تؤدي إلى بناء الأساليب اللغوية ذات الأبعاد البلاغية من جهة أخرى، دون أن تهمل في خضم ذلك شخصية المتكلم وطبيعة السامع المستهدف؛ لأن تحقق الغرض التواصلية متعلق بهما، ويكمن في مدى مناسبة المتكلم بين

¹ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص114.

² - محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، ص225.

³ - نفسه ، ص226.

⁴ - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص36.

⁵ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص108، 109.

⁶ - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص175.

⁷ - صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، ص50.

⁸ - محمد العمري ، البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول ، ص228.

المعطيات الحجاجية وظروف المقام عامة، ومدى قدرته على استغلال هذه المعطيات؛ لإقناع المستمع خاصة، إضافة إلى مدى استثماره النواحي النفسية والجوانب الوجدانية من أجل حتمية التأثير¹.

ونجاح المتكلم في تطبيق تعاليم الحجاج وآلياته، يسهم في بناء نمط خاص من أنماط الخطابات، وقبل تفصيل الحديث في هذا النمط لا بد من حصر أوجه الاختلاف بين الحجة والحجاج.

2- الفرق بين الحجة والحجاج :

بناء على ما سبق بيانه فيما يخص الحجة، وبناء على ما تم توضيحه بالنسبة للحجاج، يبدو أن ميدان هذا الأخير قد يكون المنطق اللاصوري أحيانا؛ لأنه في كثير من المواقف يتخلى عن الدقة والمصادقية، ويلجأ إلى الإقناع بعيدا عن الموضوعية، فالمتكلم وهو يبني بالحجاج عالما خاصا، قد يخالف على نحو جلي طرائق الاستدلال المنطقي، إذ يمنح متلقيه من خلال طريقة تحاورية معلومات عن العالم المتحدث عنه، ولكن هذا التحاور فيما بين المتكلم والمتلقي، يكون على طريقتهم الخاصة وحسب قناعاتهم الشخصية؛ أي بعيدا عن التأثير القائم على الأسس العقلية والحقائق العلمية، وحتى الأعراف الاجتماعية².
يضاف إلى ذلك أن هذه المعلومات التي يقدمها المتكلم ليس من شأنها أن تكون حاسمة فاصلة فيما تثبت أو تنفي، وإنما يمكن أن تكون فيما هو مرجح، وممكن، ومحتمل، وبالتالي فإن النتائج المتحصل عليها من هذا السلم الحجاجي لن تكون يقينية³؛ بما أن غاية الحجاج ليس الصدق الدقيق، ولا البرهنة القاطعة، وإنما استمالة المتلقي وحمله على الإذعان وإن كان عن طريق "المغالطة"، و"التمويه"⁴.

على خلاف ذلك تماما يبنى مفهوم الحجة، إذ من خصائصها الاستقامة في القصد بعيدا عن السفسطة والالتواءات الفكرية؛ لأنها أقرب إلى المنطق في إحدى بعديها، وأقرب إلى المتفق عليه في بعدها الآخر، وبالتالي تأخذ الحجة صفة الموضوعية التي تفرض الإلزام

¹ - ينظر: صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، ص21.

² - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص31.

³ - جميل عبد المجيد ، البلاغة والاتصال ، ص106.

⁴ - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص24، 25، 26.

الفصل الأول ===== المفاهيم الأولية والمعالم النظرية للمصطلحات البنائية

والجوب على المتلقي يقينا لا احتمالا وتمويها، على اعتبار أن الحجة دليل يلزم من العلم به العلم بشيء آخر¹.

بناء على أوجه المقارنة بين الحجاج والحجة يتضح أن علاقة تجمع بينهما، فإذا كان الحجاج هو دراسة تقنيات الكلام التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للمعارف التي تقدم لهم، أو تعزيز هذا التأييد على تنوع كثافته، وإذا كانت الحجة تقسم إلى منطقية وخطابية، فإنه من الصواب المنهجي عدم الخلط بين مظاهر التأمل العقلي المتصل بالحقيقة (المنطق)، والمظاهر التي تشير إلى هذا التأييد (الواقع/المجتمع)²، وبين تلك التقنيات التي تمثلها جملة اختيارات تراعي مقاصد الكلام، وتستجيب لعلاقة المتكلم بالمتلقي ومقتضيات المقام³.

إذا، الحجاج هو جملة التقنيات التي تراعي توظيف الحجة وبناءها بكيفية فنية، إضافة إلى كونه جملة التقنيات التي تراعي دراسة الاختيارات اللامنتطقية والبراغماتية على مستوى السياق اللغوي بأبعاده المعجمية، والتركيبية، والدلالية من جهة، وعلى مستوى السياق الخارجي بأبعاده الموقفية (ظروف التواصل) والاجتماعية (عادات) والفكرية (معتقدات) من جهة أخرى.

وعليه، فالحجاج أشمل من الحجة، لأنه قد يلجأ إليها، وبالتالي فإن علاقة الاحتواء هي ما يجمع بينهما.

¹ - الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص76.

² - صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، مصر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 م ، ص97.

³ - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص88.

ثانياً / الخطاب الحجاجي :

I- مفهوم الخطاب وأنماطه :

1- مفهوم الخطاب لغة و اصطلاحاً :

الخطاب في اللغة من الجذر (خ ط ب)، خطب، الخطب، الشأن أو الأمر صغر أم عظم، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام¹. والمخاطبة: مصدر خاطب (...)، خاطب يخاطب خطاباً ومخاطبة، الشخص واجهه بالكلام، وخاطبه في أمر إذا راجعه في شأنه، وجمع المخاطبة: مخاطبات، وجمع الخطاب: خطابات².

وعليه، فالخطاب في اللغة: مواجهة الآخرين بالكلام، أو هو نظام صياغة الكلام المؤثر في الآخرين وتنظيمه³، ما يعني أن أربعة عناصر رئيسة تسهم في بناء مفهوم الخطاب لغة⁴:

أولها عنصر "التوجيه المباشر": فالخطاب موجه توجيهاً مباشراً، من مخاطب بعينه إلى مخاطب بعينه، في سياق (مقام) بعينه، لتحقيق غاية بعينها، وهذا يقتضي عنصراً ثانياً هو "نظام التوجيه"؛ أي توجيه أطراف الخطاب المشار إليها آنفاً توجيهاً يراعي العلاقة القائمة بين المستمع والمتكلم، بناء على ما تقتضيه مقاصد هذا الأخير وأحوال المخاطبين وظروف الخطاب؛ وهذا يؤدي إلى عنصر ثالث هو عنصر "الموقف التبادلي أو التفاعلي" الذي تقع فيه المخاطبة - بناء على شروط نظام التوجيه -، أضف إلى ذلك عنصراً آخر هو عنصر "الخطاب" نفسه بما يحتويه من مضامين دلالية.

انطلاقاً من هذه العناصر، يمكن القول إن الخطاب كلام متبادل بين طرفين أو أكثر بناء على شروط تفرضها حيثيات مقام محدد.

¹ - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خطب) ، 275/2.

² - المعجم العربي الأساسي ، ص404.

³ - عبد الواسع الحميري ، الخطاب و النص - المفهوم، العلاقة، السلطة - ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2008م ، ص12.

⁴ - نفسه ، ص13 ؛ عبد الواسع الحميري ، ما الخطاب وكيف نحله ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009م ، ص10.

بناء على المعنى اللغوي للخطاب، يمكن توضيح أبعاده الاصطلاحية في الدراسات اللغوية الحديثة ، وذلك أن المصطلح العربي "خطاب" ترجمة للمصطلح الأجنبي (Discours)¹، الذي يعرف بأنه: "ليس (...) مجموعة من العبارات المنفصلة عن بعضها البعض، لكنه تجمعات لأقوال، أو جمل، أو عبارات يتم تشريعها في سياق اجتماعي معين، فيحددها هذا السياق"².

إذا، مفهوم الخطاب في الدراسات الحديثة يقتضي شرطين متلازمين³:

- الأول، أنه ذلك الشكل اللغوي الذي يتجاوز الجملة، بناء على التعريف السابق لـ "سارة ميلز" (الخطاب (...) تجمعات لأقوال أو جمل)، والخطاب بهذا المفهوم يرادف مصطلح "الملفوظ" في الدرس الحديث.

- والثاني أنه ذلك الشكل اللغوي - بالتحديد الملفوظ - الموجه إلى الغير في سياق محدد، لإفهامه قصدا معينا، بناء على هذا السياق الذي ورد فيه، فالخطاب ليس مجموعة من العبارات فحسب، وإنما لا بد لهذه العبارات من سياق اجتماعي يضمن وظيفتها من جهة، وتعزى إليه مسؤولية ضبط محتواها الدلالي من جهة أخرى، وهو ما اصطح عليه "روبرت دي بوجراند" (Robert De beau Grande) بـ "عالم الخطاب"⁴، وتؤكد "سارة ميلز" (Sara Mills) هذا التوجه في موضع آخر من كتابها فنقول: "يعرف الخطاب بالسياق الذي تستعمل فيه بعض العبارات دون سواها، فهناك الخطاب الديني وخطاب الإشهار، وما إلى ذلك، وتحدد هذه السياقات المكونات الداخلية [الوحدات اللغوية] التي ترد فيها"⁵.

فالخطاب بهذه التعاريف يلقي الضوء على كيفية تحقيق بعض الوظائف اللغوية التي يستطيع المتكلم من خلالها أن يعبر عن مقاصده وأن يحقق أهدافه، مما يسمح بتحديد العلاقة المتبادلة بين نظام اللغة وسياق استعمالها⁶.

¹ - جبور عبد النور، سهيل إدريس ، المنهل - قاموس فرنسي عربي- ، ص337.

² - سارة ميلز، الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر، 2004 م ، ص08.

³ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص37.

⁴ - روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء، ترجمة : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر، ط1، 1998 م، ص72.

⁵ - سارة ميلز ، الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، ص07.

⁶ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص38.

الفصل الأول ===== المفاهيم الأولية والمعالم النظرية للمصطلحات البنائية

وهذا يقتضي التساؤل عن مفهوم كل من : "الجملة"، و"الملفوظ"، و"السياق"، فإذا كانت "الجملة" (La phrase) في العرف اللساني نمطا تركيبيا ذا مكونات تشكيلية خاصة سواء كانت اسمية أم فعلية¹، فإن "الملفوظ" (L'énoncé) مجموع الوقائع الكلامية التي يلفظها (يتكلم بها) المخاطب، وهو تمثيل جزئي "للتلفظ" (L'énonciation)، هذا الأخير الذي يحمل معنى التحدث؛ أي الفعل الذاتي في استعمال اللغة (عملية الكلام في حد ذاتها)، على اعتبار أن "اللغة" (La langue) ملكة في المتكلم، و"الكلام" (La parole) إنجاز أو أداء فعلي لهذه الملكة².

وعليه، يمكن القول، إن الجملة وحدة كبرى قابلة للوصف النحوي، والملفوظ وحدة كبرى قابلة للوصف اللساني، وإن كان يوجد فرق بين الوصفين، فالوصف النحوي يعد مستوى من مستويات الوصف اللساني الذي يشتمل على مستويات وصفية أخرى تتعلق بالصوت، والصرف، والمعجم، والدلالة³، وبالتالي فإن إنتاج الخطاب قد يقتضي تكامل ثلاثة أنظمة رئيسية هي⁴: نظام التركيب الخاضع لمعيار علم النحو، و نظام التوجيه الخاضع لمعيار علم البلاغة، و نظام الإبانة الخاضع لمعيار علم الدلالة.

أما "السياق" (Le contexte) فيحمل دلالة التتابع والتوالي، أي تتابع العناصر التي يتحقق بها الكلام، أو توالي الأحداث التي تصاحب الأداء الكلامي⁵، وعليه فالسياق نوعان⁶:
نوعان⁶:

¹ - روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، ص88، 89.

² - بشير إبيرير، "من لسانيات الجملة إلى علم النص" ، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية - التواصل - ، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد 14، جوان 2005م ، ص72، 73.

³ - نفسه ، ص72.

⁴ - عبد الواسع الحميري ، ما الخطاب وكيف نحله ، ص09، 10، 11.

⁵ - محمد سالم صالح ، "أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التوصل إلى المعنى" ، <http://www.kau.edu.sa/eiles>، 2008م ، ص01.

⁶ - نفسه ، ص05، 06.

أ- سياق لغوي (Contexte verbale) : فيه تتضافر المستويات اللسانية لبناء التراكيب، ويضم ما يأتي:

- الوحدات الصوتية والصيغ الصرفية التي تبني الكلمات (صوت + صرف = معجم).
- طريقة ترتيب الوحدات الصرفية داخل التركيب (نحو).
- مظاهر الأداء الكلامي المصاحبة للوحدات اللغوية ضمن التركيب من نبر، وتنغيم... (دلالة).

ب- سياق غير لغوي (Contexte du situation) : فيه تتسلسل مجموعة المعطيات والظروف التي تحيط بالحدث الكلامي، لذلك يأخذ هذا المفهوم عدة مصطلحات هي: السياق الخارجي، السياق الاجتماعي، سياق الحال، المقام، ويضم ما يأتي:

- المرسل (L'émetteur) : وهو الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة ويغرض تحقيق أهداف خاصة به.
- المرسل إليه (Le récepteur) : وهو من يوجه إليه المرسل خطابه عمداً، وهو طرف أساسي في العملية التواصلية؛ لأن بناء الخطاب وتداوله مرهون إلى حد كبير بمعرفة أحواله.
- العناصر المشتركة (Les éléments communautaire) : مثل العلاقة بين طرفي الخطاب، وموضوع الخطاب، والمعرفة المشتركة، والظروف الاجتماعية العامة، وما تثيره هذه العناصر من قيود تؤثر عملية التواصل.

إذاً، السياق اللغوي هو كل ما يتعلق بالإطار الداخلي للخطاب، وما يتضمنه من قرائن مقالية تساعد على كشف دلالة الوحدات اللغوية الوظيفية، أما السياق غير اللغوي فهو سياق يتعلق بالإطار الخارجي للخطاب، وما يحتويه من قرائن مقامية تسهم في بلورة المعاني الضمنية للوحدات اللغوية الوظيفية.

بناء على كل ما قيل، يتضح أن الخطاب نظام من المتتاليات الجمالية التي تقدم بنية للملفوظ، أو هيكلًا لغويًا شكليًا لعملية التلفظ، في إطار سياق اجتماعي يقتضي وجود عناصر فاعلة ومؤثرة في بلورة العملية التواصلية.

2- الفرق بين الخطاب والنص:

إن الاستنتاج السابق فيما يخص "الخطاب"، قد يحيل إلى مصطلح آخر هو "النص"، والنص مصطلح اشتق من الجذر اللغوي (ن ص ص)، نص الحديث ينصه نصا، رفعه، وكل ما أظهر فقد نص¹. والنص أثر مكتوب شعرا أو نثرا، جمعه نصوص².

وبناء على المعنى اللغوي يمكن ضبط المفهوم الاصطلاحي، ذلك أن إظهار الشكل الصوتي المسموع من الكلام بترجمته إلى مكتوب³، تعريف اصطلاحى يوحى بأن النص وسيلة يضبط بها الكلام على طريق فعل الكتابة، وهذا يقتضى أن مفهوم النص (Le texte) يتقاطع مع مفهوم الخطاب (Le discours)، ولكن لا يترادف معه؛ لأن الخطاب يباين النص من جهة أن مرجع الخطاب خارجى مقامى، يتجلى في شبكة العلاقات القائمة بين أطراف العملية التخاطبية والواقع من خلال اللغة، أما مرجع النص فداخلي مقالي، يرتبط بالسياق من خلال علاقات تجسدها عملية الكتابة والقراءة⁴.

وعليه، فإذا كان الخطاب محكيا - بناء على ما سبق-؛ فإن النص قد يكون مكتوبا، وبالتالي فالخطاب يحدثه الكلام - الشفوي-، وهذا يفترض وجود المتلقي لحظة إحداث الخطاب، لذلك وبحكم المرجع الخارجى، يكون الخطاب تفاعليا، بينما لا يكون النص كذلك، إذ قد يوجه إلى متلق مؤجل على اعتبار أنه مدونة مكتوبة ذات مرجع داخلي⁵.

إضافة إلى هذه الفروقات التي تقصي إمكانية الترادف بين المصطلحين ولكنها لا تنفي العلاقة بينهما، قد يكون النص طويلا أو قصيرا لكن الخطاب يوحى بطول معين، كما يتميز النص باتساق الشكل وانسجام الأفكار، بينما يطبع الخطاب انسجام أعمق من حيث الدلالة والمعنى⁶.

¹ - ابن منظور، لسان العرب ، مادة (نص) ، 196/6.

² - المعجم العربي الأساسي ، ص1200.

³ - الأزهر الزناد ، نسيج النص - بحث في ما يكون به الملفوظ نصا - ، المركز الثقافى العربى ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1991 م ، ص12.

⁴ - عبد الواسع الحميري ، الخطاب والنص ، ص175.

⁵ - بشير إبرير ، "من لسانيات الجملة إلى علم النص" ، ص93.

⁶ - سارة ميلز ، الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، ص هـ(05).

لذلك عرف الخطاب بأنه : "وحدة نص مطولة، تحتوي على شكل من أشكال التنظيم الداخلي، كالانسجام في المعنى والتماسك في القالب"¹.

ومضمون هذا التعريف يتفق مع ما ورد في كتاب "النص والخطاب والإجراء" من أنه "يمكن لمجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أن تعد خطاباً"²، وأن النص قبل أن يبني الخطاب لا بد له من معايير تسهم في مجموعها التمييز بين ما يعد وما لا يعد من قبيل النصوص³، وأثبت "دي بوجراند" هذه المعايير في كتابه المذكور سلفاً واصطاح عليها "بالمعايير النصية" وهي⁴:

أ- **السبك/الاتساق (La cohésion)** : هو إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي أي الربط النحوي.

ب- **الالتحام/الانسجام (La cohérence)** : هو إجراءات تضبط بها عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي أو التماسك الدلالي.

ج- **القصد (L'intentionnalité)** : هو معيار يتوسط بين المرتكزات اللغوية والمطالب السائدة في الموقف، ما يعني "أن النص ليس بنية عشوائية، وإنما هو عمل مقصود (...)" من أجل تحقيق هدف محدد⁵.

د- **القبول (L'acceptabilité)** : معيار يتعلق بموقف المتلقي من النص.

هـ- **رعاية الموقف (La situation)** : معيار يهتم بمدى مناسبة النص للسياق الذي يرد فيه.

و- **التناص (L'intertextualité)** : معيار يهتم بمدى ارتباط نص ما بنصوص أخرى، سواء بواسطة أم بغير واسطة.

ز- **الإعلامية (L'informativ)** : يتعلق هذا المعيار بكمية الأخبار التي يقدمها النص، فمن غير المعقول أن لا يحمل نص ما قدراً من المعلومات، سواء قلت أم كثرت.

¹ - السابق، ص 07.

² - روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، ص 72.

³ - نفسه ، ص 103.

⁴ - نفسه ، ص 103، 104، 105.

⁵ - بشير إبيرير ، "من لسانيات الجملة إلى علم النص" ، ص 89.

الفصل الأول ===== المفاهيم الأولية والمعالم النظرية للمصطلحات البنائية

على أن هذه المعايير لا تكتسب صفة القوانين الصارمة، وإنما هي مجرد مؤشرات مهمة في إنشاء النصوص، ومن ثم في بناء الخطابات¹، وهي بمثابة "معايير تأسيسية" في مقابل "معايير تنظيمية" يحددها ما يلي²:

أ- الجودة (**La qualité**) : وتنجم عن تحقق مقاصد المتكلم وأغراضه بأقل جهد ممكن، بناء على الاستغلال الأمثل لوقائع النصوص وأحداثها أثناء العملية التواصلية.

ب- الفعالية (**L'activité**) : أي شدة وقع النص وتأثيره في المتلقي بناء على المعيار السابق.

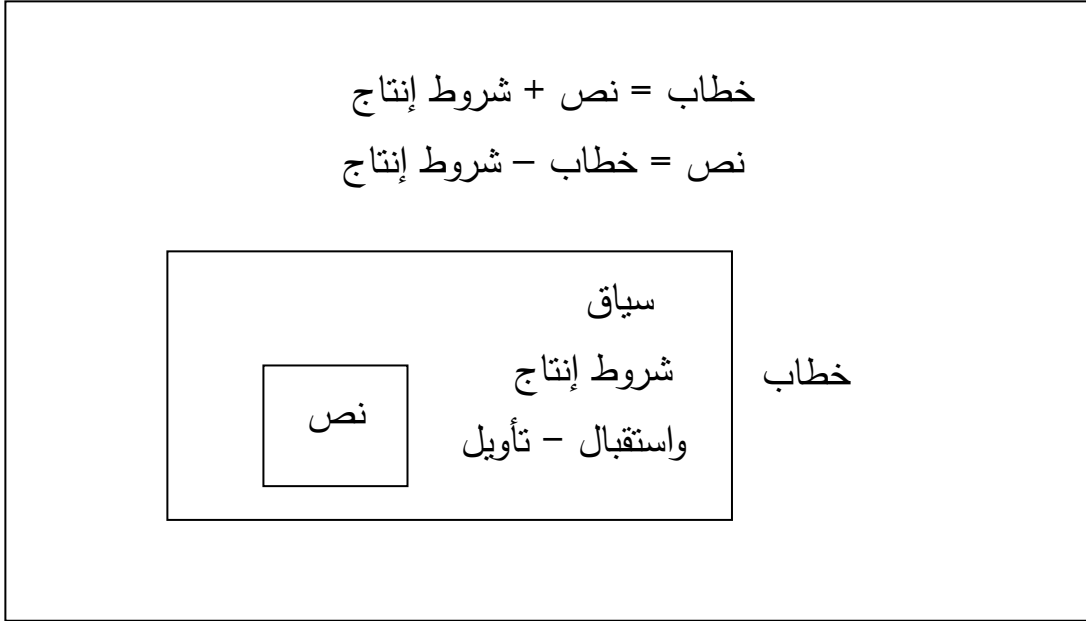
ج- الملاءمة (**La pertinence**) : وهي تناسب مقتضيات موقف النص مع مدى تحقق المعايير النصية في النص ذاته.

وبالتالي يمكن تحديد العلاقة فيما بين النص والخطاب من خلال المخطط الآتي³:

¹ - السابق، ص. نفسها.

² - نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب - دراسة معجمية - ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، أريد ، الأردن ، ط1 ، 2009 م ، ص138، 144 ؛ بوبكر نصبة، "الاتساق والانسجام في شعر إبراهيم ناجي - قصيدة "ساعة التذكار" أنموذجاً- "، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي، إشراف: دفة بلقاسم ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2005 / 2006م، ص15.

³ - Jean Michel Adam, Linguistique textuelle - des genres de discours aux textes - , Edition Nathan, Paris, France, 2004, P39.



- المخطط رقم 02 -

بناء على الفروق بين الخطاب والنص، يمكن القول إن الخطاب بوصفه وحدة تواصلية أكبر من الجملة ، قد تعدى الوسائل النحوية والقضايا البلاغية، ولجأ إلى آليات جديدة تسهم في تحديد العلاقات بين وحداته اللغوية ومدى مناسبة بعضها للبعض الآخر، بناء على اتساق تراكيبيها وانسجام أفكارها وترابط محتوياتها، ضمن بنيات تخاطبية تراعي ملاءمة مقتضيات سياقها الخارجي، وتناسبها مع مفهوم النصية، إضافة إلى سعيها تحقيق فاعلية الخطاب بناء على جودة الأساليب التواصلية.

وعليه، فإذا كان النص يبني وفق معايير تأسيسية وأخرى تنظيمية، فإن الخطاب نظام مركب من النصوص.

3- أنماط الخطاب:

إذا كانت أنواع النصوص تضبط بناء على المعايير التنظيمية¹، إذ قد تكون وصفية أو تحليلية أو خبرية أو حجاجية²، فإن الخطاب لا يخضع لمثل هذه المعايير في ضبط أنماطه، بناء على أن مرجعية النص داخلية مقالية ومرجعية الخطاب خارجية مقامية، لذلك تصنف الخطابات بناء على معايير اجتماعية وأخرى ثقافية إلى ما يأتي³:

أ- **الخطاب السياسي (Le discours politique)** : وهو خطاب يعالج كل القضايا التي تتعلق بشؤون الدولة، وأمور الحكم، وأحوال الأفراد في علاقاتهم مع الأنظمة الحاكمة، و نحو ذلك.

ب- **الخطاب الديني (Le discours religieux)** : ويهتم هذا الخطاب بقضايا المجتمع في أبعادها العقائدية من خلال معالجة مسائل العبادات والمعاملات.

ج- **الخطاب العلمي/ التعليمي (Le discours scientifique / didactique)** ⁴: يتميز هذا الخطاب بأن طاقة الإخبار فيه مهيمنة على أجزائه كلها؛ لأنه يقتصر على تقديم حقائق تتفق اتفاقاً تاماً مع العالم الواقعي، فتكون الدقة والموضوعية في استعمال المصطلحات الخاصة بالحقل العلمي الذي يبحث فيه (التخصص) كقيلة بإبراز أهم خصائص هذا النمط من الخطابات، وقد يتعدى الخطاب المستوى العلمي إلى المستوى التعليمي من خلال تدرجه في عملية طرح الحقائق من الأبسط إلى الأعمق، لأنه في هذه المرحلة لا يفترض في من يستقبل الخطاب أن تكون لديه معلومات كافية عن مساحات المعرفة التي يتطلبها الخطاب العلمي.

¹- نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، ص144.

²- سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص25 ؛ روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، ص415.

³- نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب ، ص15،16،17 ؛ سارة ميلز، الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، ص07.

⁴- روبرت دي بوجراند ، النص والخطاب والإجراء ، ترجمة : تمام حسان ، ص417.

د- **الخطاب الأدبي (Le discours littéraire)** : إن ما يميز هذا الخطاب هو علاقته الافتراضية بين ما هو موجود في البنية الداخلية، وبين ما هو متحقق في الواقع الخارجي، وذلك أنه يعالج الأحداث والوقائع في شكل مواضيع أو قضايا بطريقة فنية جمالية تؤطرها الأجناس الأدبية، سواء أكانت شعرية أم نثرية.

هـ- **الخطاب الإشهاري (Le discours publicitaire)** : خطاب يهتم بالأبعاد السيميائية للعلامة، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، ويتم ذلك في إطار تداول الأفكار حسب تصورات المرسل وقناعاته الذاتية، على اعتبار أن ردود أفعال المرسل إليه تكون مؤجلة.

و يجدر التنويه بعد محاولة حصر أنماط الخطاب، أنّ كل نمط خطابي من هذه الأنماط قد يكون وصفياً وتحليلياً وخبرياً وحجاجياً، بما أن كل خطاب هو نص وليس العكس، على أن تفصيل الحديث في ذلك سيقصر على "الخطاب الحجاجي".

II- أسس الخطاب الحجاجي وخصائصه:

1- أسس الخطاب الحجاجي:

بناء على أن الحجاج تقنيات وأساليب تعمل على استمالة المتلقي وإقناعه بوجهة نظر معينة؛ فإن الخطاب الحجاجي (Le discours argumenté) يبني من نص واحد أو من عدة نصوص على طريق هذه التقنيات والأساليب، ضمن منحى تداولي يختلف باختلاف المواقف والمقامات، إضافة إلى أنه نمط خطابي يخضع لأسس بنائية ثابتة، وخصائص تمييزية محددة، فأما الأسس البنائية فهي خمسة، ثلاثة منها رئيسة واثنان ثانويان¹:

أ- الأساس الأول "الإيجاد" (L'invention):

يقصد به إيجاد الأفكار بصفة عامة وإيجاد الأدلة بشكل خاص بناء على نمط الخطاب، والإيجاد بهذا المفهوم مرحلة تهتم بتحضير ما يقال، ولكن قبل بلورته في إطار نصي تحكمه ضوابط خاصة.

ب- الأساس الثاني "الترتيب" (la disposition):

ويقصد به ترتيب ما تم تحضيره من أقوال، بحيث تنظم المادة اللغوية (الأفكار والأدلة) التي وجدت حسب طبيعة الخطاب.

ج- الأساس الثالث "العبارة" (L'elocution):

ويقصد به البناء اللغوي الذي يحتوي المادة المتحصل عليها من أفكار وحجج وفق آليات أسلوبية تسهم في إخراج النص، سواء أكان ذلك عن طريق الكتابة أم المشابهة، حيث "يعتمد المرسل إلى توظيف الأدوات اللغوية بمعانيها وخصائصها (...)" ، وتنوع وظائفها في السياقات الممكنة². وبالتالي فإن صاحب الخطاب في هذه الحالة يهتم بالعبارة من حيث أسلوبها وألفاظها ومحسناتها، بناء على ما تقتضيه الدلالة من جهة، وما يقتضيه السياق بشقيه من جهة أخرى.

¹ - هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية - نحو نموذج سيميائي لتحليل النص - ، ترجمة و تعليق : محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، لبنان ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، د.ط ، 1999 م ، ص 33 ، 34 ؛

- Jean-Jacques Robrieux, Rhétorique et argumentation, P16, 17.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 477.

يضاف إلى هذه الأسس الرئيسية في بناء الخطاب "الإلقاء" (L'action) و"الذاكرة" (La mémoire)، وهما أساسان يتلازمان، فالإلقاء يستدعي التذكر، وذلك أن إعادة إنتاج خطاب ما من خلال إلقائه على المأ يفرض حضور الذاكرة في هذه الأثناء، باعتبارها مجموعة الإجراءات المولدة للأحداث الكلامية المحددة سلفا وفق آلية التذكر، إضافة إلى أنهما يتكاملان مع الأسس الثلاثة الأولى، ولكنهما ثانويان بالنسبة لثلاثة أسس نصية رئيسية، فهما أساسان لا نصيان إذ لا يتعلقان إلا بالخطاب الذي أعيد إنتاجه شفويا فقط.

لكن، لا بد من الإشارة إلى أن الدراسات الحديثة قد استوتحت هذه الأسس من الأصول التي اقترحها "أرسطو طاليس" في كتابه "الخطابة" وهي أصول ينبغي للخطيب أن يراعيها قبل بناء خطبته¹، "فالإيجاد" يقابله عند "أرسطو" "الإخبار من أي شيء تكون التصديقات"، ويرى الناقد "محمد العمري" أن هذا الأساس - بناء على مفهومه عند أرسطو - يضم ثقافة الخطيب الخاصة والعامة، لذلك يفضل أن يصطلح عليه بـ "مصادر الأدلة"، وأما "الترتيب" يقابله "تنظيم أو تنسيق أجزاء القول"، حيث يؤكد أرسطو على أن الترتيب الملائم هو الترتيب الذي يقوم على ذكر الموضوع أولا، ثم يتم بعد ذلك التدليل على أفكار هذا الموضوع، ويمكن إضافة استهلال وخاتمة للموضوع إن تطلب الموقف ذلك، أما "العبارة" فيقابلها "الأسلوب"، إذ يربط أرسطو الأسلوب باعتباره كيفية للقول بما يجب أن يقال، فلا يكفي أن يعرف المرء ما يجب عليه أن يقوله، بل عليه أيضا أن يعرف كيف يقوله، علما أن أرسطو لم يفصل "الإلقاء" عن "الأسلوب"، بحكم أنه أثبت هذا الأخير بناء على خطاب يعتد بالمشافهة².

وإذا كان أرسطو قد اقترح هذه الأصول الخطابية بالنظر في نمط حجاجي خاص - الخطابة بالتحديد - فإن النقاد المحدثين أقرروا بأن تلك الأسس تخدم جميع الخطابات على اختلاف أنماطها، بعد تعميم ما كان خاصا، وتعديل بعض الجزئيات، من خلال إعادة التنظير بناء على ضرورة منهجية، حيث أقر "الترتيب" عن "الأسلوب" وفصل هذا الأخير عن "الإلقاء"، فترتب على ذلك استدعاء ما اصطلح عليه بـ "الذاكرة"³.

¹ ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، 181، 228، 229.

² محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية/الخطابة في القرن الأول نموذجاً -، إفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، إفريقيا الشرق للنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2002م، ص20؛ محمد العمري، البلاغة العربية - أصولها وامتداداتها -، أفريقيا الشرق للنشر، بيروت، لبنان، أفريقيا الشرق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، د.ط، 1999، ص 273 - 276.

³ ينظر: هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، ترجمة: محمد العمري، ص38.

2- خصائص الخطاب الحجاجي:

إذا كان الخطاب الحجاجي يتفق مع أنماط الخطاب الأخرى من حيث الأسس البنائية، فإنه يختلف عنها من حيث الخصائص التمييزية، التي من أهمها الآتي ذكره:

أ- الخطاب الحجاجي خطاب موجه للتأثير في آراء المستمع وسلوكاته بوسائل مختلفة¹، فقد يختار المتكلم أحيانا تعييب بعض القضايا، والسكوت عمدا عن بعض الجوانب، وتناسي الرد عن بعض التساؤلات، وتكييف الأفكار بناء على الأحوال والمقامات، وهي اختيارات تفرضها شروط النجاعة، لأنه خطاب يتوق إلى التأثير وينشد الفعل في الآخر بناء على وظيفته الإقناعية².

وبالتالي، يكون الخطاب الحجاجي ناجعا في تحقيق أهدافه الموجهة، بحكم أنه يسعى إلى توظيف مختلف وسائل الإثبات توظيفا ذكيا، بحيث يتلقاها السامع على أساس أنها مفاهيم صادقة عن الواقع، فهذا النمط من الخطابات خطاب غائي موجه، غايته إقناع المتلقي بما يحمله من أفكار، وما يعرضه من مواقف، ومن ثم إحداث أثر واضح في السلوكات والتصورات³.

وعليه، فإن الهدف البراغماتي، والنجاعة الوظيفية من أهم الخصائص التي تميز الخطاب الحجاجي عن غيره من الخطابات.

ب- الخطاب الحجاجي يستجيب لنظام منطقي قابل للتحليل⁴، فهو خطاب مستدل عليه (يعتمد الاستدلال)، حيث يقوم على منطوق ما في كل مرحله⁵، ويتم ذلك وفق ثلاثة مقومات اصطلح عليها الدارسون بمقومات التناغم، وهي⁶:

¹ - حمدي منصور جودي ، " خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي - دراسة لنماذج نصية مختارة - " ، ص 50.

² - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 41.

³ - نفسه ، ص 35.

⁴ - ينظر: صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، ص 17.

⁵ - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 26.

⁶ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب ، ص 62 ، 465 ، 466 ؛ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص 37 .

- **القبول:** فالمتكلم من أجل تنفيذ إراداته والتعبير عن مقاصده التي تؤدي إلى تحقيق أهدافه، لا بد له من التلفظ بخطاب بناء على ما يقتضيه سياق الحال، ووفقا لما يفهمه ويقبله المتلقي من خلال وعي المتكلم بمستويات هذا المتلقي المعرفية.

- **مشابهة الحقيقة:** ذلك أن العالم المعروض في الخطاب ينبغي أن يكون متصورا، وأن تكون أشيائه قابلة للتحديد، وعلاقاته محتملة تطابق ما يحمله المتلقي من تصورات حول الواقع، وإن لم يتحقق ذلك على مستوى الحقائق النسبية فلا بد أن يتحقق على مستوى المعقول.

- **الإقرار:** إذ ينبغي للمتكلم الانطلاق من ثوابت - عرفية، دينية، قيمية - مقررة سلفا، حتى يتمكن المتلقي من تحديدها، ومن ثم العمل على الاقتداء بها، إقرارا منه بمشروعيتها؛ لأن توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، يسوغ للمتلقي قبول الخطاب، أو على الأقل إمكانية التواصل من خلال الحوار، أو المناقشة، أو التقيب، في حالة عدم اقتناعه بوجهة نظر المتكلم التي حاجج عليها هذا الأخير بالثوابت المقررة.

بناء على هذه المقومات الثلاثة، يتضح أن "الخطاب الحجاجي المتناغم"، خطاب قائم على نوع من التوافق والتناسب بين أجزائه، إذ يبدو للمتلقي أن لا خلل في البناء الهيكلي، ولا تناقض بين الأفكار والمفاهيم، وهذا ما يخول قبوله بالدرجة الأولى، إضافة إلى أن انسجام آفاق كل من مرسله ومتلقيه يوحي بتحقيق الأثر الحجاجي أثناء العملية التواصلية، كما يضمن أداء الوظيفة الإقناعية بأقل جهد فكري ممكن.

ج- إن حرص المتكلم على تناغم الخطاب الحجاجي، يعني الحرص على طرح رؤية واضحة لأهم الأفكار والتوجهات¹، فإذا كانت دلالة الألفاظ محددة، والمرجع الذي يحيل عليه الخطاب محددًا، فإن المتلقي لن يقع في مشكلة تأويل الأفكار وحصر الآراء وضبطها، وبالتالي لن يجد صعوبة في إدراك مقاصد المتكلم وأغراضه².

وعليه، فإن "الوضوح الدلالي" من أهم خصائص الخطاب الحجاجي؛ لأن المرسل في حالة الاستدلال لا يسعه أن يطرح أبعادا دلالية تقتضي إمكانية الفهم الخاطيء؛ فهذه الأبعاد

¹ - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص37.

² - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب ، ص465.

قد تسهم في فتح فضاءات التأويل ، والخطاب - في هذه الحالة - في غنى عن كل ذلك، بل هو أحوج إلى استلاب ذهن المتلقي، بدلا من تشتيته بتعدد الاحتمالات التأويلية.

١- على الرغم من أن الوضوح الدلالي من أهم خصائص الخطاب الحجاجي، إلا أن اللغة الجمالية قلما تلتزم بذلك، إذ لا يمكن أن يكون المعنى الحرفي للوحدات اللغوية هو مدلول الخطاب الوحيد، ولكي لا يقع المتكلم في معضلة التأويل، يسعى إلى ربط الدلالة اللغوية بمقاصده من خلال الملاءمة بين الشكل اللغوي وبين العناصر السياقية¹، فإذا أراد المرسل إحداث أثر في المتلقي لا بد له من قصد معلن يمكن تحديده لسانيا بناء على الوظيفة الإيحائية - في مقابل الوظيفة الحرفية - للغة، ويمكن ضبطه تداوليا بناء على ظروف الخطاب ومعطياته الخارجية².

وبالتالي، يكون "القصد المعلن" سمة في الخطاب الحجاجي، ومخرجا له من الوقوع في التقصير الوظيفي إثر دخوله متاهات التأويل.

إذا، يمكن تعريف الخطاب الحجاجي بناء على أسسه وخصائصه بأنه: نمط خطابي خاضع لأسس ثابتة، تسهم في بناء وحدة نصية من سماتها التناغم (الترايط والانسجام)، والوضوح الدلالي، من أجل إقناع متلق بوجهة نظر معينة وفق تقنيات ناجعة وظيفيا، والغاية من ذلك تحقيق أهداف براغماتية ومقاصد معلنه.

¹ - السابق، ص78.

² - سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم ، ص26.

ثالثا / فنّ الخطابة:

I- مفهوم الخطابة ونشأتها:

1- مفهوم الخطابة لغة واصطلاحا:

جاء في "لسان العرب" الخطبة (عند العرب): الكلام المنثور المسجع، ونحوه...، وهي مثل الرسالة التي لها أول وآخر¹.

و جاء في المعجم العربي الأساسي "الخطابة" مصدر خطب، خطب، خطبة، والخطبة اسم مفرد جمعه الخطب.

فأما الخطابة فهي فن محادثة الجماهير، وأما الخطبة فهي اسم للقطعة من الكلام توجه إلى جمهور الناس، يقال: خطب يخطب خطبة، نحو: فلان خطب القوم، أو خطب على القوم، أو خطب في القوم أي ألقى فيهم خطبة. ويقال أيضا: خطب يخطب خطابة، نحو خطب الشخص أي كان بارعا في الخطابة فهو خطيب، وجمع الخطيب خطباء².

أما "الخطابة" في الاصطلاح فهي أحد فنون النثر في الأدب العربي، والآداب الأجنبية أيضا، إذ يقابلها في الأدبين الفرنسي والإنجليزي مصطلحا: "rhétorique"³، "rhetoric"⁴، على الترتيب، واشتق المصطلح العربي "الخطابة" من الخطب العظيم، على أن الخطب هو الشأن أو الأمر الذي تقع فيه المخاطبة سواء أصغر أم عظم، فيقال: خطب يسير، وخطب جليل، وجمع الخطب خطوب⁵، وقصر الاشتقاق في هذه الحالة على جانب واحد؛ لأن هذا الفن من فنون النثر لا يؤتى به إلا في الأمور التي تعظم⁶. ويعرف "الشريف الجرجاني" في كتابه "التعريفات" الخطابة اصطلاحا بأنها: "قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة (...)"، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم⁷.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطب)، 2/275.

² - المعجم العربي الأساسي، ص 404.

³ - جبور عبد النور، سهيل إدريس، المنهل - قاموس فرنسي عربي -، ص 910، 911؛

- Petit dictionnaire français, librairie Larousse, Paris, France, 1968, P558.

⁴ - "Rhetoric", <http://en.wikipedia.org/wiki/rhetoric>, P01,02,03.

⁵ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (خطب)، 2/275.

⁶ - محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 17.

⁷ - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 72.

إن الجرجاني في تعريفه هذا يركز على بعدين اثنين، بعد قائم على المظنونيات، وهي الأمور التي يحكم العقل فيها راجحا اتباعا لغلبة الظن، كقولك: فلان ينقل الأخبار، فهو جاسوس، وبعد ثان قائم على المقبولات، وهي الآراء التي يكون مصدر التصديق فيها وقوعها ممن لا شبهة في صدقه مع كونها قابلة للصدق والكذب، ولكن أحد النقاد المحدثين يرى بأن هذا التعريف يميل ميلا شديدا إلى المنطق، في حين أن المنطق قد يخدم الخطابة دون أن يحتويها، إذ لا يصح أن تكون جزءا منه¹؛ لأن الخطابة بمعناها الفني إنما هي قطعة نثرية تعبر عن عاطفة إنسانية، وعن مظاهر الجمال، والذوق وعوامل التأثير في النفوس، مستندة في مستوى من مستوياتها إلى العقل².

ولعل تعريف الجرجاني بهذا التحليل والتفسير يصدق على علم الخطابة وليس على الخطابة في حد ذاتها، وذلك أن الباحثين المحدثين رأوا بأن للخطابة علما يرشد الإنسان إلى فن محادثة الجماهير بطريقة إقائية، أول من حدد أصوله وضبط قوانينه هم يونان ما قبل الميلاد، على أن علم الخطابة وإن لم يكن حاضرا عندهم بهذا المصطلح؛ فإنه كان حاضرا كمفهوم يتداخل مع مفهوم الخطابة، حيث قام أرسطو بجمع الأصول والقوانين التي استنتها سابقوه في كتاب أسماه "الخطابة"³، وهذه القوانين والأصول في حقيقتها تؤسس لعلم وليس لفن⁴.

وقد ورد في كتاب "فن الخطابة" لـ "أحمد محمد الحوفي" تعريف للخطابة يجمع فيه بين تعاريف رآها قاصرة في مقارنة المعنى العام، من بين هذه التعاريف تعريف "أرسطو" الذي ركز فيه على وظيفة الخطابة بأن قال: الخطابة/ rhetorica "قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأمور المفردة"⁵، حيث رأى "الحوفي" أن الخطابة أشمل من أن تنحصر في الإقناع، إذ لا يكفي تحقق شرط الإقناع - وإن كان ضروريا، فبانثقائه يغدو الكلام مجرد خواطر-، وإنما لابد من جمهور يستمع، وإلا كان الكلام حديثا أو وصية، كما

¹ توفيق الواعي، الخطابة و إعداد الخطيب، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط3، 1999م، ص13.

² واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص139.

³ توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص14، 17، 18.

⁴ ينظر: أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة.

⁵ نفسه، ص09.

لا بد من مشافهة وإلا كان الكلام فنا من فنون الكتابة، إضافة إلى ضرورة توفر عوامل الاستمالة وإلا كان الكلام الملقى مجرد محاضرة¹.

وبالتالي، يمكن تعريف الخطابة على أنها: "فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالاته"². بناء على ما ورد في التعريف، يتضح أن الباحث قد حاول طرح تعريف شامل نسبيا لفن الخطابة من خلال إمامه بمختلف الجوانب التي لها علاقة بهذا الفن، وذلك بأن ألف بين كيفية أدائه، وأركانه، ووظيفته، وغايته؛ فأما الكيفية فهي المشافهة على طريق الإلقاء، وأما الأركان فهي: الخطيب، والمضمون، والجمهور، إذ ينقل المتكلم (الخطيب) كلاما مسموعا (المضمون) من خلال إلقائه على مستمع موجود أمامه (الجمهور)، على حين أن الإقناع وفق وسائل منطقية وأساليب خطابية هو الوظيفة، أما الاستمالة والتأثير بناء على أساليب خطابية تحددها أصول وقواعد مضبوطة سلفا، فهي غاية هذا الفن النثري.

2- نشأة الخطابة وتطورها:

إن للخطابة بهذا المفهوم الاصطلاحي امتدادا زمنيا عريقا، إذ لم يخل منها سجل أمة وعى التاريخ ماضيها، فيها أذاع الأنبياء الدين الحنيف³، وبها حفظ تاريخ الإغريق (اليونان) واللاتين (الرومان)، وبها تأسس مجد العرب قبل الإسلام وبعده، وبها نهض المجتمع الغربي وبعده الأمة الإسلامية إبان العصر الحديث، وقد نشأت الخطابة وتطورت في كنف هذه الأمم لارتباطها بالديمقراطية والرقي الفكري، فقد كانت الخطابة راقية عند اليونان قبل الميلاد بخمسة قرون في ظل الحرية والنضال السياسي، وكذلك كانت في ظل الإمبراطورية الرومانية، فالرومان كانوا في أول أمرهم محكومين بحكم دكتاتوري استبدادي، فكانت الخطابة مغمورة، ولكنها ارتقت بعد انتفاضة الشعب ضد الطبقة الأرستقراطية، وما إن عادت الديكتاتورية إلى سطوتها أثناء القرون الوسطى حتى زال باعث الرقي، فعادت الخطابة إلى ضعفها، حيث أضحت ضيقة الموضوعات، حكرًا على النظام الحاكم، من جراء فرض قيود استبدادية، تمس التفكير العادي والعلمي والفني على حد سواء⁴.

¹ - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط04، 2002م، ص 05، 06.

² - نفسه، ص05.

³ - توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص16.

⁴ - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص40، 41.

وأما الخطابة عند العرب فقد مرت بمراحل، وذلك أنها خلال العصر الجاهلي كانت ذات دور ثانوي في مقابل وظيفة الشعر، وتفسير ذلك أنهم لم يهتموا بالنتج مثلما اهتموا بالشعر، فهذا الأخير ديوان العرب فيه علومهم وأخبارهم وأيامهم وحكمهم¹، وأما الخطابة فكانت لأغراض محددة من أهمها: المفاخرة بالمآثر ووصم الخصوم بالمثالب، وتثبيت الجنود وتحمسهم أثناء الحروب على اعتبار أن العرب آنذاك قبائل متناحرة وطوائف متنازعة، ولكنها أدت غرضاً مختلفاً حين تعلق الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ كانت الوفود التي ترسل إلى ملوك هذه الأمم بحاجة إلى خطباء لعرض قضاياهم أو طلب حاجاتهم، إضافة إلى غرضها الاجتماعي في مجال المصاهرة والزواج والنصح والإرشاد والإصلاح².

ولكن دور الخطابة بعد مجيء الإسلام لم يكن كدورها في العصر الجاهلي، فقد ازدهرت ازدهاراً ملحوظاً في كنف مجتمع عربي جديد اختلفت مقوماته الفكرية وتوجهاته العقائدية عن أفكار وعقائد العصور السالفة لاختلاف الدواعي والأسباب، وإثر هذا التغيير الإيديولوجي بلغت الخطابة ذروة الرقي خلال فترة صدر الإسلام³، لكن نجمها أفل وأواخر العصر العباسي إلى غاية أوائل العصر الحديث، لما طرأ على الأمة الإسلامية خلال هذه الحقبة التاريخية من انقلابات سياسية، واضطرابات اجتماعية، وانقسامات فكرية، ولم تكن هذه الظروف لتسهم في رقي الأدب بصفة عامة، على أن النهضة العلمية في أوروبا وما ترتب عليها من حملات استعمارية كانت داعياً أساساً أثار الخطابة من مكانها، إذ أضحت لسان الأمة الناطق بمختلف قضاياها والمطالب بكل حقوقها⁴، ولم يقتصر دورها الريادي خلال العصر الحديث على بلاد العرب والمسلمين فقط، بل إن معظم الشعوب في العالم قد لجأت إليها، على اعتبار أنها وسيلة يقتضيتها التجمع البشري في التوجيه والإرشاد والإصلاح والتسيير والقيادة⁵.

¹ - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم -، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط.، د.ت.، ص 322.

² - واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، ص 146.

³ - حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم -، ص 335، 336.

⁴ - أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص 41، 42.

⁵ - توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص 16.

II- هيكل الخطابة وأنواعها:

1- هيكل الخطابة:

إن للخطابة بمفهومها الاصطلاحي، وعبر امتدادها التاريخي هيكلًا تنظيميًا موحدًا عند جميع الأمم، ترجع أصوله التنظيرية إلى العصر اليوناني، حيث وضع "أرسطو" هيكلًا مقسمًا إلى أربعة أجزاء، فقال: "ليس ثم من ضرورة إلا للقضية والدليل، فهذا هو الملائم حقًا للكلام، وقصارانا السماح بـ: الاستهلال والعرض، والدليل، والخاتمة، أما التنفيذ فمن شأن الأدلة"¹، وتفصيل القول في هذه الأجزاء يكون وفق ما يلي:

أ- **المقدمة**²: هي من الخطبة كالمطلع من القصيدة؛ لأنها أول الكلام، وفيها يمهد الخطيب لموضوع خطبته بذكره إجمالاً، أو بيان أهميته، أو بتوضيح قيمته، فتكون ضرورية لا يستغني عنها الخطيب في كثير من الحالات كأن يكون الخطيب والموضوع مجهولين لا صلة للمستمعين بهما، فيؤتى بها لعقد هذه الصلة، لكن قد يحدث الاستغناء عنها إذا كان الموضوع معلوماً لدى السامعين، أو كان المضمون مقتضياً لا يحتاج إلى تقديم، ومن شروطها:

- أن تكون متصلة بموضوع الخطبة لتخدمه.
- أن تكون واضحة بسيطة لأنها تمهيد لصلب الموضوع.
- أن تناسب الخطبة طولاً أو قصراً.

والمقدمة مصطلح فني حديث يردافه مصطلح الاستهلال عند أرسطو، دليل ذلك قوله: "الاستهلال هو إذن بدء الكلام (...)"، و ينبغي في الأقوال البرهانية أن يجري التأليف هكذا: نبدأ بالتعبير عما نقصد ثم نسترسل، وكل الخطباء يلتزمون هذه القاعدة"³.

ب- **العرض**⁴: هو الجزء الذي يلي المقدمة، وإن كان الخطيب يستطيع الاستغناء عن المقدمة في بعض الحالات فليس يستطيع الاستغناء عن العرض؛ لأنه صلب الموضوع، فيه يقوم الخطيب ببسط الأفكار الرئيسية وتحليلها، ومن شروطه:

¹- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ص 229.

²- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص 117، 118.

³- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة، ص 230.

⁴- توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص 93، 94، 95.

الفصل الأول ===== المفاهيم الأولية والمعالم النظرية للمصطلحات البنائية

- الترتيب: أي ترتيب عناصر الموضوع ترتيباً يعضده التسلسل المنطقي.
- الوحدة: وتعني أن يخدم الموضوع بعناصره فكرة واحدة.
- الوضوح¹: ويقصد به وضوح العبارة وظهور معانيها، بحيث يكون الغرض الذي يهدف إليه الخطيب مفهوماً.

ج- **التدليل**²: على اعتبار أن وظيفة الخطابة هي الإقناع؛ فإن الخطيب في هذا الجزء من الخطبة يعمد إلى إثبات صحة توجهه الذي بينه وشرحه في العرض، وذلك بتوظيف الأدلة، والأدلة نوعان:

- أدلة منطقية مبنية على مقدمات يقينية ثابتة، وتؤدي هذه الأدلة إلى إقناع عقلي.
 - أدلة خطابية: منها بنيات جاهزة تحيل إليها النصوص المقدسة، والأقوال المأثورة، والحقائق التاريخية، ومنها ما يبني على مقدمات ظنية، تستند إلى العرف الشائع، أو إلى العادات والتقاليد، أو إلى أقوال الأدباء (شعر ونثر)، وينشأ عن هذه الأدلة تأثير شعوري.
- وقد يلجأ الخطيب في إحدى مراحل التدليل إلى التنفيذ (التكذيب) من خلال مناقشة آراء الخصم لإبطالها وفق المغالطة، أو الإنكار، و نحوهما.
- كما يتم الاستغناء عن التنفيذ إذا كانت الخطبة نفسها تتولى ذلك، أو إذا كان الموضوع لا يقوم أساساً على المخاصمة.

ويقول أرسطو في أهمية الجزأين السابقين من أجزاء الخطابة: "الكلام يتضمن جزأين، إذا لا بد من ذكر الموضوع الذي نبحث فيه، ثم بعد ذلك نقوم بالبرهنة، ولهذا فمن المستحيل بعد ذكر الموضوع أن نتجنب البرهنة، أو أن نقوم بالبرهنة قبل ذكر الموضوع أولاً، وذلك أنه حين نبرهن إنما نبرهن على شيء، ولا نذكر الشيء إلا من أجل البرهنة عليه. و أولى هذه العمليات هي العرض، والثانية الدليل"³.

¹- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص168.

²- نفسه ، ص125، 126، 132، 133.

³- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، ص228، 229.

د- **الخاتمة:** هي آخر جزء من أجزاء الخطبة، وآخر ما يبقى في آذان السامعين، لذلك يلجأ الخطيب فيها إلى تلخيص أفكار الموضوع الرئيسة من أجل تأكيدها وترسيخها في الأذهان، مع حرصه على استمالة السامعين والتأثير في أحاسيسهم وعواطفهم بتوظيف قدراته الإبداعية¹، مراعيًا في ذلك ما يأتي²:

- أن لا يكون مضمون هذا الجزء ترديدا لمعاني العرض بالأساليب ذاتها.
 - أن يكون مضمون هذا الجزء قصيرا موجزا مفيدا.
 - أن يتم تلخيص المطالب وما يترتب عليها من أهداف في هذا الجزء، ومن ثم ترتيبها ترتيبا يتناسب مع كيفية عرض الموضوع.
- على أن الخاتمة لا تدخل في كل نوع من أنواع الخطب، فهي مثلا بغير فائدة إذا كان العرض قصيرا، أو كانت تفاصيل القضية سهلة الحفظ، وفي هذه الحالة يحدث أن يحذفها الخطيب تجنبًا لحشو الكلام؛ لأن الغاية من الخاتمة في حالة ما إذا كان الموضوع طويلا وتفصيله معقدة، إنما التخفيف على الذاكرة³.

وعليه، فإن هيكل الخطابة التنظيمي المقسم إلى: مقدمة، عرض، فتدليل، ثم خاتمة، إنما هو هيكل نظرت له كتب النقد الأدبي المتخصصة في العصر الحديث بناء على ما احتوته أمّات الكتب في مختلف الثقافات الإنسانية.

2- أنواع الخطابة:

لقد صنف نقاد الأدب العربي القدماء كـ " أبي الحسين إسحاق بن وهب " (ق 4 هـ) ، و" أبي هلال العسكري " (ت 400 هـ) الخطابة بناء على موضوعاتها إلى " خطابة سياسية " و "خطابة دينية" و"خطابة اجتماعية" ؛ إلا أن هذا التصنيف انتقد من جهة صعوبة التفريق في المجتمع الإسلامي خاصة بين ما هو سياسي، وما هو ديني، وما هو اجتماعي⁴.

¹- أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة ، ص137.

²- توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص96.

³- أرسطو طاليس، الخطابة، الترجمة العربية القديمة ، ص229.

⁴- محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص40.

فحاول النقاد المحدثون أن يضبطوا هذه الأنواع من خلال البحث في طبيعة ما هو ديني وسياسي، واجتماعي¹، فكانت نتائج البحث أن تم ربط "الخطابة الدينية" بقضايا العقيدة، وقد تكون الخطابة في هذه الحالة "تعليمية" إذا كان المتلقي خالي الذهن يتقبل المعرفة الملقاة إليه، كما قد تكون الخطابة "وعظية" إذا كان المتلقي متأسيا لما تعلم غافلا عما ينتظره، فيتطلب حاله الحث على العمل والترهيب من العقاب، إضافة إلى أنها قد تكون "حجاجية" إذا كان المتلقي عالما ولكنه مخالف لوجهة نظر الخطيب، ولعل "المناظرات" المتعلقة بالفرق والملل العقائدية هي ما يؤسس لهذا الصنف من أصناف الخطابة الدينية².

أما "الخطابة السياسية" فتم تقييدها بالقضايا المتعلقة بالعمل في سبيل بناء الدولة أو بسط نفوذها مثل: الحروب، وتوضيح القوانين الجديدة التي يسنها الدستور و ما أشبه ذلك ، إضافة إلى قضايا الصراع حول الخلافة والحكم داخل المجتمع³، على أن هناك من النقاد من رأى بأن هذه القضايا تأخذ في جانب من جوانبها بعدا عسكريا، فنظّر حديثا لما يسمى ب: "الخطابة العسكرية/الحربية"⁴.

على حين أن "الخطابة الاجتماعية" تتعلق بالآتي ذكره⁵:

- **قضايا التنظيم الاجتماعي:** وتضم كل ما له علاقة بالحقوق والواجبات مثل: العلاقة بين الناس وتنظيم المجتمع، ومسائل الأملاك والصلح والمخاصمات القضائية ، وإن رأى بعضهم أن المسائل القضائية تؤسس لصنف قائم بذاته⁶.

- **قضايا المشاركة الوجدانية:** وتضم كل ما له علاقة بالمعاني الإنسانية في حالات الحزن والفرح ك: التعزية والتأبين والتهنئة .

¹ - توفيق الواعي، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص41، 46، 68 ؛ أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص64، 84، 99 ؛ حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم - ، ص337.

² - محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص40، 41، 43، 46.

³ - نفسه ، ص50.

⁴ - توفيق الواعي ، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص61 - 65 ؛ حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي- الأدب القديم - ، ص337 ؛ أحمد محمد الحوفي ، فن الخطابة ، ص112.

⁵ - محمد العمري ، في بلاغة الخطاب الإقناعي ، ص62، 67.

⁶ - توفيق الواعي ، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص56 ؛ أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة ، ص72.

III- أغراض خطابة الخلفاء الراشدين وخصائصها:

ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية بشريعته وقوته الحربية وسلطانه السياسي في القرن السابع للميلاد سنة 611 م¹، فكان ظهوره خاتمة العهد الجاهلي، إذ راح يضم صفوف العرب ويوحد كلمتهم في هذه المنطقة الجغرافية بقيادة "محمد بن عبد الله" خاتم الأنبياء والمرسلين - عليه الصلاة والسلام -²، متوجها في هذا التوحيد إلى ذهنية جاهلية يعالجها ويلين تحجرها، وإلى عادات وتقاليد يعمل على تبديلها أو تقويمها، وبإعادة ضبط الأوضاع الاجتماعية والتوجهات الفكرية إلى ما يوافق المنطق، أعيد ضبط فكرة السياسة إلى ما يخدم الجميع، وأصبح النظام العصبي شرائع وقوانين يضبطها القرآن الكريم، ودساتير يقرها مبدأ الشورى، بذلك تبلور مجتمع جديد تتعد فيه فكرة الألوهية عن كل تجسيد مادي، وتتصهر فيه الفردية والعصبية أخوة ومساواة، وتسمو فيه النفوس عن كل ضالة أخلاقية، فأضحت الحياة الإنسانية منظمة دينيا ضمن تجمع بشري يسمى الأمة³، وبوفاة "محمد بن عبد الله" - عليه الصلاة والسلام - سنة 632 م الموافق لسنة 11 هـ عن عمر يناهز ثلاثا وستين سنة⁴، اضطربت الأوضاع السياسية، وارتدت فئات اجتماعية، فدخلت الدولة الإسلامية فترة حكم وسمت بـ "الخلافة الراشدة"؛ وذلك أنه تحمل مسؤولية قيادة الأمة خلفاء استرشدوا بتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة في إصلاح تلك الأوضاع السياسية والاجتماعية، وفي نشر الدعوة المحمدية خارج حدود شبه الجزيرة العربية⁵، وشبه الجزيرة لذلك العهد بين دولتين كبيرتين، دولة الروم البيزنطيين ودولة الفرس الساسانيين⁶، وما إن تم للنظام الإسلامي الإسلامي

¹ - هاري هازارد ، أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة وتحقيق: إبراهيم زكي خورشيد، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د.ط ، 1954م ، ص06.

² - ابن كثير، البداية والنهاية ، تحقيق: محمد بيومي، عبد الله المنشاوي، محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان للنشر، المنصورة، مصر، د.ط، د.ت، 175/3.

³ - حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم - ، ص335، 336.

⁴ - ابن كثير، البداية والنهاية ، 694/6.

⁵ - ينظر: حنا الفاخوري ، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم - ، ص299، 230.

⁶ - هاري هازارد ، أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة وتحقيق: إبراهيم زكي خورشيد ، ص06.

الفصل الأول ===== المفاهيم الأولية والمعالم النظرية للمصطلحات البنائية

الاستقرار السياسي والإصلاح الاجتماعي في عهد "أبي بكر الصديق"¹، والغلبة على جيوش تلك الدولتين في عهدي "عمر بن الخطاب" و"عثمان بن عفان"؛ حيث قضي على دولة الفرس وطرد الروم من الشام ومصر وشمال إفريقيا²، حتى دبت الفتنة في عهد "علي بن أبي طالب" بين صفوف القادة، والسبب عصبية الجاهليين التي بقيت متأصلة في نفوس العرب، فانقسموا شيعا وطوائف تضاربت مصالحهم السياسية، واختلفت توجهاتهم العقائدية³، فكان ذلك إيذانا بنهاية حكم لم يكن فيه للنواميس القبلية وجود، وبداية حكم سمته الأساسية توريث الخلافة بقيادة "معاوية بن أبي سفيان"، وقيام دولة "بني أمية" سنة 622 م الموافق لسنة 40 هـ انقضى عصر الخلفاء الراشدين⁴.

بناء على هذه الحقائق التاريخية، يتضح أن الفترة الزمنية الممتدة من السنة الحادية عشر للهجرة إلى السنة الأربعين للهجرة احتوت أحداثا يمكن تلخيصها حسب الآتي:

أ- ظهور دين جديد في شبه الجزيرة العربية، يبث دعوته ويواجه خصومه قادة أشداء آمنوا به، فحاربوا في سبيله وناضلوا من أجل إعلاء كلمة الحق.

ب- انتشار الدين الجديد خارج شبه الجزيرة العربية بفضل الجيوش التي فتحت أقطارا شاسعة من وسط آسيا إلى شمال إفريقيا.

ج- توحيد القبائل العربية والبلاد المفتوحة تحت نظام جديد يحتويه مفهوم الأمة.

د- تمزق شمل الأمة الإسلامية إثر فتنة كبيرة خلفت وراءها أحزابا تتجادل، وعصبيات تتنازع، ومعارضات في السياسة والاجتماع والعقائد وغيرها.

¹ - السيوطي، تاريخ الخلفاء، د.تج، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص60 - 63.

² - نفسه، ص107، 108، 124، 125.

³ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، د.تج، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط1، 2001 م، 696/2 - 699 .

⁴ - هاري هازارد، أطلس التاريخ الإسلامي، ترجمة وتحقيق: إبراهيم زكي خورشيد، ص06.

في ظل هذه الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية، جاءت خطب الخلفاء الراشدين لترسخ الإسلام في نفوس المسلمين، بشرح آدابه وبيان مزاياه، وتوضيح أسرارها، ونشر فضائله، ولتحمله إلى مشارق الأرض ومغاربها، بالحث على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، دون أن تقصي في خضم ذلك توضيح نظم الحياة التي ينبغي أن تقوم عليها الدولة الإسلامية من مساواة وعدالة وتعاون وإصلاح وعمل¹.

ولم يخرج الخلفاء الراشدون الأربعة - رضي الله عنهم - خلال مسيرتهم النضالية عن هذه الأغراض؛ وكانوا يبتدئون خطبهم بحمد الله والثناء عليه، ويختتمونها بالدعاء، سيراً على نهج النبي - عليه الصلاة والسلام - ، كما كانوا ينسجون أساليبهم على منوال الذكر الحكيم، مستندين في ذلك إلى الإيجاز حيناً وإلى الإطناب حيناً آخر²، وإن كانت خطب "أبي بكر" و"عثمان" أميل إلى الإيجاز في غير عجز، وخطب "عمر" و"علي" أميل إلى الإطناب في غير خلل، فقد أوتي أربعتهم فصل الخطاب وفصاحة اللسان، وقوة التأثير حيث كان "أبو بكر الصديق" فصيحاً بليغاً، وخطيباً مفوهاً، حاضر البديهة، قوي الحجة، شديد التأثير، يشهد بذلك خطبته "يوم السقيفة"^{*}.

وكان "عمر بن الخطاب" من أفصح الناس منطقاً وأبلغهم عبارة، وأكثرهم صواباً وحكمة، وأرواهم للشعر وأنقدهم له، أما "عثمان بن عفان"، وإن كان من أوجز الخلفاء لفظاً؛ فإن خطبه تطورت بتطور الأحداث التي أحاطت به، فكانت من أجزل الخطب معنى وأسلسها عبارة³، على حين أن "علي بن أبي طالب" كان إمام الخطباء من المسلمين بحكم أنه سريع البديهة إلى حد لا تقف في وجهه شدة ولا يعجزه مأزق حرج، فهو أفصح العرب

¹ - نايف معروف ، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1998م، ص38،39،44.

² - نفسه ، ص61، 62.

* - وذلك أنه لما مات الرسول - عليه الصلاة و السلام - اختلف الصحابة حول من يبايعونه خليفة له عليهم، فأبى الأنصار إلا أن يكون الخليفة منهم، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم، واشتد النزاع حتى كادت أن تقع الفتنة فخطب فيهم خطبة لم يلبث الجمع بعدها أن بايعوه خليفة (ابن كثير، البداية والنهاية، 266/5 وما بعدها).

³ - عبد العزيز عتيق، في الأدب الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص277،

الفصل الأول ===== المفاهيم الأولية والمعالم النظرية للمصطلحات البنائية

بعد الرسول - عليه الصلاة و السلام - إطلاقاً¹، ويثبت "الجاحظ" ذلك بقوله: "كان أبو بكر خطيباً وكان عمر خطيباً، وكان عثمان خطيباً، وكان علي أخطبهم"².

فجاءت الخطابة في عمومها متينة الأسلوب، بليغة التركيب، فصيحة العبارة، جزلة اللفظ، قوية التأثير، بالغة الإقناع، بعيدة عن الأسجاع، - إلا ما جاء منها عفواً - في غير تكلف ولا صنعة، إضافة إلى توجيهها الأذهان وجهة دينية جديدة، تحت تأثير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف في وحدة موضوعية، وانسجام فكري، تعضده أدلة مستمدة من جهة إعمال العقل، ومن جهة أقوال تمثل سلطة ضاغطة في تجمع بشري له تاريخ عريق وثقافة خاصة³.

وعليه، كان لنبوغ الخلفاء الراشدين في مجال فنون القول دور كبير في بلورة الأحداث، وإسهام بارز في رسم مسار الرسالة المحمدية، وكانت الخطابة بناء على أغراضها وخصائصها خلال هذه الحقبة التاريخية، من بين أهم الفنون القولية إسهاما في ذلك.

بناء على ما سبق، ودون نفي أو إثبات لما إذا كانت الخطابة العربية قد استفادت من التراث الغربي فيما يخص الجوانب النظرية، فإن ما يتم الجزم بحقيقته هو أن علماء العربية حين نظروا لعلم البلاغة كانت الخطابة حاضرة في جلّ - إن لم تكن في كل - تطبيقاتهم الاستدلالية، باعتبارها فناً قولياً فعالاً في هذه الفترة، فالجاحظ - مثلاً - وهو يشرح المفاهيم البلاغية استدلل على آرائه بكلام الخطباء.

ويؤكد هذا، أن الخطابة في التراث العربي لم تتطور بفعل التنظير لها، لأن التنظير في حد ذاته كان غائبا خلال هذه الفترة، وإنما تطورت أغراضها التواصلية، وخصائصها الفنية، وإن كانت مفاهيمها الأولية ثابتة نسبياً عند جميع الأمم، بحكم توظيفها توظيفا اجتماعيا.

¹ حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم -، ص 351.

² الجاحظ، البيان والتبيين، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ط 1، 1998 م، المجلد الأول، 236/1، 237.

³ واضح الصمد، أدب صدر الإسلام، ص 151، 152.

الفصل الثاني:

بلاغة الحجّة المنطقيّة المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

أولاً/ بلاغة الاستدلال بالتقابل من خلال الاستلزام الحوارية:

- تمهيد (التعريف بالتقابل)

I - منطق التداخل وأبعاده التداوليّة في خطاب أبي بكر الصديق

II - منطق التناقض وأبعاده التداوليّة في خطاب عمر بن الخطاب

III - منطق الدخول تحت التّضاد وأبعاده التداوليّة في خطاب عثمان بن عفان

IV - منطق التّضاد وأبعاده التداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب

ثانياً/ بلاغة الاستدلال بالعكس والنقض من خلال أفعال الكلام:

- تمهيد (التعريف بالعكس والنقض)

I - منطق العكس المستوي وأبعاده التداوليّة في خطاب أبي بكر الصديق

II - منطق نقض المحمول وأبعاده التداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب

أولا / بلاغة الاستدلال بالتقابل من خلال الاستلزام الحوارية:

- تمهيد (التعريف بالتقابل):

إن التقابل في المنطق الصوري استدلال مباشر يتخذ من قواعد محددة معيارا له في استنتاج صدق أو كذب قضية (الحكم) من قضية أخرى معلومة، بناء على اتفاق القضيتين في الكم أو الكيف، أو بناء على اختلافهما في الكم أو الكيف، أو فيهما معا، مع إبقاء الحدود على حالها¹، علما أن "القضية" إطار لغوي يعبر عن تصور عقلي مرجعه مدركات حسية أو مجردة²، حيث يتألف هذا الإطار اللغوي من عنصرين أو أكثر بينهما علاقة، ويسمي المنطقة هذه العناصر "حدودا"، إذ يسمى الحد الأول "موضوعا" والذي يليه "محمولا" إذا كانت القضية حملية أي بسيطة (جملة واحدة)، أما الحد الذي يسمى "رابطة" فهو فعل الكينونة الذي يربط بين الموضوع والمحمول في لغات كثيرة مثل الفرنسية والإنجليزية، لكن اللغة العربية تستغني عن هذا الحد³.

وفي غالب الأحيان تكون القضية مرتبطة بعلامة تدل على نوعها كما إذا كانت كلية أو جزئية، وكيفا إذا كانت سالبة أو موجبة، ويصطلح على هذه العلامة "بالسور"، وذلك أن الموضوع إنما يحكم عليه بالإيجاب والسلب، والمحمول إنما يحكم به إيجابا وسلبا بناء على نوع هذا السور، حيث يستدل على سور السالب في اللغة العربية بأدوات النفي (لا، ليس، لم... إلخ)، أما سور الإيجاب فيستدل عليه بعدم النفي أي الإثبات، وإن كان يستدل على سور الكل والجزء بتوظيف الأداة "كل" في حالة الكم الكلي، وتوظيف الأداة "بعض" في حالة الكم الجزئي⁴.

¹ - ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث، ص55.

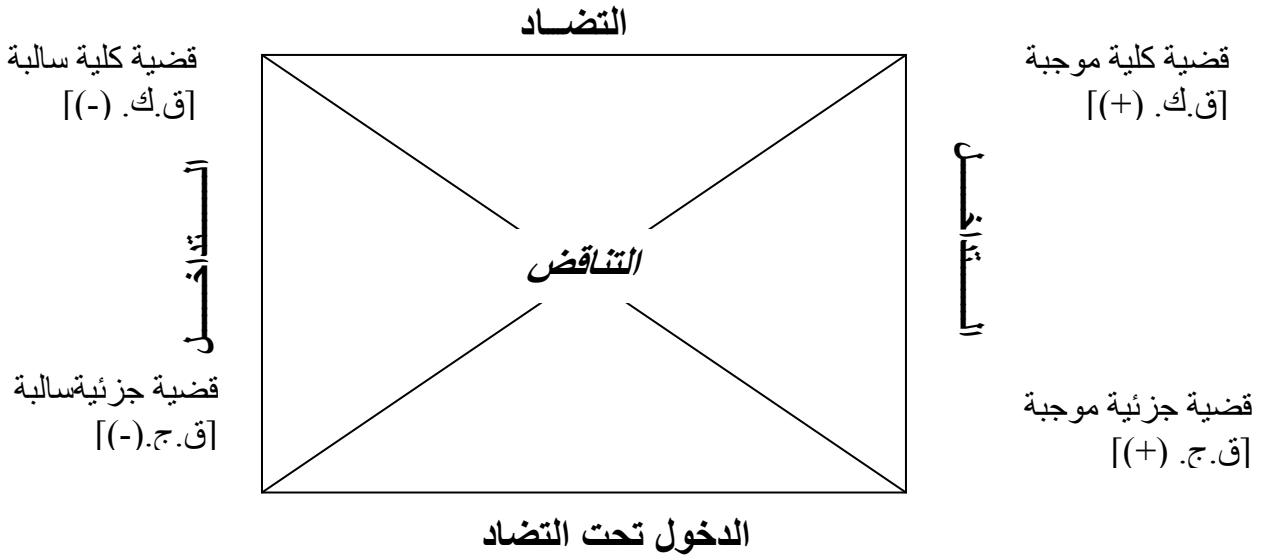
² - نفسه ، ص21.

³ - محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ، ص17، 18.

⁴ - ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث، ص39، 40.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

ويترتب على ذلك أن التقابل على أربعة قواعد هي: التداخل، والتناقض، و الدخول تحت التضاد، والتضاد، وحسب هذه القواعد يكون لكل قضية ثلاث قضايا مقابلة لها، فإذا كانت القضية كلية موجبة مثلاً، فقد تقابلها: الكلية السالبة (وهي القضية المضادة لها)، أو الجزئية الموجبة (وهي القضية المتداخلة معها)، أو الجزئية السالبة (وهي القضية المتناقضة معها)، أما إذا كانت القضية جزئية سالبة فقد تقابلها: الجزئية الموجبة (وهي القضية الداخلة معها تحت التضاد)، أو الكلية الموجبة (وهي القضية المتناقضة معها)، أو الكلية السالبة (وهي القضية المتداخلة معها)¹، ومربع التقابل يوضح ذلك حسب الآتي²:



- مربع التقابل -

والجدول الموالي يوجز كل الأحكام المتعلقة بالقضايا المتقابلة³:

¹ - محمد فتحي الشنيطي ، أسس المنطق والمنهج العلمي ، ص77.

² - نفسه ، ص78.

³ - ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، ص61.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

القضية الأصل	كلية موجبة	كلية سالبة	جزئية موجبة	جزئية سالبة
كلية موجبة - صادقة		كاذبة	صادقة	كاذبة
كلية سالبة - صادقة	كاذبة		كاذبة	صادقة
جزئية موجبة - صادقة	مجهولة	كاذبة		مجهولة
جزئية سالبة - صادقة	كاذبة	مجهولة	مجهولة	
كلية موجبة - كاذبة		مجهولة	مجهولة	صادقة
كلية سالبة - كاذبة	مجهولة		مجهولة	صادقة
جزئية موجبة - كاذبة	كاذبة	صادقة		صادقة
جزئية سالبة - كاذبة	صادقة	كاذبة	صادقة	

- جدول الأحكام -

و عليه، يكون من خطابات الخلفاء الراشدين خطاب حجاجي سلك نهج الاستدلال بالتقابل، ويمكن التمثيل لهذا الخطاب من خلال نماذج خطابية مختارة حسب الآتي:

I- منطق التداخل وأبعاده التداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق:

ورد في كتاب التعريفات "التداخل" هو عبارة عن دخول شيء في شيء آخر بلا زيادة حجم ومقدار¹، وهذا يقتضي أن تكون العلاقة بين الشئيين علاقة كل بجزء أو العكس، لذلك يحدث التقابل المنطقي في حالة التداخل بين قضايا مختلفة الكم متحدة الكيف، فيقوم بين الكلية الموجبة والجزئية الموجبة، وبين الكلية السالبة والجزئية السالبة².

وما ورد في الجدول من أحكام تتعلق بالقضايا المتقابلة على طريق التداخل تم الوصول إليها بناء على قانون منطقي نصه: "إذا صدقت الكلية صدقت الجزئية المتداخلة معها، وإذا كذبت الكلية كانت الجزئية المتداخلة معها مجهولة، وإذا صدقت الجزئية كانت الكلية المتداخلة معها مجهولة، وإذا كذبت الجزئية كانت الكلية المتداخلة معها كاذبة"³.

وعليه يكون قول "أبي بكر الصديق" - رضي الله عنه - من النموذج الخطابي الأول: "إياكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب وإلى التراب يعود، هو اليوم حي وغدا ميت"⁴ استدلالاً مباشراً أسس بناء على قاعدة التداخل حجة منطقية، وذلك أن القول يضم قضيتين (جملتين) متقابلتين، إحداهما كلية موجبة تقديرها "كل إنسان يموت"، والأخرى جزئية موجبة تقديرها "الإنسان المتفاخر يموت"، إذ تبني القضية الكلية الموجبة مقدمة حاجية مدلولها مسلم به، بما أنه حقيقة كونية منه استمدت القضية الجزئية الموجبة طاقتها الحاجية⁵، ومربع التقابل الآتي يلخص منطق العلاقة بينهما:

¹ - الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص40.

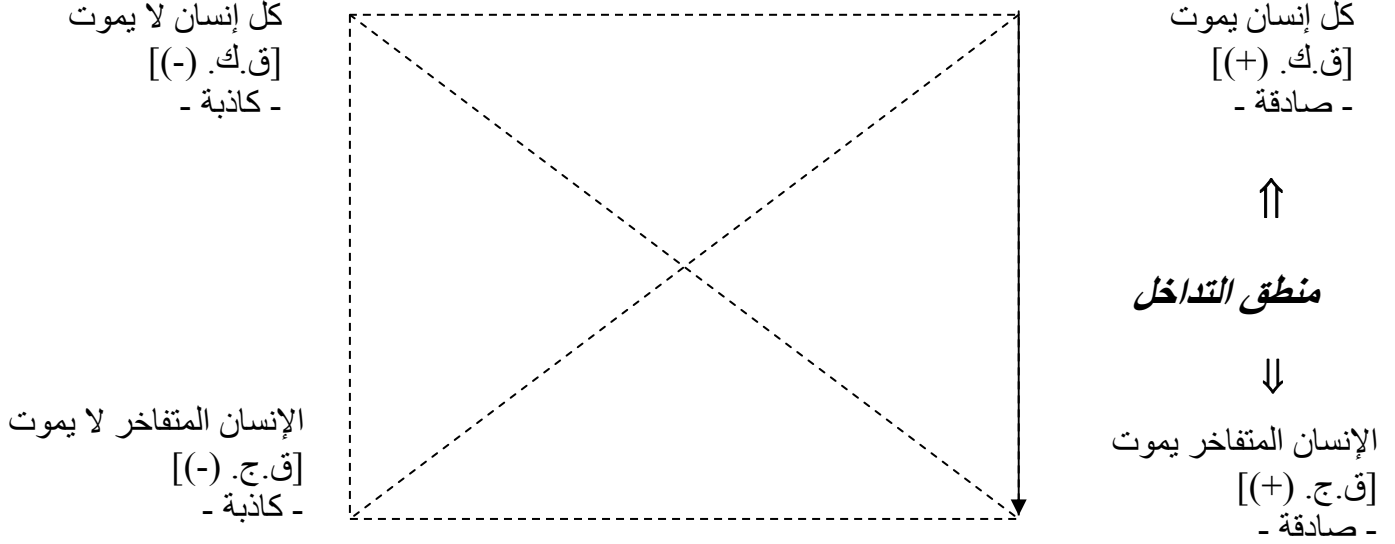
² - ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، ص57.

³ - نفسه ، ص 57 ، 58 .

⁴ - ابن عبد ربه الأندلسي ، كتاب العقد الفريد ، شرحه وضبطه ورتب فهرسه: إبراهيم الأبياري ، قدم له: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت ، لبنان ، د. ط ، د.ت ، 63/4.

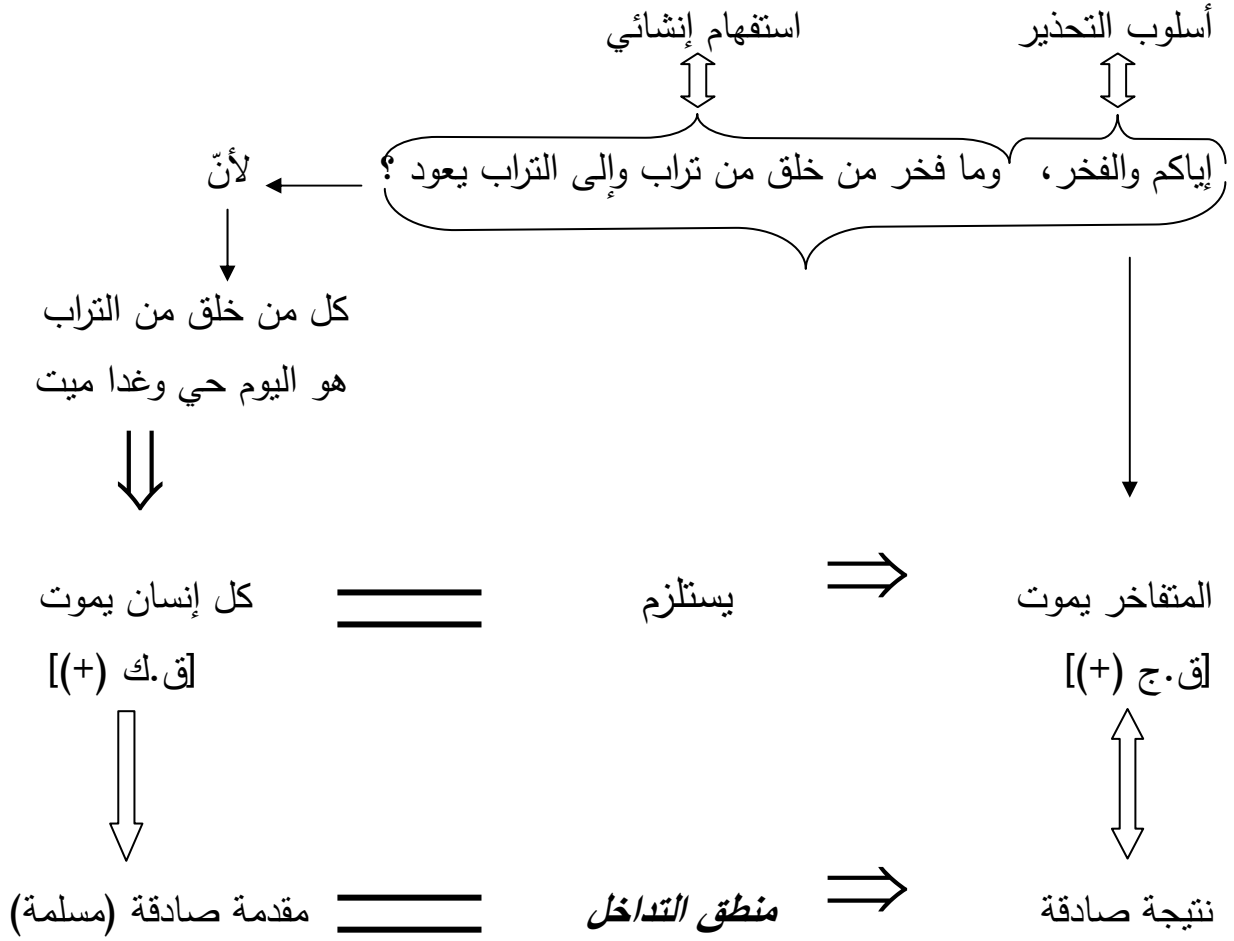
⁵ - ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص111، 112.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين



وبالتالي عملت علاقة الاحتواء بين الكل والجزء على دعم التقابل بين القضيتين بناء على منطق التداخل، والمخطط الموالي يوضح ذلك:

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين



- المخطط رقم 03 -

بناء على ما ورد في المخطط، يتضح أن للبنية النصية أبعادا تداولية ضمن سياق استدلاي استلزم اقتضاء تخاطبيا أدى إليه خرق مبدأ الكم، ويمكن بيان ذلك بتحليل دلالة البنية المنطقية إلى:

1 - معنى صريح يقتضي:

أ- **قوة إنجازية حرفية** يؤديها تركيب نحوي سليم ذو دلالة معجمية محددة: "جملة فعلية [مقيدة بالمفعول به (حذف الفعل والفاعل وجوبا لإنشاء التحذير بضمير النصب المنفصل "إياكم"¹] + استئناف بـ "الواو" + جملة اسمية [مبتدأ (ما الاستفهامية) + خبر + مضاف إليه الاسم (الموصول "من") + صلة الموصول ⇔ جملة فعلية ⇐ فعل ماض مبني للمجهول + شبه جملة جار ومجرور (نائب فاعل) + حرف عطف (وصل بلاغي "بالواو") + حرف جر + اسم مجرور + فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره "هو"² + جملة اسمية [مبتدأ (الضمير المنفصل "هو") + مفعول فيه (شبه جملة ظرفية زمانية متعلقة بمحذوف حال) + خبر + عطف نسق (حرف العطف "الواو" + معطوف)³."

ب- **محتوى قضوي** يؤديه مدلول يفيد بأن الفناء مصير كل إنسان، وأن الفخر والتفاخر لا يضمن له الخلود.

2- **معنى ضمني**: يحيل إليه الهدف من بناء هذه البنية المنطقية، حيث أراد الخطيب من خلالها التنبيه إلى سيئة من السيئات (التفاخر) بناء على استفتاحه البنية النصية بضمير النصب المنفصل "إياكم"، وهو من إحدى وسائل أسلوب التحذير، غرضه تنبيه المتلقي على أمر مكروه ليجتنبه⁴، ولتأكيد هذا الغرض لجأ الخطيب إلى "الإطناب" بتكرار مفردتي "الفخر" و "التراب"، لأن التكرار وإن كان وسيلة يلجأ إليها الخطاب الحجاجي لشد انتباه المتلقي، فإن مواقف الإنذار والتحذير تستدعي التكرير بما أنه زيادة في اللفظ على المعنى لفائدة غرضها التأكيد⁵. و كان لأسلوب الاستفهام أيضا أثر بالغ في ذلك، لأنه خرج عن أصل دلالاته، وهي طلب الفهم، وأفاد معنى مجازيا هو "النهى"⁶، على حين حملت الجملة الفعلية المبنية

1- عبده الراجحي، التطبيق النحوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 1988م، ص224.

2- نفسه، ص 52، 60، 77، 78، 179، 189، 192، 358، 361.

3- نفسه، ص 77، 78، 242، 243، 394.

4- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية - النمط والاستعمال -، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008 م، ص 95، 97.

5- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع -، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 193.

6- خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص64.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

للمعلوم بقول الخطيب: "والى التراب يعود" غرضاً تأكيدياً بما أنها ضرب خبري طلبى تم بناء على أسلوب قصر بلاغي طريقته تقديم ما حقه التأخير (شبه الجملة)¹، وقد حدث تأكيد الخبر لشرف الحكم وتقويته، مع أنه ليس فيه تردد ولا إنكار، أما عطف الجملة المبنية للمعلوم على جملة مبنية للمجهول (خلق من التراب) بحرف "الواو" فقد أفاد وصلاً بلاغياً أدى إليه تناسب الجملتين في المعنى واتفاقهما في الخبرية والفعلية والإطلاق².

كما أسهم التضاد الدلالي في الجملة الاسمية بعد الاستفهام في استحضار واقع من وقائع المستقبل بتجسيد مسار الحياة تجسيدا مختزلاً ولكنه يقيني، فمن يحيا اليوم سيموت غدا - سواء أكان الغد غداً قريباً أم بعيداً-، ولعل في ذلك حثاً صريحاً على التواضع، وتنبئها ضمناً إلى المسارعة في فعل الخيرات³.

إلا أن ما تجدر الإشارة إليه بالنظر إلى السياق الخطابي الذي وردت فيه البنية

المنطقية هو توظيف الخطيب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ

رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾⁴ تدعيماً لنتيجتها، حيث يمثل القرآن الكريم في الثقافة الإسلامية

دعامة حجاجية لها سلطة خطابية لا تقل درجة عن سلطة البنى المنطقية، وإنما تصنف أعلى درجة منها⁵. وعلى هذا الأساس يكون الهدف من توظيف الآية هدفاً تأكيدياً، حيث عمل مدلولها القطعي على إثبات ما تقدم من كلام الخطيب، فكل إنسان سينتقل إلى دار البقاء، وهناك سيجزى بما كسب من أعمال، فإن كان عمله صالحاً فله، وإن كان سيئاً فعليه، ولعل لهذا التوظيف أبعاداً أخرى تتعلق بما يتركه أسلوب التهيب والترغيب في الآية من أثر في نفس المتلقي، كالخوف من غضب الله في الدنيا، وخشية سوء العذاب في الآخرة، فيسعى من جراء ذلك إلى مرضاة الله بالعمل الصالح راجياً الجزاء الحسن.

¹ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، ضبط و تدقيق و توثيق: يوسف الصميلي ، الدار النموذجية المكتبة العصرية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2000 م ، ص 57، 60، 167، 168.

² - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص166،165.

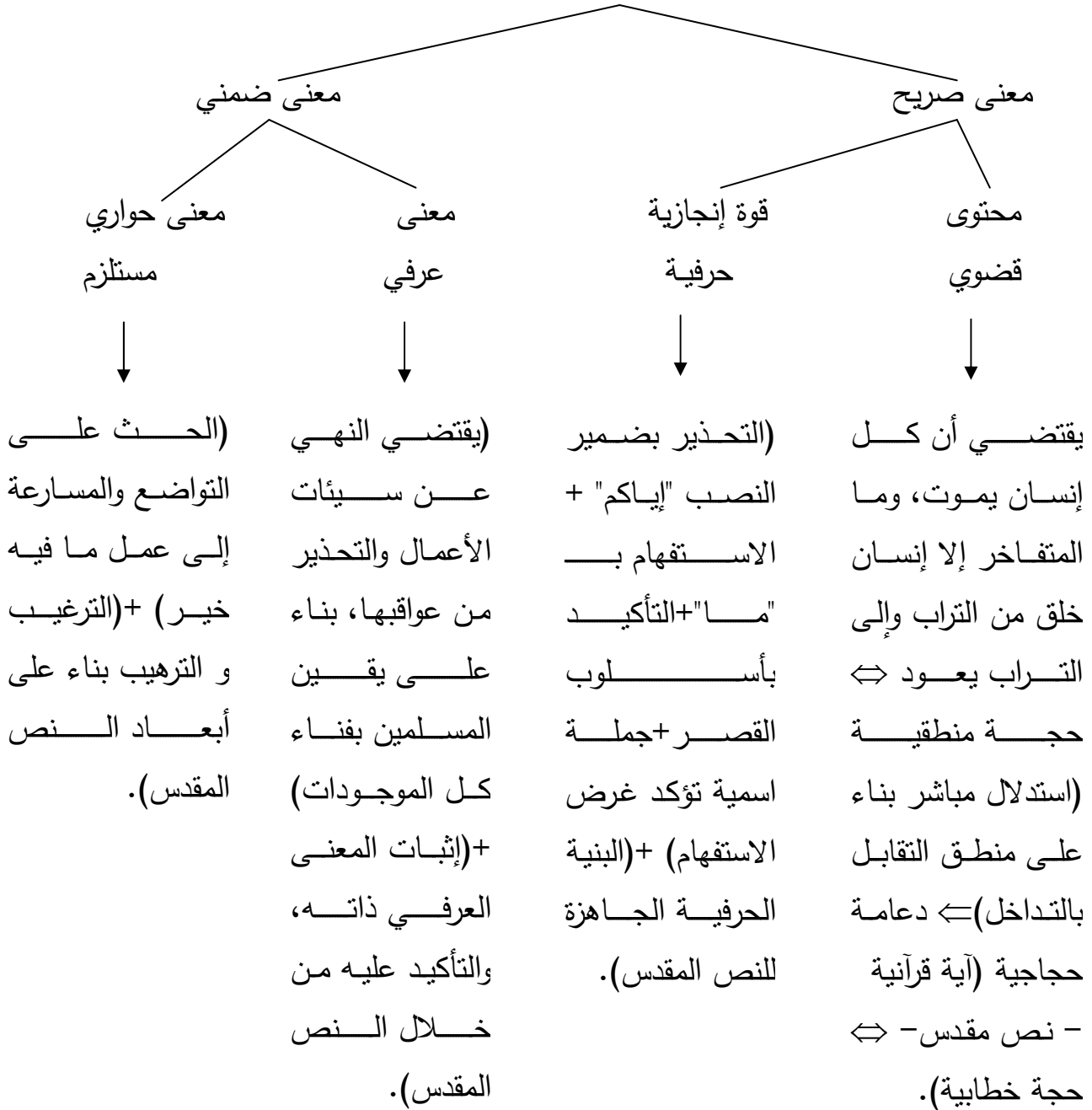
³ - ينظر: نفسه ، ص494.

⁴ - آل عمران / 30.

⁵ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب، ص537.

وعليه يمكن تلخيص دلالة البنية النصية فيما يلي:

دلالة البنية النصية



II- منطق التناقض وأبعاده التداولية في خطاب عمر بن الخطاب:

التناقض هو اختلاف القضيتين إيجابا و سلبا، بحيث يقتضي لذاته صدق إحداها وكذب الأخرى¹، ويشير المنطقة إلى أن التناقض أتم حالات التقابل وأكملها، وذلك أنه على اختلاف حالات التقابل الأخرى يحدث بين قضيتين مختلفتين كما وكيفا، أي أنه يحدث بين الكلية الموجبة والجزئية السالبة، وبين الكلية السالبة والجزئية الموجبة².

إضافة إلى أن حكم التقابل بالتناقض من أوضح أحكام التقابل على الإطلاق، لأن القانون يستلزم: "إذا صدقت إحدى القضيتين كذبت الأخرى، وإذا كذبت إحداها صدقت الأخرى"³، وهذا ما بينه جدول الأحكام.

بناء عليه، فإن قول "عمر بن الخطاب" - رضي الله عنه - من النموذج الخطابي الأول: "يا أيها الناس، إنه أتى على حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنه إنما يريد به الله وما عنده، ألا وقد خيل إلي أن أقواما يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس"⁴ بنية منطقية قوامها قضيتين حمليتين متقابلتين بالتناقض، وذلك أن الجملة: "إنه أتى علي حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنه إنما يريد به الله وما عنده" اقتضت أن يكون الخليفة حاملا لتصور عملت حدوده على بناء قضية كلية موجبة تقديرها: "كل من يقرأ القرآن يريد به الله"، ولكن تطور الخطاب، واستدراك الخليفة كلامه بالجملة: "ألا وقد خيل إلي أن أقواما يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس" اقتضى تفنيد القضية الكلية الموجبة بناء على استدلال منطقي استقى من الواقع قضية جزئية سالبة تقديرها: "بعض من يقرؤون القرآن لا يريدون به الله"، ويتقابل القضيتين حسب قاعدة التناقض يثبت كذب القضية الكلية الموجبة بما أن القضية الجزئية السالبة صادقة بمقتضى أن "الوقائع" ثابتة لاشك فيها، "فهي تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس (...)" والتسليم بالواقعة من قبل الفرد ليس إلا تجاوبا منه مع ما يفرض نفسه على جميع الخلق، إذ الواقع يقتضي إجماعا كونيا⁵، وبالتالي

¹ - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات ، ص49.

² - ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث ، ص58.

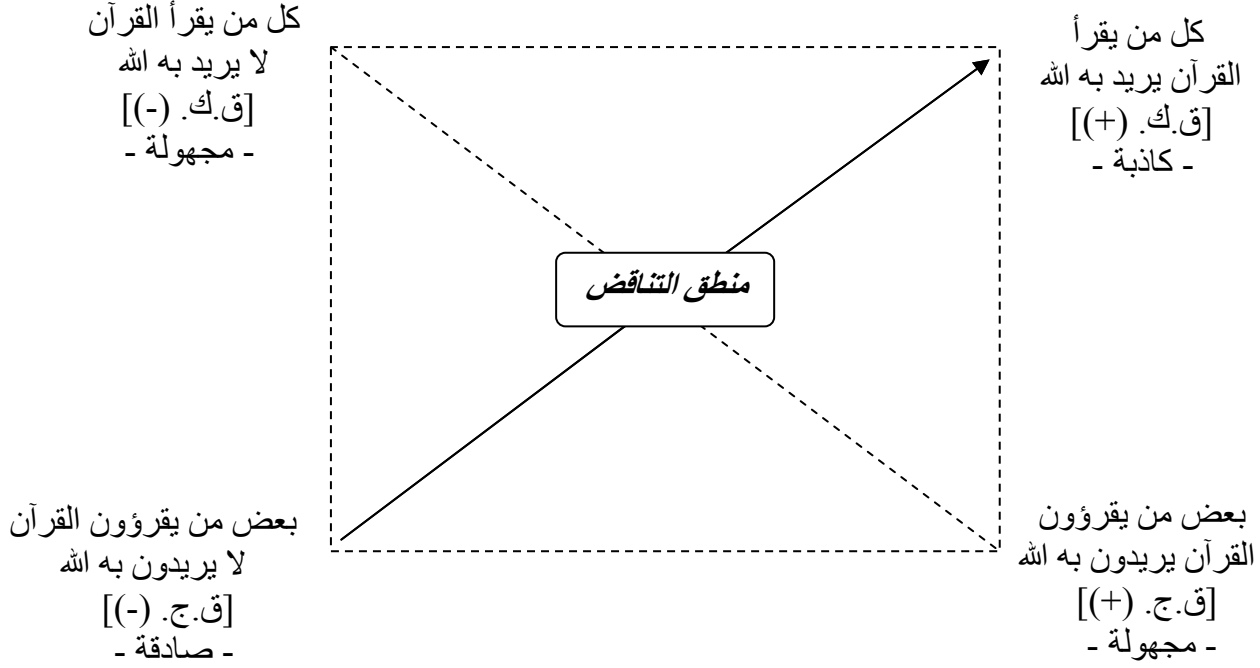
³ - نفسه ، ص. نفسها.

⁴ - الجاحظ، البيان والتبيين، المجلد الثاني، 88/3.

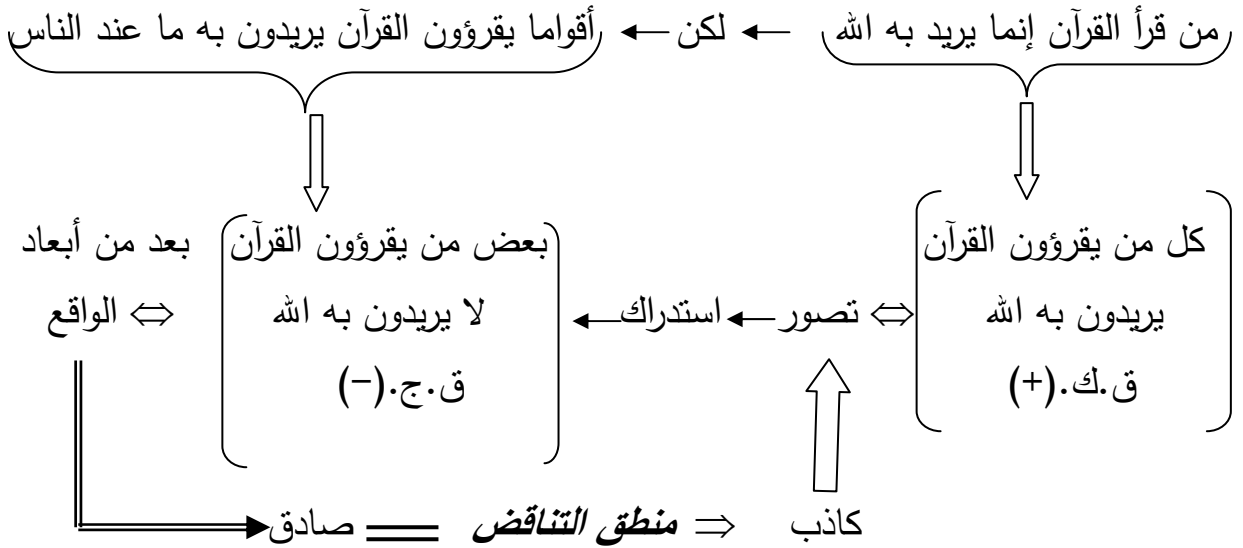
⁵ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص111.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وبالتالي فإن الواقع عضد الاستدلال المباشر في بناء مقدمة حجاجية، ومربع التقابل يلخص منطق العلاقة بين القضيتين حسب ما يلي:



ويمكن توضيح هذه البنية المنطقية وفق المخطط الآتي:



- المخطط قم 05 -

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وعليه، فإن ما تم إثباته يستدعي أن يكون للبنية المنطقية أبعاد تداولية تستلزم اقتضاء تخطابيا، لأن دلالة هذه البنية - وإن كان مبدأ التعاون قائما بناء على عدم خرق أي قاعدة من قواعده - تحيل إلى:

1- معنى صريح يقتضي:

أ- قوة إنجازية حرفية مؤشرا تؤوله الوحدات الصوتية والدلالات المعجمية للصيغ الصرفية والتراكيب النحوية المؤسسة لهذه البنية: "جملة فعلية [مقيدة بالبديل (حذف الفعل والفاعل وجوبا لإنشاء النداء بالأداة "يا")] + جملة اسمية [مقيدة بـ "إن" اسمها (معرف بالإضمار - ضمير متصل-) + خبرها جملة فعلية مقيدة بالحال (جملة اسمية < "واو" الحال + مبتدأ (ضمير رفع منفصل) +الخبر جملة فعلية مقيدة بمفعولين (م.به ① +م.به ②) < فعل مضارع متعد لمفعولين فاعله ضمير مستتر تقديره "أنا" + مصدر مؤول في محل نصب م.به أول¹ (جملة اسمية مقيدة بـ"أن" اسمها ضمير متصل، خبرها الاسم الموصول "من" (صلة الموصول جملة فعلية) + مفعول به ثان < جملة اسمية مقيدة بـ"إن" اسمها ضمير متصل، خبرها جملة فعلية < مصدر بأداة القصر "إنما" + فعل مضارع فاعله ضمير مستتر تقديره "هو" + شبه جملة جار ومجرور + مفعول به + حرف عطف + معطوف (الاسم الموصول "ما") + صلة موصول شبه جملة ظرفية]] + جملة فعلية [مصدر بأداة التنبيه "ألا" + أداة التحقيق قد + فعل ماض مبني للمجهول متعد لمفعولين + شبه جملة جار ومجرور + مصدر مؤول في محل رفع نائب فاعل² (جملة اسمية* < مقيدة بـ"أن" + اسمها نكرة موصوفة + صفة (جملة فعلية < فعل مضارع فاعله ضمير متصل (واو الجماعة) + مفعول به) + مفعول به ثان (جملة فعلية < فعل مضارع فاعله ضمير متصل (واو الجماعة) + شبه جملة جار ومجرور + مفعول به (الاسم الموصول "ما") + صلة موصول شبه جملة ظرفية]]"³.

¹ - بلقاسم دفة ، في النحو العربي - رؤية علمية في: المنهج، الفهم، التعليم، التحليل- ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر، د. ط ، 2002/2003 م ، ص94.

² - نفسه ، ص. نفسها.

*- الجملة الاسمية تم حذف خبرها وجوبا لأن اسم "إن" النكرة تقدم جملة فعلية [ورد نكرة مختصة (من مسوغات الابتداء بالنكرة)]، وفي هذه الحالة يكون الأولى أن تقع الجملة الفعلية في محل نصب صفة للنكرة بدلا من أن تقع في محل رفع خبر "إن" < (عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص109).

³ - ينظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

ب- **محتوى قضويا** استدعى أن الخليفة كان يتصور أن كل من يقرأ القرآن إنما يقرؤه لوجه الله تعالى، ولكنه استدرك ذلك بأن أنكر على بعضهم قراءة القرآن نفاقا ابتغاء لمرضاة الناس.

2 - معنى ضمني: يوحي به منطوق الاستدلال المباشر، حيث أراد الخليفة من جراء هذا الاستدلال وفق تركيب خبري إنكاري ميزه أسلوب قصر إضافي* (قصر صفة على موصوف بـ"إنما")¹ أن يؤكد صحة ما أثبته الحكم الجديد، ولاسيما بعد أن وظف حرف التنبيه "ألا" ثم أداة التحقيق "قد" في صدر الجملة الفعلية، وفي هذا التوظيف دلالة على تحقق ما بعدهما، ومن هنا تأتي دلالتهما على معنى التأكيد². والخطيب بذلك يستنكر حقيقة هذا الحكم على من أقام عليهم الحجة في هذا الفعل الشنيع، فمن المخزي أن يكون النفاق بين أظهر من بعث منهم رسول أنزل عليه وحي من السماء.

وبالتالي قد يكون لذلك التأكيد والاستنكار أثر في نفس المتلقي، ولكنه أثر قد يؤدي إلى تغيير في السلوك إما إيجابا، وإما سلبا، لأن الأثر في مثل هذه الحالة قد لا يؤدي وظيفته الوعظية، وإنما قد يسهم في احتراز المتلقي فيما أثبت عليه من دليل.

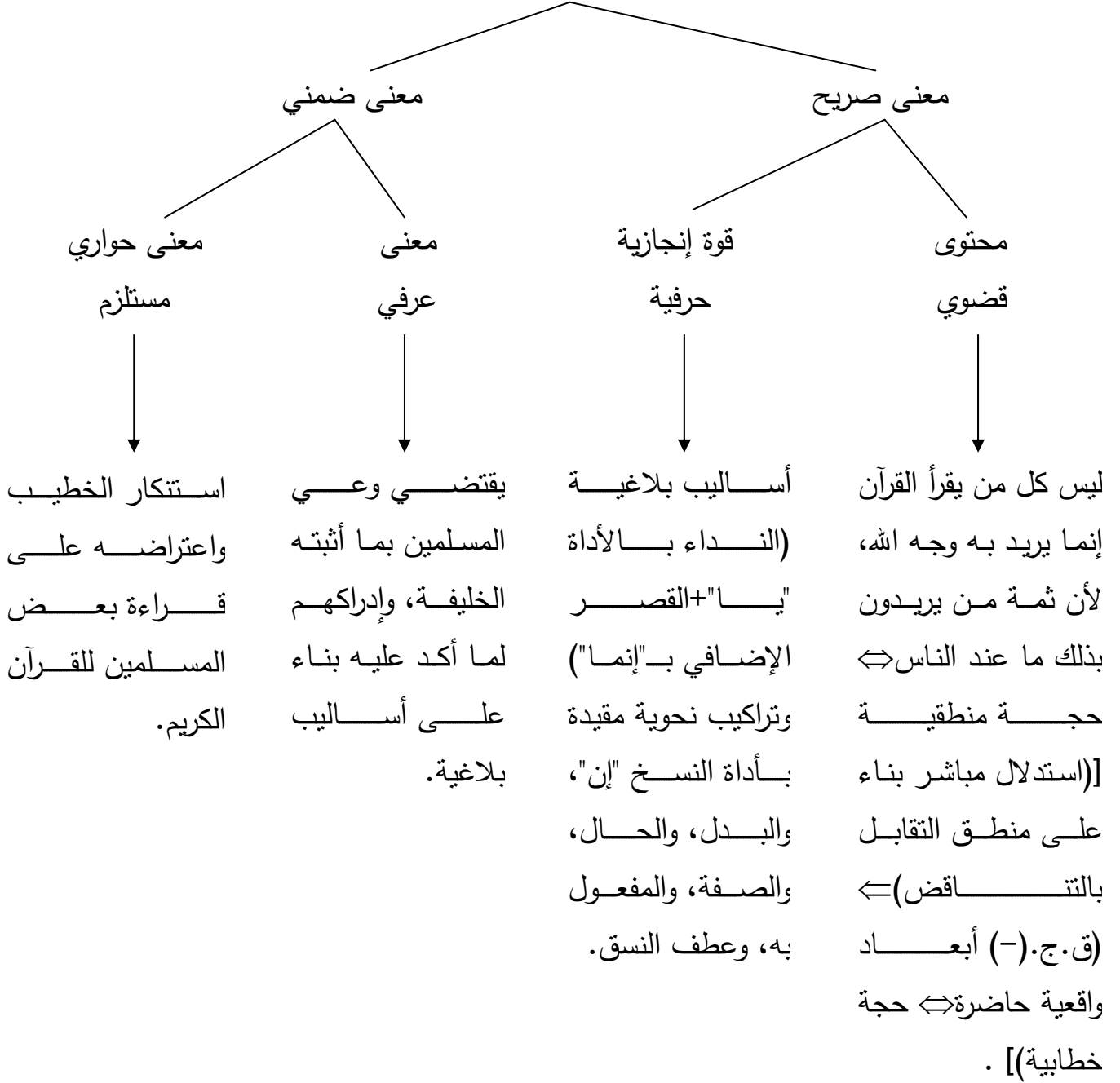
و المخطط الآتي يلخص دلالة البنية النصية بناء على تحليلها وفق نظرية الاستلزام الحواري:

*- قصر الصفة على الموصوف قصرا إضافيا هو ما لا تتجاوز فيه الصفة الموصوف إلى غيره من الموصوفات أو الموصوفين وإن كان هو يتجاوزها إلى صفات أخرى (قصر صفة قراءة القرآن على إرادة الله بها- موصوف -).

¹ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص170، 171.

² - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص53، 56.

دلالة البنية النصية



- المخطط رقم 06 -

III- منطق الدخول تحت التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب عثمان بن عفّان:

إذا كان التّضاد في اللغة يأتي بمعنى التّخالف¹، فإن الدخول تحت التّضاد عند المنطقة يقوم بين قضيتين جزئيتين مختلفتين في الكيف، وهما الجزئية الموجبة، والجزئية السالبة²، وحكم القضايا المتقابلة بالدخول تحت التّضاد حسب جدول الأحكام يحدده قانون يقتضي: "إذا كذبت إحدى القضيتين صدقت الأخرى، وإذا صدقت إحداها فقد تكذب الأخرى"³.

بناء على ذلك يكون قول "عثمان بن عفان" - رضي الله عنه - من النموذج الخطابي الأول: "إنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء"⁴، بنية نصية ثبتت حجيتها ضمن سياق خطابي يروم دحض ادعاء المعارضين، والمناسبة الموقفية للخطاب تبين هذا السياق، حيث ثبت تاريخياً أن بعض المسلمين قد خرجوا عن طاعة عثمان، لأنهم أنكروا عليه توليه الحكم، فقالوا بأن تخلي عثمان عن خلافة المسلمين وتبرؤه من إمارتهم فيه عدل بينهم، أما قضاؤهم القتال من دونه ففيه حسب رأيهم إنصاف لهم⁵. وهذا ما أدى بالخليفة إلى التصدي لهم لا بالقوة والعنف، وإنما من خلال عدة خطابات ألقاها فيهم محاججا إياهم، ورادا بها عليهم آراءهم، فكان خطابه الذي بينه النموذج الأول حجاجا صريحا لجأ من خلاله الخطيب إلى بناء حجة منطقية، وذلك أن الجملة التي افتتح بها الخطاب: "إنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تنصفوا في القضاء" إنما هي نتيجة منطقية توصل إليها عن طريق محاجة الخصم بالبرهان، حيث كافأت هذه النتيجة قضية حملية جزئية الكم سالبة الكيف تقديرها: "بعض المسلمين لم يعدلوا في المنطق، ولم ينصفوا في القضاء"، على أن السياق العام للخطاب يقتضي أن يكون لهذه القضية قضية تقابلها بناء على أن بعضا من المسلمين يعتقدون أنهم عدلوا في المنطق، وأنصفوا في القضاء، وهذا الاقتضاء يستلزم أن القضية جزئية موجبة تقديرها: "بعض المسلمين عدلوا في المنطق، وأنصفوا في القضاء".

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضدد)، 113/4.

² ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص 57.

³ نفسه، ص. نفسها .

⁴ الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 667/2.

⁵ ينظر: السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 126 - 130.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وحتى يرد الخليفة على مناوئيه هذا الاعتقاد، عمد إلى البرهان على كذب القضية الجزئية الموجبة بتوظيفه أساليب لغوية مكنته من بناء بنيتين حجاجيتين تصنفان ضمن ما اصطلح عليه منظرو الحجاج بـ "موضع الكيف"، وتكمن الخاصية الحجاجية لهذه الأخيرة في وحدتها الشكلية أثناء مواجهة الجمع نحو: موضع الحق في ذاته الذي يباين كل ما عداه من باطل، في مقابل "موضع الكم" التي تعمل على إثبات أن أمراً أفضل من آخر انطلاقاً من معايير كمية¹.

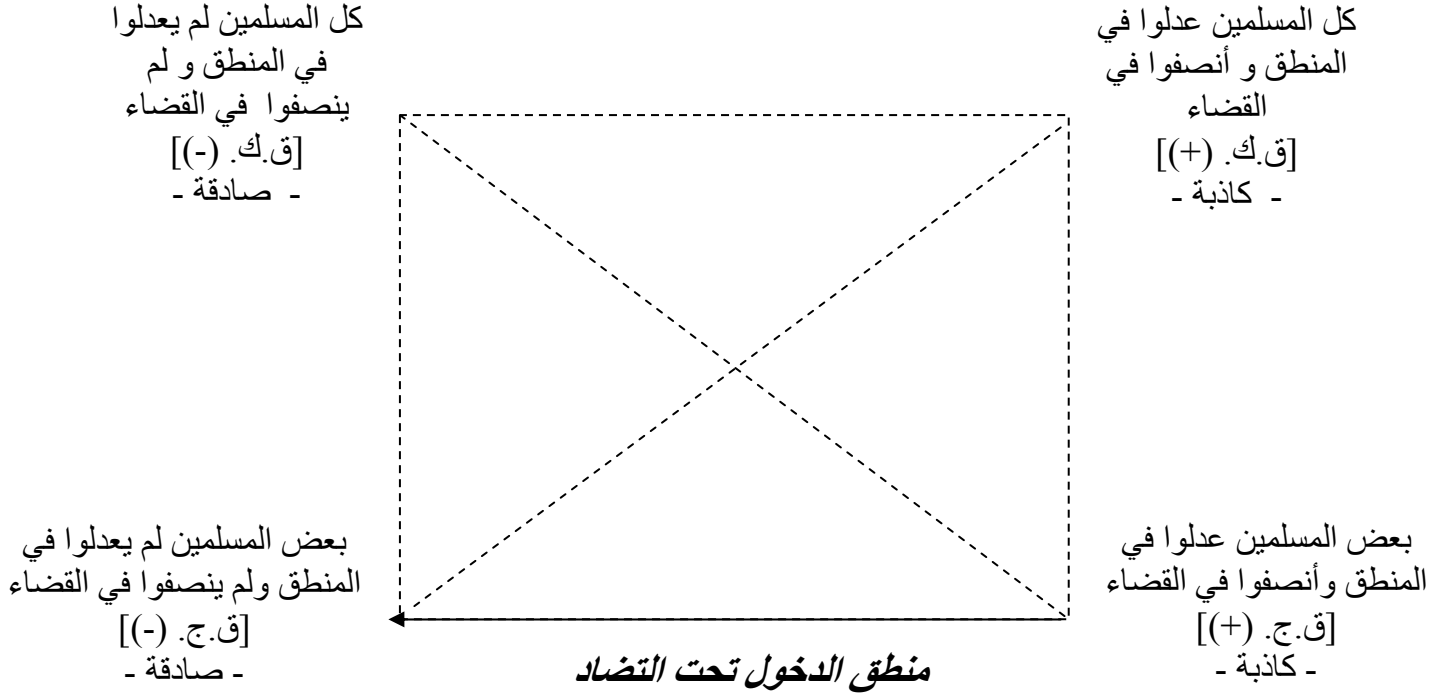
ويمكن الاستدلال على مدلول البنية الأولى من خلال قول الخطيب: "أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصاً قمصنيه الله - عزوجل - وأكرمني به وخصني به على غيري، ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإني - والله - الفقير إلى الله، الخائف منه. أما أن أتبرأ من الإمارة، إن تصلبوني أحب إليّ من أن أتبرأ من أمر الله وخلافته"². وهذا الموضع - في هذه الحالة - يبيّن الحق، وبالتالي فإن ما يخالفه باطل؛ لأنه يخالف أمر الله تعالى، وأمر الله تعالى حق في ذاته، لذلك يكون اعتقاد المعارضين بأنهم عدلوا في المنطق بين المسلمين مردود عليهم، أما قوله: "وأما قولكم: تقاتلون من قاتل دوني، فإني لا أمر أحداً بقتالكم، فمن قاتل دوني فقد قاتل بغير أمري. ولعمري، لو كنت أريد قتالكم، لقد كتبت إلى الأجناد، فقادوا الجنود وبعثوا الرجال أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق. فالله الله في أنفسكم، فأبقوا عليها إن لم تبقوا عليّ، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً"³، فإنما هو بنية حجاجية ثانية فنّد من خلالها الخليفة إمكانية أن يكون قضاء المعارضين فيه إنصاف للمسلمين، لأن تقاتل فنتين دعوتها واحدة يؤدي إلى الفتنة، وبما أن الفتنة باطل فإن العدول عما يؤدي إليها حق، وبالتالي فإن الخليفة على حق، وترتب على هذا البرهان أن تكون العلاقة بين القضيتين علاقة منطقية حسب قاعدة الدخول تحت التضاد، ومربع التقابل يوضح منطقية هذه العلاقة وفق ما يلي:

¹ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 113؛ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ص 72.

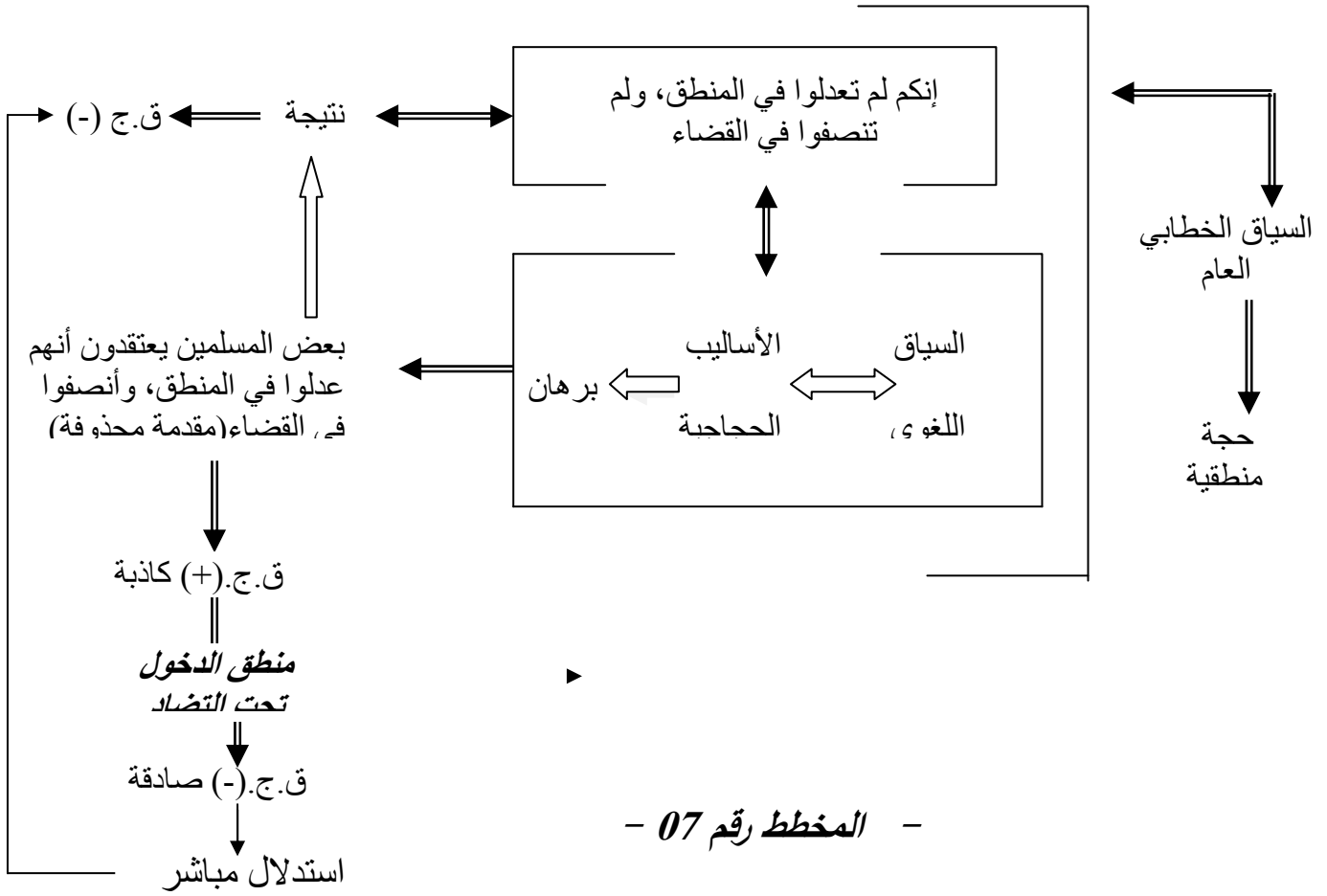
² - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 667/2.

³ - نفسه، ص. نفسها.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين



وعليه، كان تقابل القضيتين الحمليتين بناء على إثبات صدق الجزئية السالبة من خلال تنفيذ الجزئية الموجبة استدلالاً مباشراً أسهم في بناء حجة منطقية حسب الآتي:



إن مدلول المخطط يحيل إلى ما صرح به "إرفنغ غوفمان" (E.Goffman) بقوله: "من المسلّم به أن الأقوال تفترض لا فقط نصا سابقا وأشياء متوافرة في المحيط المباشر ومعارف واردة، ولكن تفترض أيضا معايير سلوك"¹، وذلك أنه كان للظواهر السلوكية التي أوحى بها مناسبة الخطاب وظروفه المقامية دورا وظيفيا في تحديد نظام البنية المنطقية، حيث عمل هذا النظام على ضمان الاتساق فيما بين القضايا الاستدلالية، وبالتالي فإن منطق الاستدلال في البنية النصية ككل لم يكن وراء تركيب لغوي معين، وإنما نشأ بتضافر بنى لغوية وأخرى غير لغوية، فأسهم ذلك في بناء وحدة تواصلية لها أبعاد تداولية تقتضي

¹ فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة: صابر الحباشة ، دار الحوار للنشر و التوزيع ، اللاذقية ، سورية ، ط1 ، 2007 م ، ص77.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

استلزاما تحاوريا - وإن كان مبدأ التعاون قائما- قد يدفع بالمتلقي إلى فعل معين، سواء على مستوى سلوكاته أو على مستوى قناعاته و أفكاره .

و يمكن استنتاج طبيعة هذه الأبعاد بتحليل الوحدة التواصلية حسب ما يلي:

1- المعنى الصريح للبنية المنطقية يقتضي:

أ- قوة إنجازية حرفية تمثلها تراكيب نحوية متسقة دلاليا، مقيدة بأدوات التأكيد والقسم والنفي والشرط: "جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "إن" خبر جملة فعلية مقيدة بأداة النفي "لم" + وصل بلاغي ب"الواو" (غرضه إشراك الجملة الموالية في الحكم الإعرابي للجملة السابقة) + جملة فعلية مقيدة بأداة النفي "لم"] + أسلوب شرطي (جملة الشرط اسمية + جملة الجواب فعلية) [مقيد بأداة الشرط "أما"، وحرف النفي "لا"، والمفعول به، والنعت (جمل فعلية تم الوصول فيما بينها بلاغيا ب"الواو"] + استئناف بحرف "الواو" + جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "لكن" وحرف النفي لا، والمفعول به (خبرها متعدد ← جمل فعلية تم الوصل بينها بلاغيا ب"الواو")] + استئناف ب"الفاء" + جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "إن" + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها متعدد معرف بـ "ال" (غرضه إفادة قصره على المسند إليه مبالغة لكمال معناه في المسند إليه)، والقسم التأكيدي الوارد بين اسم "إن" وخبرها جملة اعتراضية] + أسلوب شرطي (جملة الشرط اسمية + جملة الجواب اسمية) [مقيد بأداة الشرط "أما" والمفعول به] + استئناف ب"الواو" + أسلوب شرطي (جملة الشرط اسمية + جملة الجواب اسمية) [مقيد بأداة الشرط "أما" و أداة النسخ "إن" وحرف النفي "لا" والمفعول به] + استئناف ب"الفاء" + أسلوب شرطي (جملة الشرط اسمية + جملة جواب الشرط فعلية مصدرية بقدر [مقيد باسم الشرط "من"] + استئناف بالواو + جملة اسمية خبرها محذوف وجوبا لإنشاء القسم (تقديره "قسمي")¹ [لام الابتداء + مبتدأ معرف بالإضافة (ضمير متصل في محل جر مضاف إليه) + جواب القسم أسلوب شرطي² (مقيد بأداة شرط "لو"، والفعل الناسخ "كان" والمفعول به، جوابها جملة جواب القسم المقدر (جملة اسمية مصدرية ب"لقد" لإنشاء القسم³ + مقيدة بالفعل الناسخ "كان") + وصل بلاغي بالفاء + جملتين فعليتين تم وصلهما بلاغيا

¹ - صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1،

2009 م ، ص67.

² - نفسه ، ص98.

³ - نفسه ، ص103.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

بالواو [مقيدتين بالمفعول به] + وصل بلاغي بـ"أو" + جملة فعلية [مقيدة بعطف نسق أدواته "أو"] + استئناف بالفاء + جملة فعلية [مقيدة بالمفعول به (حذف المسند والمسند إليه وجوبا لإنشاء التحذير)] + أسلوب شرطي [مقيد بأداة الشرط "إن" وحرف النفي "لم" (جوابه جملة فعلية محذوفة تدل عليها الجملة الفعلية المتقدمة < ف + فعل أمر + شبه جملة جار ومجرور) <⇒ رأي البصريين¹] + أسلوب شرطي [مقيد بأداة الشرط "إن"، والمفعول به (جوابه جملة اسمية محذوفة تدل عليها الجملة الاسمية المتقدمة < ف + إن + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها + شبه جملة (حرف جر + اسم مجرور (مضاف) + مضاف إليه) + تمييز] <⇒ رأي البصريين².

ب- **محتوى قضويا** ترتب على القوة الإنجازية الحرفية، أفاد بأن الخطيب يأخذ على مناوئيه خروجهم على أمره بناء على أسباب خاصة بهم، فيعدهم بالتوبة إلى الله فيما أعابه المسلمون عليه، لكنه يرفض التخلي عن السلطة ويتمسك بمنصبه الذي وصل إليه بشرع الله وأمره، وإن استدعى الحال نشوب حرب بين الطرفين، فإن ذلك لن يكون بأمره ولا بقيادته، لأن فيه فتنة للمسلمين.

2- المعنى الضمني للبنية المنطقية:

بناء على القوة الإنجازية الحرفية، ومدلول المحتوى القضوي يتضح أن المقاصد التخاطبية متعددة، حيث اعترض الخطيب في بداية خطابه على ما أقرّ به معارضوه و استدل على حجية اعتراضه بمؤكدات برهانية، ثم جنح إلى الوعد بتعديل سياسته في التعامل مع المسلمين إن كان فيها أذى لهم، ومن ثم حذر معارضيه برفق ولين راجيا منهم أن يعيدوا النظر فيما عزموا عليه لأن فيه هلاكهم، وهلاك المسلمين قبل هلاكه وكان للكناية³ في إثبات هذا المعنى أثر واضح، لأن من أسرار بلاغتها عرضها الحقيقة مصحوبة بدليلها، وطرحها القضية وفي كنهها برهانها⁴، وإن كانت إمكانية إرادة المعنى الأصلي واردة بقول الخطيب: "إنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دما"؛ فإن قرينة عقلية تستبعد ذلك،

¹ السابق ، ص87، 88.

² ينظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص66، 272؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص150، 151، 156.

³ ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص286، 287، 288.

⁴ نفسه ، ص293.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

فالخطيب لا يخشى إراقة الدم بقتله، وإنما سعى إلى الترهيب من وقوع فتنة قد لا توصل أبوابها أبداً.

ضف إلى ذلك أن الأساليب البلاغية المقيدة بالنفي، والشرط، وأدوات النسخ والقسم كان لها أثر واضح في بيان الأغراض الكلامية¹، حيث أفادت الجمل المنفية بـ "لم" و "لا" غرض الاعتراض، أما أساليب القسم (والله، لعمرى، لقد)² فكان لها مدلول تأكيدي، وهو ما دعم وظيفة أداة النسخ "إن"، كما كان لأداة النسخ "لكن" وظيفة بلاغية أحال إليها غرض الوعد، على حين حمل أسلوب التحذير³ بقول الخطيب: "الله الله في أنفسكم" مدلول الترجي والاستعطاف، ومن ثم عضدت صيغة الأمر بقوله: "فأبقوا عليها" هذا الغرض البلاغي، وأما الشرط بـ "أما، ومن، ولو، وإن" فكان غرضه إيضاح وجهة نظر الخطيب وبيان رأيه، إضافة إلى أداء "أما" وظيفة التأكيد بما أنها حرف شرط وتفصيل وتوكيد⁴.

وما تجدر الإشارة إليه أيضاً، هو قول الخطيب: "الله الله في أنفسكم، فأبقوا عليها إن لم تبقوا، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر إن قتلتموني دماً"، وذلك أن سيئويه وجمهور النحاة رأوا أن جملة جواب الشرط لا تتقدم على جملة الشرط إطلاقاً وإنما الجملة المتقدمة تدل على جملة الجواب المحذوفة (رأي البصريين)⁵، إلا أن من النحاة من رأى أن السياق اللغوي يكون له أثر في بلاغة المعنى بهذا التقديم، حيث تقدم جملة الجواب للتوكيد، وللتنويه بما سبق ذكره على سبيل القصر (رأي الكوفيين)⁶.

وعليه، ورغم أن بعض الأغراض البلاغية كان لها أثر مؤجل (الوعد، الرجاء)، وبعضها الآخر كان له علاقة بجوانب منطقية (الاعتراض، التأكيد)، فإن ذلك وإن أدى بالمتلقي إلى إعادة نظر في السلوكات، فإنه لم يؤد به إلى إحداث أي أثر في القناعات والأفكار، لأن الخطيب في موقفه ذلك وقف أمام متلق أثبت التاريخ أنه متلق من نوع خاص، إذ لم تؤثر فيه عوامل التأكيد والتوجيه والالتزام، وأساليب الوعد والرجاء.

¹ السابق، ص 150، 151، 155.

² إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، ص 135، 136، 137.

³ ينظر: نفسه، ص 95.

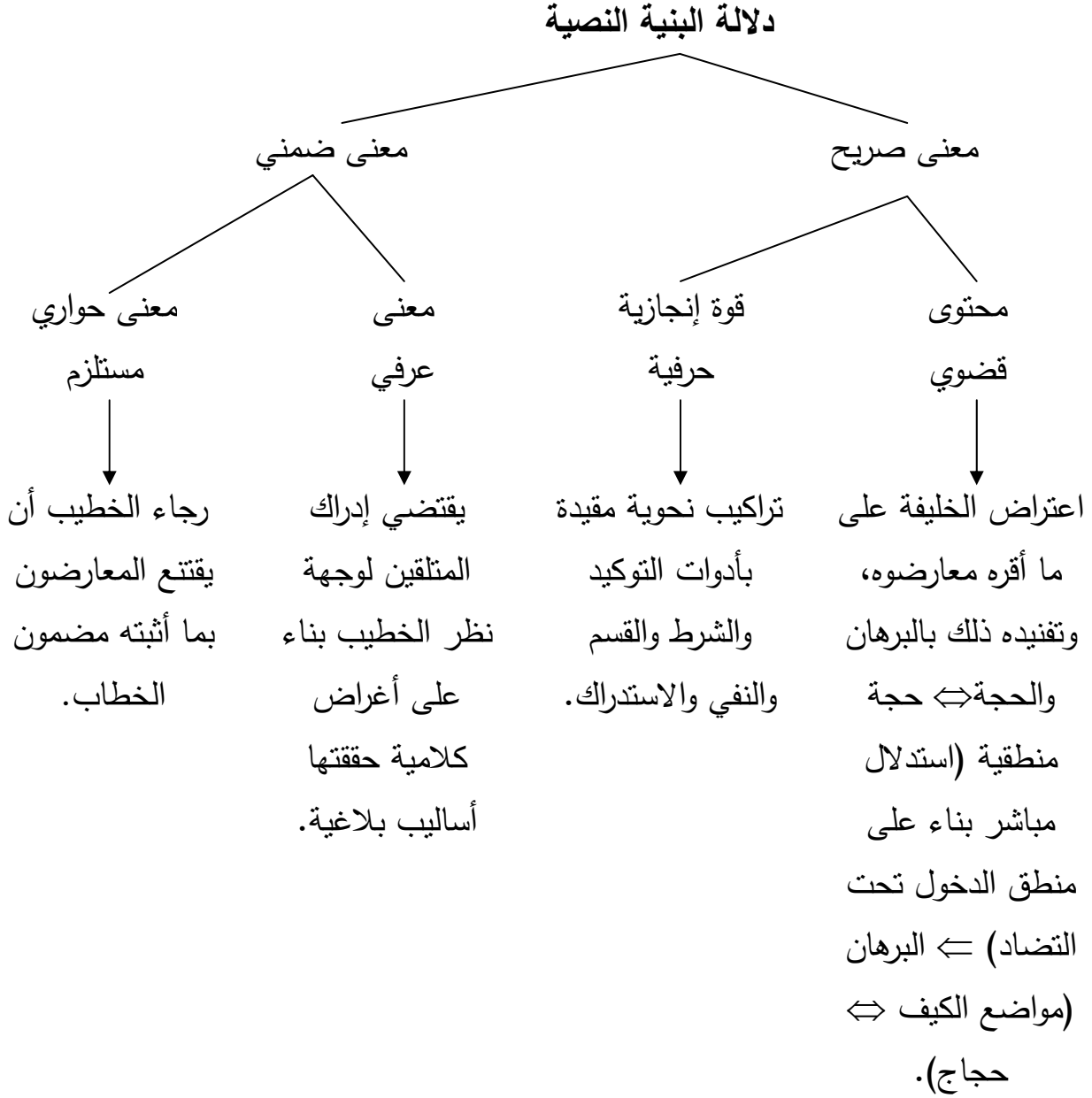
⁴ عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع -، ص 52.

⁵ صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، ص 87، 88.

⁶ محمد كراكبي، بنية الجملة ودلالاتها البلاغية في الأدب الكبير لابن المقفع - دراسة تركيبية تطبيقية -، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أريد، الأردن، ط1، 2008م، ص 112.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

بناء على هذا التحليل يمكن تلخيص دلالة البنية النصية حسب المخطط الآتي:



- المخطط رقم 08 -

IV- منطق التّضاد وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب:

بما أن التّضاد في المنطق الصوري هو تقابل قضيتين كليتين مختلفتين في الكيف، إذ يقوم بين الكلية الموجبة والكلية السالبة، فإن ذلك يؤدي إلى منطق تكون عليه القضايا في حالة اتحاد في الكم (الكلي) واختلاف في الكيف؛ أي أن تكون إحدى القضيتين موجبة والأخرى سالبة¹.

وحكم القضايا المتقابلة بالتضاد تم الوصول إليه من طريق القانون الذي ينص على: "إذا صدقت إحدى القضيتين كذبت الأخرى، وإذا كذبت إحدهما فقد تصدق الأخرى"²، وجدول الأحكام السابق لخص كل الحالات المتعلقة بهذه القاعدة.

وبالتالي، يأتي التقابل بالتضاد في النموذج الأول من خطاب "علي بن أبي طالب" - رضي الله عنه - حين قال: "لقد بلغني أنكم تقولون: "علي يكذب"! قاتلكم الله! فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به؟ أم على نبيه؟ فأنا أول من صدقه؟ كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها. ويلمه كيلا بغير ثمن، لو كان له وعاء، ولتعلمن نبأه بعد حين!"³.

إنّ البنية النصية حجة منطقية ردّ بها الخليفة رأي من حكموا عليه بالكذب، وذلك أن قول أهل العراق: "علي يكذب" حكم ذاتي يكافئ ما اصطلح عليه المناطقة بـ"القضية الشخصية"؛ لأن القضية الشخصية هي ما انصب فيها الحكم على شخص بالذات، وقول العراقيين حسب هذا المفهوم يوافق تماما الصيغة الرياضية "كل ع هي ح"، وبالتالي تدمج القضية الشخصية في القضايا الكلية موجبة كانت أم سالبة⁴.

بناء عليه يتم تقدير قول العراقيين في هذه الحالة بـ:

"كل كلام علي فيه كذب"، فتكون الجملة الاسمية "علي يكذب" قضية حملية كلية الكم موجبة الكيف، وبما أن قاعدة التّضاد تقتضي أن تتقابل القضية ك. (+) مع قضية أخرى تتفق معها

¹ - ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص57.

² - نفسه ، ص. نفسها.

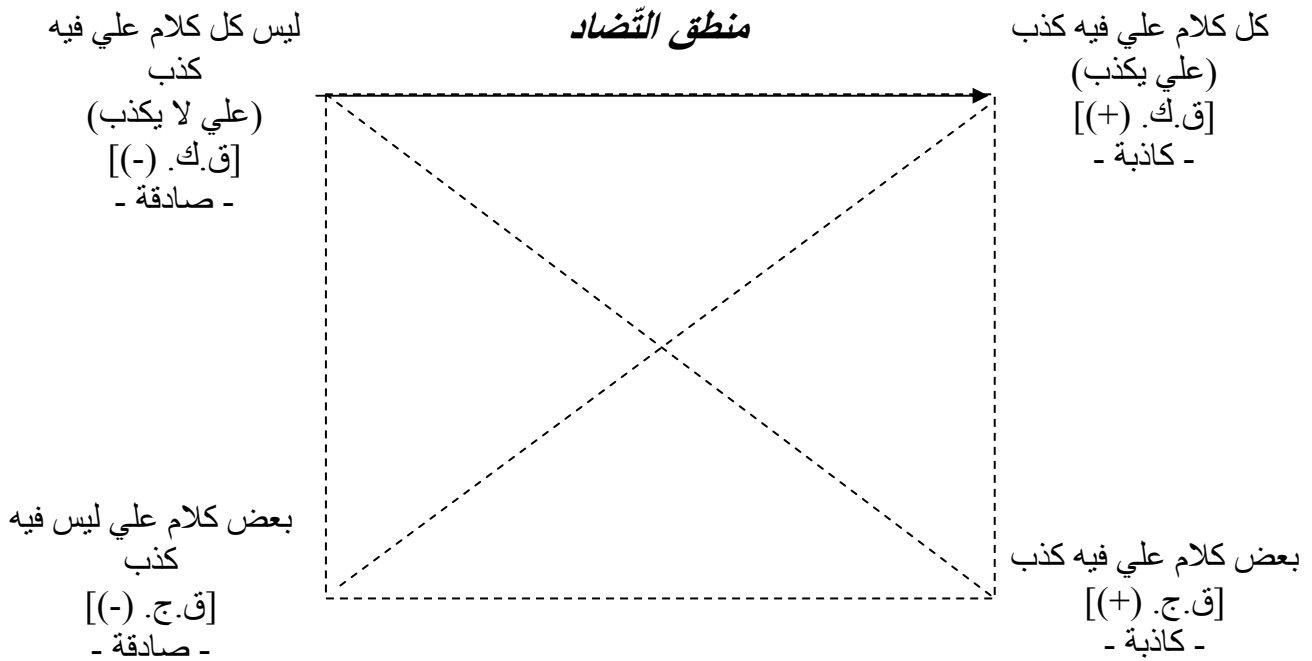
³ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، شرح: محمد عبده ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 2005م، 74/1.

⁴ - محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص71.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

في الكم وتخالفها في الكيف، أي أن تكون ك.(-)، فإن القول الذي صاغه الخطيب، والذي حمل في طياته بنية متفقا على حجيتها حقق ذلك، حيث برهن من خلال هذه البنية على أن ادعاء العراقيين باطل، وما قوله: "فعلى من أكذب؟ أعلى الله فأنا أول من آمن به؟ أم على نبيه فأنا أول من صدقه؟" إلا دليلا على ذلك، حيث ثبت تاريخيا أن عليا - كرم الله وجهه - أول صبي آمن بالله، وصدق رسوله¹.

وقد استوحى الخطيب من هذا الواقع التاريخي طاقة حجاجية شحن بها أساليب خطاب ألقى على تجمع بشري يدرك جيدا أن الإيمان الصحيح والكذب لا يلتقيان، فكيف يجترئ علي الكذب على الله أو على رسوله مع قوة إيمانه، وكما يقينه، وبالتالي أتت مواضع الكيف² مرة أخرى لتثبت أن عليا لا يكذب، فأدى ذلك إلى أن تكون نتيجة البرهان: "علي لا يكذب" هي ما يكافئ القضية الكلية السالبة، وبما أن السياق الاستدلالي حكم بصدق هذه القضية، فإن منطق التقابل بالتضاد يقتضي حتما أن تكون القضية الكلية الموجبة كاذبة، ومربع التقابل الموالي يوضح ذلك:

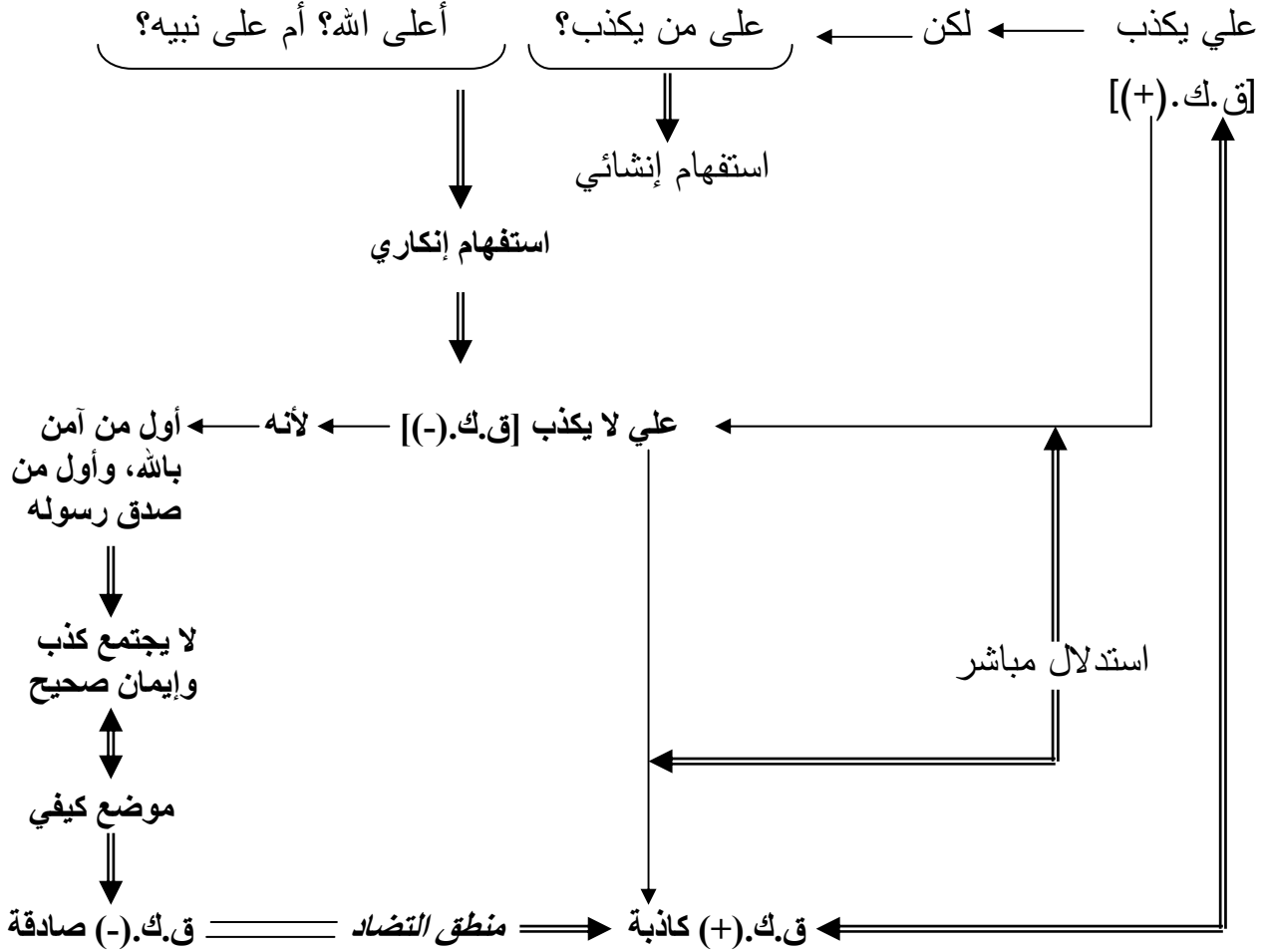


¹ - السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 134.

² - ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 113.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وفيما يلي يتم تلخيص خطوات الاستدلال المباشر بناء على منطق التقابل بالتضاد:



- المخطط رقم 09 -

بناء على ما أثبتته المخطط، يتضح أن للبنية المنطقية أبعادا تداولية تقتضي استلزاما حواريا - رغم أن قواعد التعاون متحققة - يوحي به السياق الاستدلالي بناء على دلالة تحيل إلى:

1- معنى صريح يستدعي:

أ- **قوة إنجازية حرفية** تحددها تراكيب نحوية مقيدة بأساليب التأكيد والشرط، وأدوات النفي: "جملة فعلية [مصدرة بـ"لقد" لإنشاء القسم (الجملة الفعلية جواب لقسم يقدر بالجملة الفعلية "أقسم" أو شبه الجملة "والله")¹] + جملة فعلية [مقيدة بالمفعول به فاعلها لفظ الجلالة (الله) لإنشاء الدعاء]² + استفهام إنشائي بـ "على من؟" [غرضه التعجب] + استفهام إنكاري بـ"الهمزة" (همزة التعيين)³ + نفي بأداة الردع "كلا"⁴ + أسلوب قسم [والله] جوابه محذوف لدلالة السياق عليه⁵ [تقديره: "أنا لا أكذب"] + جملة اسمية [مقيدة بأداة الاستدراك "لكن"، والصفة (جملة فعلية + وصل بلاغي بـ"الواو" + جملة اسمية مقيدة بأداة النفي "لم"، والفعل الناسخ "كان")⁶] + جملة اسمية [خبرها جملة فعلية مقيدة بالمفعول المطلق (تم حذف فعلها وفاعلها لإنشاء المدح بكلمة الاستعظام "ويلمه")⁶] + أسلوب شرطي [مقيد بأداة الشرط "لو"، والفعل الناسخ "كان" + جوابه جملة اسمية محذوفة دلت عليه الجملة الاسمية المتقدمة (رأي البصريين)]⁷ + استئناف بـ"الواو" + جملة فعلية [مؤكدة بما لحق الفعل لتعلمن (اللام والنون الثقيلة) لإنشاء القسم (الجملة الفعلية جواب لقسم مقدر - والله -)⁸ + مقيدة بالمفعول به، والمفعول فيه (ظرف زمان)].

ب- **محتوى قضوي** يتوسل من القوة الإنجازية الحرفية مدلولاً سياقياً مقتضاه حكم أهل العراق على علي بالكذب، ولكن المحكوم عليه استدرك ذلك بتفنيده هذا الحكم.

¹ إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، ص145، 146.

² نفسه، ص101.

³ إياد عبد المجيد إبراهيم، في النحو العربي - دروس وتطبيقات -، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2002م، ص203.

⁴ نفسه، ص226.

⁵ صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، ص99.

⁶ الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج1، هامش ص74.

⁷ صبحي عمر شو، أسلوب الشرط و القسم من خلال القرآن الكريم، ص87، 88.

⁸ نفسه، ص68.

2- معنى ضمني: تحيل إليه الأغراض البلاغية بناء على أساليب لغوية كان لها أثر بالغ في تنفيذ حكم المدعين، حيث حمل أسلوب الاستفهام الإنكاري مدلولاً اعتراضياً، بما أن المعنى بعد أداة الاستفهام (الهمزة "أ") أفاد النفي¹، وبالتالي خرج الاستفهام عن معناه الأصلي للدلالة على أن المستفهم عنه أمر منكر شرعاً لا عرفاً، مستمداً مصداقية هذه الدلالة من مرجعية تاريخية، وفي هذه الحالة يكون غرضه إبطالاً لا توبيخياً².
أما تقييد الجمل بأدوات النفي وأسلوب الشرط في خاتمة الخطاب فقد حمل بعداً سلوكياً اقتضاه مدلول الذم، وهو مدلول أوحى به الصورة البيانية التي احتوتها التراكيب المقيدة بقول الخطيب: "كلا والله ولكنها لهجة غبتم عنها ولم تكونوا من أهلها ويلمه كيلاً بغير ثمن، لو كان له وعاء؛" و هي صورة يمكن تقديرها من خلال تركيب أبسط بـ: "أنا أكيل لكم الحكمة كيلاً بلا ثمن لو أجد وعاء أكيل فيه، أي لو أجد نفوساً قابلة وعقولاً عاقلة"³.
إذاً، يكون التصوير البياني مجازاً مفرداً بالاستعارة (استعارة تصريحية)، له أثر واضح في بلاغة المعنى، كما أسهم إسهاماً جلياً في مقارنة مدلول الذم، حيث استعار الخطيب لفظ الوعاء (مشبه به) للدلالة على عقول واعية (مشبه)، بناء على وجه شبه لم يذكر، بما أن المجاز المفرد بالاستعارة لا بد فيه من عدم ذكر وجه الشبه، وأداة التشبيه أيضاً، بل ولا بد من تناسي التشبيه الذي من أجله وقعت الاستعارة فقط مع ادعاء أن المشبه عين المشبه به⁴، ويمكن شرح هذه الصورة بشكل أوضح من خلال ما يلي⁵:

¹ - خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، ص 63.

² - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 98 ، 99.

³ - الشريف الرضي، نهج البلاغة ، ج1، هامش ص74.

⁴ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص258.

⁵ - ينظر: نفسه ، ص. نفسها.

الفصل الثاني ===== بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

*مستعار منه ← وهو المشبه به: الوعاء.

*مستعار له ← وهو المشبه: العقول الواعية (محذوف) + الأداة (محذوفة)

+ وجه الشبه (محذوف).

*مستعار ← وهو اللفظ المنقول: الوعاء بمعناه المجازي في سياقه الجديد

(أكيل لكم الحكمة بغير ثمن لو أجد

عقولا واعية كالوعاء الذي لا يضيع

ما يوضع فيه).

*العلاقة ← المشابهة.

*القرينة ← مقالية (لهجة الحكمة).

وعليه، فإن الخطيب عقد الصورة البيانية بناء على تشبيه العقول الواعية بالوعاء الذي يحتوي ما يوضع فيه ولا يضيعه، على أن القرينة المقالية بقول الخطيب: "لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها" أي لهجة الحكمة، منعت من إرادة الوعاء حقيقة، فورد مجازاً؛ لأن ما يحتوي هذه اللهجة ليس الأوعية، بل العقول التي تفقهها وتعيها، ومن ثم لا تضيّعها، وبالتالي فإن وجه الشبه المحذوف لم يصدق على العراقيين، لأن عقولهم لم تدرك - قبل هذا الموقف - أبعاد النصيحة التي أسداها إليهم، إذ كذبوه، لذلك فإن عقولهم وإن كانت أوعية فإنها أوعية غير صالحة للكيل بما أنها تأبى الحكمة حيث كانت.

علما أن المجاز قسيم الحقيقة، فالحقيقة اللغوية هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له، والمجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع¹، والمجاز نوعان، عقلي ولغوي، على أنه ورد في البنية النصية لغوياً لا عقلياً، وبالتحديد استعمالاً لا مراسلاً، بما أنه مجاز لا علاقة له بالإسناد النحوي من جهة، ولأنه لم يرسل عن التقييد بعلاقة المشابهة من جهة أخرى².

¹ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تقديم وتبويب و شرح: علي بوملحم، دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د. ط، 2000 م، ص 229، 230.

² عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع -، ص 337، 350، 351.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

بناء على هذا المفهوم يكون اللفظ الذي لا يتصرف فيه عند الاستعمال "حقيقة"¹،

أما اللفظ الذي يتصرف فيه عند الاستعمال²:

فإن كان التصرف بإسناده إلى غير ما حقه أن يسند إليه سمي "مجازا عقليا"، أو "إسنادا مجازيا".

وإن كان هذا التصرف ينقله من معنى لمعنى لعلاقة وقرينة: فإن منعت قرينته إرادة المعنى الموضوع له فـ"مجاز بالاستعارة" إن كانت العلاقة المشابهة، وإن كانت العلاقة غيرها فـ"مجاز مرسل".

على أن من المعلوم أن القرينة إن لم تمنع إرادة المعنى الأصلي، فإن الصورة البيانية تكون إما "تشبيها" يعتد بأدوات معلومة، وإما "كناية" ذات أقسام محدودة.

ولما كانت الاستعارة في اصطلاح البيانين هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي³، فإن فاعليتها في الخطاب كمننت في تناسبها مع ما اقتضاه السياق، حيث مثلت أبلغ وأقوى الآليات اللغوية، و يظهر التوجه العملي لها في ارتكازها على المستعار منه؛ فكانت بذلك أدعى من الحقيقة في تحريك همة المتلقي إلى الاقتناع، ووسيلة من أهم الوسائل اللغوية التي استغلها الخطيب واعتمدها بشكل كبير جدا في تنفيذ حكم المدعين عليه، ومن ثم للوصول إلى أهدافه الحجاجية بما أن التسليم بفرضية الطابع المجازي للغة كان قائما آنذاك⁴.

ويجدر التنويه في هذه الحالة، بأن الخطيب في مقامه هذا لم يكثر بموقف المتلقي وما تتركه المقاصد التخاطبية والأغراض الكلامية من أثر في نفسه، إذا اقتصر هدفه على التنفيذ، ولم يعنه أ اقتنع المتلقي أم لم يقتنع، بناء على أن ما قد يترتب على هذه المقاصد والأغراض من آثار في السلوكات والأفكار يكون قد فات أوانه، أما مقتضى التنفيذ إنما نجم

¹ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع ، ص217.

² - نفسه ، ص 217 ، 218.

³ - نفسه ، ص258.

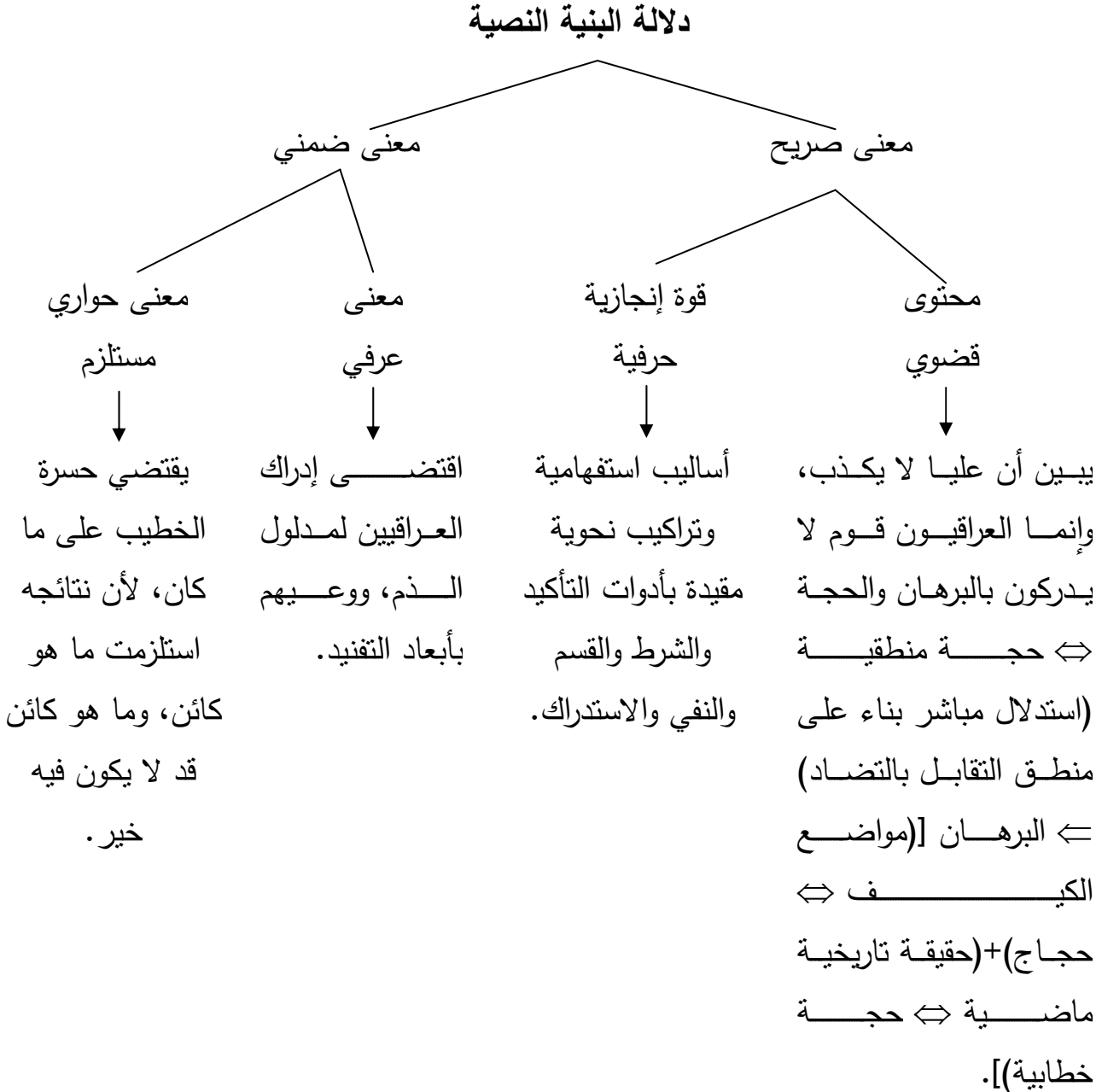
⁴ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص496، 497.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

عن حسرة خلفتها عوامل معصية أثبتت مناسبة الخطاب وظروفه الخارجية أن إمكانية إصلاح نتائجها أمر مستحيل.

وفيما يلي تلخيص لدلالة البنية النصية بناء على تحليلها حسب نظرية الاستلزام

الحواري:



- المخطط رقم 10 -

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وفي مقام خطابي آخر لجأ "علي بن أبي طالب" - رضي الله عنه - إلى منطق التقابل بالتضاد أيضا، وذلك حين ألقى في العراقيين خطبته الشهيرة الموسومة بخطبة الجهاد (النموذج الخطابي الثاني)، حيث استدعى الموقف الختامي منها تفنيد ما ادعته قريش في حقه، وكان لموضع الكم هذه المرة أثر واضح في ذلك¹، لأن قول الخطيب: "أفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: "إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب"، لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني؟ ولقد نهضت فيها، وما بلغت العشرين، وها أناذا قد ذرفت على الستين، ولكن "لا رأي لمن لا يطاع"² يشير إلى أن قول القرشيين حكم ذاتي يكافئ قضية كلية سالبة تتضاد مع قضية كلية موجبة يحيل إليها السياق الاستدلالي إثر استحضار مواضع كمية أثبتت أن باع "علي" في الحرب أطول من باعهم، مستمدة في هذا الإثبات حقائقها من وقائع التاريخ وأحداثه، بما أن الحقائق قد تقوم على فكرة الربط بالواقع³، فكان التاريخ بذلك بنية جاهزة أدت أهلية الخطيب وبراعته في توظيفها حسب ما يتطلبه السياق إلى تأسيس دعامة حجاجية أنبأت طبيعتها المصدرية عن مدى قوتها⁴، حيث ثبت تاريخيا أن "عليا" قديم العهد بالحرب، فقد شارك في جميع غزوات الرسول - عليه الصلاة والسلام - إلا غزوة تبوك، وساند الخلفاء في معظم الفتوحات الإسلامية، ولما آلت إليه الخلافة ظل قائما على الجهاد، دائم الدعوة إليه حرصا منه على أداء حق الرعية عليه، بحكم استفحال الفتن الطائفية التي أدت إلى اضطرابات سياسية معقدة خلال هذه الفترة، فكان شديد المراس في جميع الحروب التي خاضها، شجاعا مظفرا يحمل اللواء في أغلبها⁵.

وعليه، فإن مصداقية هذه الدعامة تؤكد أن "عليا" وإن لم يكن أعلم من قريش بالحرب، فإن له دراية بها.

¹ - ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص113.

² - الشريف الرضي، نهج البلاغة، 46/1.

³ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص111، 112.

⁴ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص537.

⁵ - السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص134، 139، 140؛ محمود شاكر، موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م، 401/1، 402.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

إضافة إلى أن البنية النصية قد احتوت دعامة حجاجية أخرى أسهمت في عضد هذه النتيجة، وذلك حين قال الخطيب مثلما قالت العرب قبل موقفه هذا: "لا رأي لمن لا يطاع"¹، إذ يمكن للمثل بما أنه تشبيه حادثة بحادثة من خلال تركيب لغوي يربط المضرب (الموقف الحاضر) بالمرور (الموقف الماضي) ليمائله، بهدف التعبير عن غرض ما²، أن يؤدي وظيفة الإقناع في سياقات متجددة (المضرب) تتقاطع مع السياق الأصلي له (المورد)، بما أنه بنية جاهزة تقع في موقف من المواقف حجة ودليلاً³، ويتم ذلك بناء على افتراض مسبق يقتضي وعي الخطيب بأن المتلقي يدرك سلطة هذه البنية باعتبارها مرجعية واقعية، على أن كفاءته في إجراء عملية ذهنية سريعة تعمل على استحضار هذه المرجعية، تكمن خلف الأداء الناجح لهذه البنية من خلال كفاءة الخطيب في مطابقة محتواها الدلالي بالموقف الحالي، أي مطابقة المقصود بالمعنى الأصلي⁴، ونجح الخطيب في تحقيق هذه المطابقة بناء على ما ورد في سياق الخطاب بقوله: "فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر، قلت: هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحر"، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء، قلت: "هذه صبارة القر أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر (...) قاتلكم الله! لقد (...) أفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان"⁵، وبالتالي كان حال العراقيين بتخلفهم عن الجهاد يوهم من لا علم لهم بحقيقة هذه هذه المعصية أن خليفة المسلمين لا دراية و لا علم له بشؤون القيادة العسكرية.

ومربع التقابل فيما يلي يوضح منطقية العلاقة بين القضيتين:

¹ - أبو هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، د.ت، 408/2.

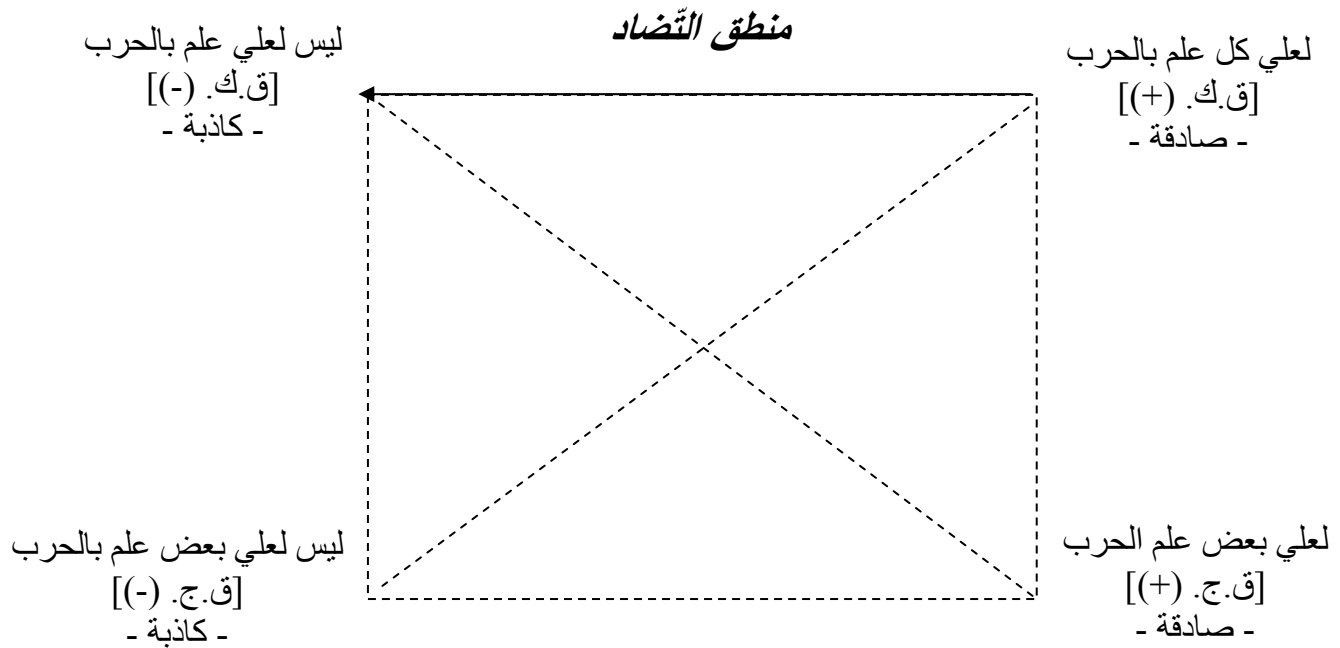
² - نوار عبيدي، التركيب في المثل العربي القديم - دراسة نحوية للجملة الاسمية -، مطبعة المعارف، د.ب، ط1، 2005م، ص15.

³ - المعجم العربي الأساسي، ص118.

⁴ - عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب، ص542، 543.

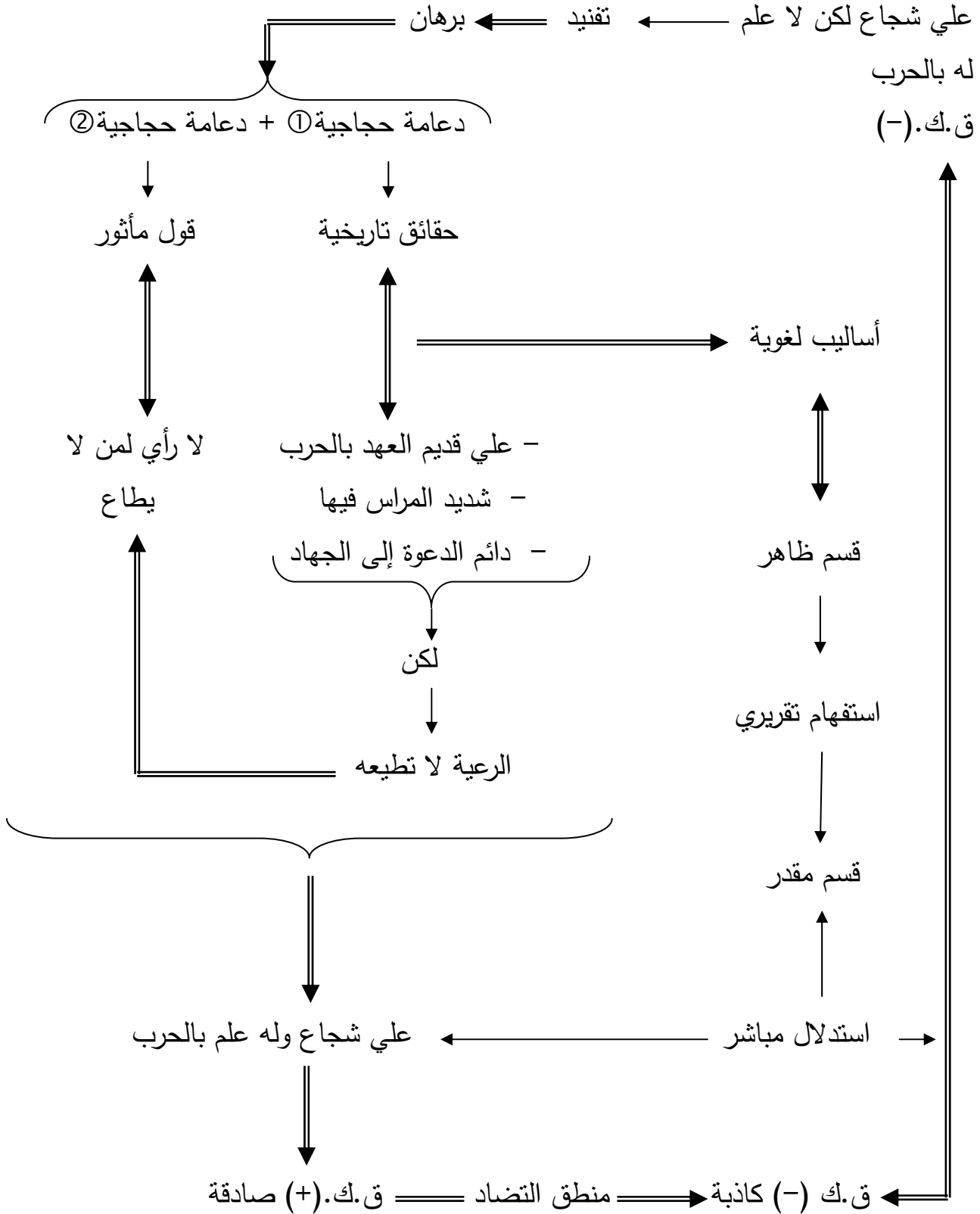
⁵ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، 46/1.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجّة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين



و المخطط الآتي يفصل آلية الاستدلال المباشر بناء على منطق التقابل بالتضاد:

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين



- المخطط رقم 11 -

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

مما أثبتته المخطط، يتضح أن الاستلزام الحوارى للدعامتين الحجاجيتين له بعد اعتراضى، حيث أسهمت الأغراض الكلامية في مقارنة مقاصد التخاطب بناء على قوة إنجازية حرفية عملت على بلورة البنية المنطقية ككل، وعلى هذا الأساس يمكن تحديد الأبعاد التداولية للبنية المنطقية، بما أن **القوة الإنجازية الحرفية** يؤديها أسلوب خبرى إنكارى، ضم أساليب إنشائية غير طلبية؛ لأن التقديرات التي تحتملها هذه الأساليب تخرجها من باب الإنشاء إلى باب الخبر، أو لأنها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء¹، ويتم ذلك من خلال ظواهر متعددة، ورد منها في البنية النصية "القسم باللام" بنوعيه الظاهر (لله أبوهم)، والمقدر (لقد)، على أن القسم الظاهر في هذه الحالة يكون تعجبيا بما أن "لام" القسم إذا استعملت أفادت معنى القسم والتعجب معا².

ورود أيضا من تلك الظواهر في البنية النصية "الاستفهام التقريرى" بـ "هل"، علما أن حقيقة استفهام التقرير أنه استفهام إنكار، والإنكار نفي، وتبعاً لذلك عمل معنى التقرير - أي تقرير حقيقة استفهاما لا الاستفهام عنها تساؤلا - في البنية النصية على إثبات دلالة منفية³، ضف إلى أن ما يؤيد معنى التقرير بالاستفهام هو تقييد التركيب بمنصوب من غير المفاعيل الخمسة، وبالتحديد "تمييز" محول عن المبتدأ، لأن أصل التركيب الاستفهامى: "هل مراس علي أشد أم مراس القرشيين؟ ومقام أيهما أقدم؟"، حيث أفاد الاسم المنصوب بعد كل خبر إزالة الإبهام عنه، ومن ثم بيان ما خفي - تتاسيا لا جهلا - على القرشيين من خصائص مميزة نسبت لذات الخطيب حقيقة لا ادعاء بما أن التاريخ شاهد عليها⁴.

وما غرض الخطيب من التقرير بالاستفهام أثناء قوله: "وهل أحد منهم أشد لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني؟" إلا حمل المتلقي على الإقرار والاعتراف بحقيقة ثابتة عنده، وهي أن لا أحد من قریش بتلك الصفات والمميزات⁵.

¹ - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص70.

² - إبراهيم عبود السامرائى، الأساليب الإنشائية في العربية، ص136، 137، 139.

³ - خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، ص63، 64.

⁴ - إِيَاد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربى، ص165، 167 ؛ أحمد الهاشمى، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص156.

⁵ - خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، ص63.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

أما غرض كل من القسم الظاهر والمقدر، فهو توكيد ما تم القسم عليه، أي توكيد الدلالة المنفية بعده بقوله: "لله أبوهم ! هل أحد منهم أشد لها مراسا...؟" وتوكيد الدلالة المثبتة في قوله: "لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين..."، بناء على أن القسم في الاصطلاح هو جملة - فعلية أو اسمية - تؤكد بها جملة مثبتة أو منفية¹.

إلا أن ما تجدر الإشارة إليه، هو أن الاستدراك بـ أداة الابتداء "لكن"²، الذي لجأ إليه الخطيب أثناء قوله: "ولكن لا رأي لمن لا يطاع" عمل على تفنيد حكم المدعين عليه، فكان لبلاغة إيجاز البنية الجاهزة أثر واضح في شمولية الدلالة ودقتها، بما أنه إيجاز جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح (إيجاز قصر)³، وإن كان من شروط الخاتمة في هذا الفن النثري ما ينص على ذلك ويقتضيه.

كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن علماء البلاغة قد اتفقوا على أن "التلميح بالمثل" أثناء الكلام يكون من باب "المجاز المركب بالاستعارة التمثيلية"، بما أن هذا الأخير هو تركيب يستعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة معناه الأصلي، بحيث يكون كل من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة من متعدد، وذلك بأن تشبه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور بأخرى ثم تدخل المشبه في الصورة المشبه بها مبالغة في التشبيه⁴، بناء عليه، عقد الخطيب تصويرا بيانيا يقوم على أساس وجه شبه بين حاله الذي ترتب عليه ادعاء بعدم سداد الرأي، وموقف العرب قبل ذلك حين قالوا: "لا رأي لمن لا يطاع"⁵.

على حين أدى مدلول البنية المنطقية **محتوى قضويا** أثبت بأن الخطيب يصب جام غضبه وسخطه على رعيته عبر **معان ضمنية** مثقلة بالألم والمرارة وخيبة الأمل، فعمل ذلك على تجسيد عظيم مصاب خلفته عوامل المعصية والخذلان، وما زاد الأمر سوءا حكم القرشييين

1- صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، ص 73.

2- إيباد عبد المجيد إبراهيم، في النحو العربي، ص 206.

3- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع -، ص 179.

4- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 275، 342؛ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، صحح أصله: محمد عبده، محمد محمود التركي الشنقيطي، علق عليه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط 3، 2001 م، ص 61.

5- أبو هلال العسكري، كتاب جمهرة الأمثال، 408/2.

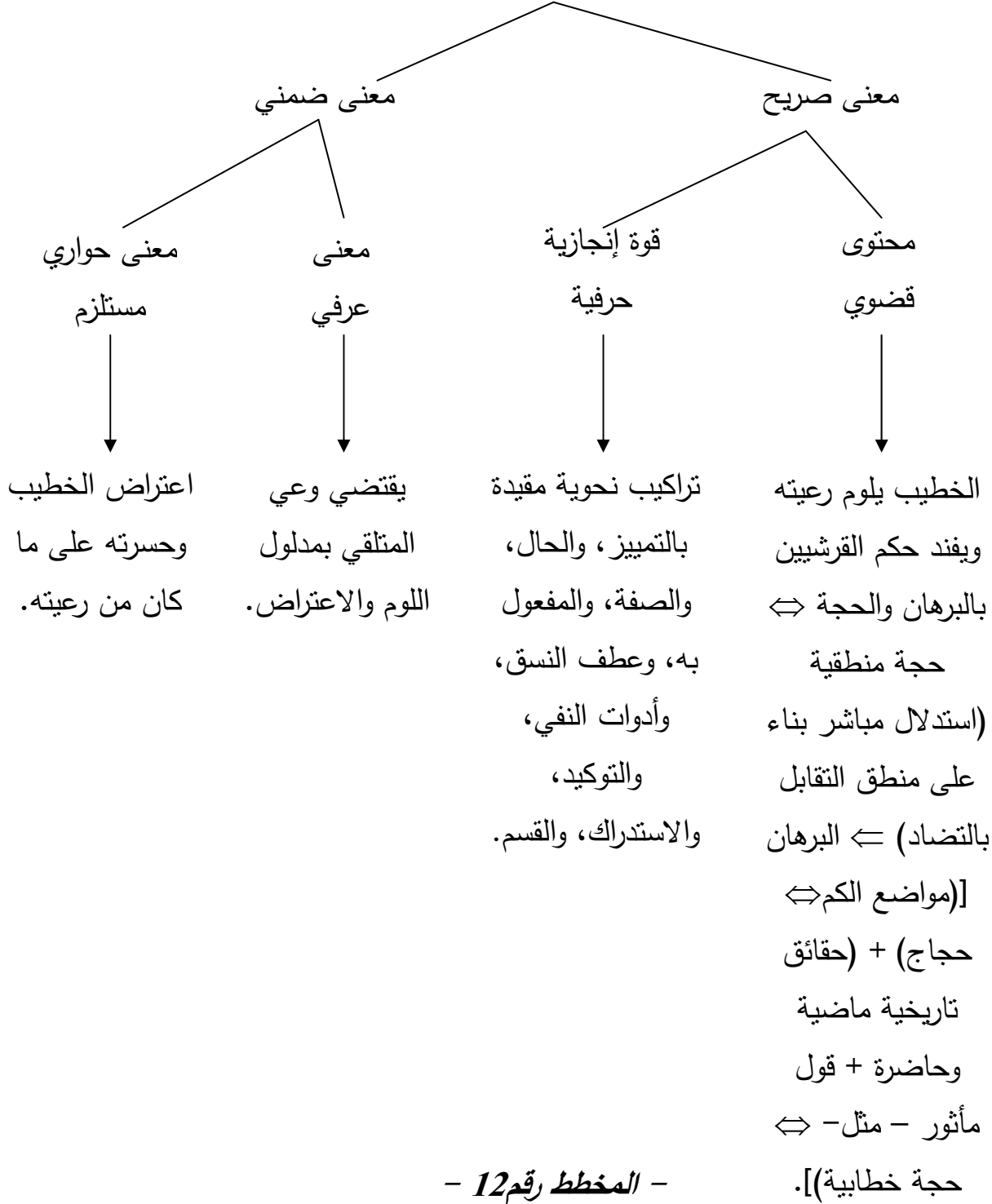
عليه بعدم العلم والدراية بشؤون الحرب، فلجأ إثر ذلك إلى ما يمكن أن يهون مصابه ويخفف ألمه وغيظه، بما أن الخطاب الحجاجي خطاب تقويمي يهدف إلى التأثير في سلوكيات المتلقي أو معتقداته بما يحمله من أدلة حددتها - في هذا الموقف التواصلي - مضامين بنى حجاجية منطقية وخطابية، ولاسيما إن عمل على أداء هذه المضامين بنية إيقاعية ذات تأثير شعوري مؤكد، بما أنها بنية تركيبية يربط بين عناصرها اللغوية توازن صوتي يعكس فكرا مرتبا متزنا مقنعا، رغم أنه يتعلق بتوازي التراكيب وتناسبها في الوزن، مع اختلافها ألفاظا ومعنى (التوازي في حالة القصر: "هل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني؟"، التوازي في حالة الطول: "لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنذا قد ذرقت على الستين"¹، كما يتعلق أيضا بتوافق التراكيب في الفواصل (سجع حقه توافق الفواصل في الوزن والحرف الأخير: "العشرين والستين"، وموازنة حقه توافق الفواصل في الوزن مع اختلاف حرفها الأخير: "مراسا ومقاما")².

وعليه، أسهمت التراكيب اللغوية بناء على تعدد أغراضها البلاغية في مقارنة مقاصد الخطيب وأهداف الخطاب، إثر تبلور المعنى الضمني بناء على معان عرفية استلزم سياقها الاستدلالي اقتضاء تخاطبيا وإن كان مبدأ التعاون قائما وقواعده متحققة، ويمكن تلخيص ذلك وفق الآتي:

¹ عبد الرحمن تيرماسين، "التوازنات الصوتية - التوازي، البديع، التكرار -"، مجلة المخبر - أبحاث في اللغة والأدب الجزائري -، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 1، 2004م، ص 109؛ حمدي منصور جودي، "خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي"، ص 69، 70.

² الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 325، 328.

دلالة البنية النصية



ثانياً / بلاغة الاستدلال بالعكس والنقض من خلال أفعال الكلام:

- تمهيد (التعريف بالعكس والنقض):

إن قوانين العكس والنقض في المنطق الصوري تؤدي استدلالاً مباشراً من خصائصه المميزة أن القضيتين الحمليتين المتقابلتين بناء على هذه القوانين تكونان متساويتين، بحيث يمكن لكل قضية أن تقوم مقام الأخرى، دون أن يمس ذلك سياق الحجة وسلامتها من الناحية المنطقية، فإذا كانت الأولى صادقة كانت الثانية صادقة أيضاً، والعكس صحيح، على أن يراعى ألاّ تضيف القضية المستدل إليها شيئاً جديداً ليس في القضية المستدل منها، فهي إما أن تأتي مساوية لها أو أقل منها. وتعتمد العمليات المنطقية في هذا الاستدلال على قوانين مختلفة، من أهمها قانونان أساسان هما: قانون العكس المستوي، وقانون نقض المحمول¹.

وعليه، وبناء على النماذج الخطابية المختارة، فإن ما تم التعريف به وارد في النموذج الثاني من خطاب "أبي بكر الصديق"، والنموذج الثالث من خطاب "علي بن أبي طالب" - رضي الله عنهما - وفق ما يلي:

¹ - محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص 79، 80.

I- منطق العكس المستوي وأبعاده التداولية في خطاب أبي بكر الصديق:

إن العكس في اللغة يعني التبدل والقلب، "أي رد آخر الشيء على أوله"¹، ومن هذا المعنى اللغوي يستمد العكس المستوي مفهومه الاصطلاحي، فهو عملية استدلال مباشر يحدث فيها جعل الجزء الأول من القضية ثانياً، والجزء الثاني أولاً²، أي أن يوضع الموضوع مكان المحمول، والمحمول موضع الموضوع، فتنشأ بذلك قضية جديدة مكافئة للقضية المعطاة بناء على قانون العكس المستوي³، وذلك أن عملية العكس هذه تخضع لقانون عام يحده شرطان أساسان هما⁴:

- شرط الكيف: وهو شرط يقرر ضرورة اتحاد القضية الأصل والقضية العكس كيفاً، فالقضايا الموجبة تظل موجبة والسالبة تظل سالبة.

- شرط الاستغراق: الذي ينص على أنه لا ينبغي أن يستغرق في القضية العكس حداً لم يكن مستغرقاً في القضية الأصل.

علماً أن "الاستغراق" في اللغة يعني التضمن والشمول⁵، وبالتالي يكون استغراق الحد في المنطق أن ينصب الحكم على جميع الأفراد الذين يؤول إليهم الحد⁶، والجدول الآتي يلخص حالات الاستغراق من عدمها بناء على طبيعة القضية⁷:

القضية	الموضوع	المحمول
كلية موجبة	مستغرق	غير مستغرق
كلية سالبة	مستغرق	مستغرق
جزئية موجبة	غير مستغرق	غير مستغرق
جزئية سالبة	غير مستغرق	مستغرق

- جدول الاستغراق -

¹ ابن منظور، لسان العرب، مادة (عكس)، 4/400.

² الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 109.

³ ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص 61.

⁴ نفسه، ص 61، 62.

⁵ الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 19.

⁶ محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص 72.

⁷ نفسه، ص 73.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

بناء على جدول الاستغراق، وبناء على ما قيل قبله، يمكن استنتاج طبيعة القضية المعكوسة عكسا مستويا بناء على طبيعة القضية الأصل، وما يلي يلخص ذلك¹:

القضية المعكوسة عكسا مستويا	القضية الأصل (المعطاة)
جزئية موجبة	كلية موجبة
كلية سالبة	كلية سالبة
جزئية موجبة	جزئية موجبة
لا تعكس	جزئية سالبة

- جدول القضايا المعكوسة -

بناء على هذه المفاهيم النظرية، فإن هناك بنية نصية ضمن النموذج الثاني من خطاب "أبي بكر الصديق" نجح الاستدلال المباشر من خلال قانون العكس المستوي في بلورة منطقيتها، وما قوله - رضي الله عنه - : "إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم"² إلا سياق لغوي احتوى معالم هذه البنية، وبما أن هذا السياق ورد مختزلا، فإن التركيب اللغوي "إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه" مثل قضية معطاة (الأصل) في مقابل قضية مكافئة، يمكن تحديدها ضمن سياق خطابي يدعم عكس القضية الأصل عكسا مستويا إلى: "كل ما لا يراد به وجه الله من الأعمال لا يقبل"، وبما أن نفي النفي إثبات، فإن تصور القضية المعكوسة يكافئ مدلول العبارة: "كل ما أريد به وجه الله من الأعمال يقبل"، وبالتالي تكون الجملة الفعلية المثبتة: "فأريدوا الله بأعمالكم"، والتي استدعت بدورها متمما دلاليا تقديره: "كي يقبلها"، نتيجة خطابية سوغها منطق القضية المضمره بناء على أن قرائن المقام تعضد هذه القضية وتحيل إليها، كما أن الغرض البلاغي لهذه القرينة المقالية يستمد طاقته الإقناعية من المعطيات الحجاجية المضمره ذاتها.

وما يأتي يوضح آليات الإجراء التي استفاد منها الاستدلال المباشر في بناء الحجة:

¹ - السابق، ص 82.

² - ابن كثير، البداية والنهاية، 6/696.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

المنطق	⇐	عضد البنية النصية بدليل
⇐	⇐	البنية النصية
⇐	⇐	تركيب لغوي أول
⇐	⇐	التركيب اللغوي الأول
⇐	⇐	البنية اللغوية للقضية المعطاة
⇐	⇐	القضية المعطاة
⇐	⇐	قضية كلية سالبة
⇐	⇐	الله لا يقبل من الأعمال ما لا يراد به وجهه
⇐	⇐	القضية كلية سالبة
⇐	⇐	الكيف يظل سالبا بما أنه سالب في الأصل
⇐	⇐	الموضوع والمحمول يستغرقان، لأنهما مستغرقان في الأصل
⇐	⇐	الموضوع يأخذ مكان المحمول، والمحمول يأخذ مكان الموضوع
⇐	⇐	البنية اللغوية للقضية المعكوسة
⇐	⇐	القضية المعكوسة
⇐	⇐	البنية اللغوية للنتيجة الخطابية
⇐	⇐	النتيجة الخطابية
⇐	⇐	البنية النصية
⇐	⇐	السياق الاستدلالي
⇐	⇐	جمله اسمية خبرها جملة فعلية منفية
⇐	⇐	كل ما لا يراد به وجه الله من الأعمال لا يقبل
⇐	⇐	القضية كلية سالبة
⇐	⇐	نتيجة منطقية مضمرة
⇐	⇐	نتيجة خطابية ظاهرة
⇐	⇐	جمله فعلية (أسلوب أمر + متمم دلالي مقدر)
⇐	⇐	أريدوا الله بأعمالكم، كي يقبلها
⇐	⇐	تركيب لغوي ثان
⇐	⇐	استدلال مباشر
⇐	⇐	حجة منطقية

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وعليه، يتضح أن للبنية النصية أبعادا تداولية ضمن سياقها الاستدلالي، وحسب مفاهيم نظرية أفعال الكلام بناء على ما أثبتته "أوستين"، فإن هذه الأبعاد تصنف ضمن أفعال "القرار" (التنفيذ) و "الإيضاح" (العرض)، أو ضمن أفعال "التوجيهات" و "التأكيدات" (الإخبار) حسب تعديلات "سيرل"، علما أن التباين في المصطلحات لا يحيل إلى مفاهيم مختلفة، ويمكن بيان ذلك بتحليل الفعل الكلامي للبنية النصية إلى:

1- **فعل نطقي**: تؤديه الوحدات الصوتية والدلالات المعجمية للصيغ الصرفية، والتراكيب النحوية المؤسسة لهذه البنية: "جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ "إن" و "حرف النفي" لا"+أداة الاستثناء "إلا" ← (أسلوب قصر) + عطف ب"الفاء"(وصل بلاغي) + جملة فعلية (فعل أمر + فاعل [ضمير متصل- واو الجماعة -] + شبه جملة جار ومجرور)"¹.

2- **فعل قضوي**: يؤديه مدلول الفعل النطقي، وهو مدلول يقتضي أن من يعمل عملا ويبتغي من ورائه مرضاة الناس، فإن الله لا يقبله وإن كان عملا صالحا.

3- **فعل إنجازي**: يحيل إليه منطق العكس المستوي من جهة، وأسلوب الفعل النطقي من جهة أخرى، حيث أدت العلاقة المنطقية بين القضية الأولى (المعطاة) والنتيجة الخطابية إلى إثارة فعل تأكيدي عمل على دعم الأغراض البلاغية لأسلوب الفعل النطقي، وهو أسلوب خبري إنشائي، فأما الخبري فورد في القضية الأولى إنكاريا بناء على إثبات الخبر بأداة النسخ "إن"²، إضافة إلى قصر قبول الله الأعمال الصالحة (مقصور) على إرادته بها (مقصور عليه) قصرا لا حقيقيا بل إضافيا، لا يتجاوز فيه المقصور (الموصوف) المقصور عليه (الصفة) إلى شيء غيره، وإن كان المقصور عليه يتجاوز في ذلك (قصر موصوف على صفة طريقه النفي والاستثناء)³، علما أن الخطيب لم يؤكد الخبر - سواء أعلق ذلك بفائدة الخبر أم ب لازم الفائدة - لأن المتلقي قد يكون منكرا له أو شاكا ومتريدا في تصديقه، فنفاقته الإسلامية كفيلة بدحض هذا الإنكار والشك والتردد، وإنما عمد إلى ذلك لأنه خرج بالكلام عن مقتضى الظاهر بأن أنزل المتلقي غير المنكر منزلة المتلقي المنكر بفائدة الخبر بناء على افتراض مسبق يقتضي أن مطالب الحياة الدنيا قد تنسي جل الناس - إن لم يكن

¹ إيراد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي، ص14، 15، 16، 103، 127، 174.

² أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص57، 58.

³ نفسه ، ص 167، 168، 170، 171.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

كلهم - وتشغلهم عن بذل ما ينفعهم في الآخرة، وبما أن سياق الكلام وقرائن الأحوال أحوالت إلى أن النموذج الخطابي خطبة وعظية، يكون للأسلوب الخبري غرض بلاغي ألقى من أجله هو التنبيه والتذكير والحث على السعي في طلب مرضاة الله¹.

أما القضية الثانية (النتيجة الخطابية) فورد أسلوبها إنشائيا بما أن مضمونها استدعى مطلوبا غير حاصل في اعتقاد الخطيب وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل، من خلال فعل الأمر "أريدوا"، وبما أن صيغ الأمر قد تخرج عن معناها الحقيقي الذي هو طلب الفعل من الأعلى للأدنى على وجه الوجوب والإلزام، إلى معان أخرى تستفاد من سياق الكلام وظروفه الخارجية، فإن الأمر في هذا التركيب خرج عن معناه الأصلي إلى معنى طلبى لا تكليف ولا إلزام فيه، لأنه طلب حمل بين طياته أبعاد النصح والتوجيه والإرشاد².

4- **فعل تأثيري:** بما أن لهذا الفعل علاقة بما تتركه الأغراض الإنجازية في المتلقي، وبما أن لأبعاد التنبيه والتذكير والنصح والإرشاد آثار مؤجلة، فإن الخطيب عمد إلى دعم هذه الأبعاد حتى يستقر مفعولها في ذهن المتلقي وإن كان لفترة محدودة المدى، بناء على محاورة بعيدة (التناص) تمت بينه وبين بنيات جاهزة منقولة على لسانه³، علما أن لهذه المحاورة أصولا مفاهيمية في البلاغة العربية، حيث أسهم التلميح إلى أبعاد الماضي بما فيه من أحداث وأخبار وقصص⁴، في تأسيس دعامة حجاجية تناسبت وموقف الخطيب حين قال: "اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعض بهم الدهر، وصاروا رميما، قد نزلت عليهم القالات، الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم، (...) إلا أن الله عز وجل قد أبقى عليهم التبعات (...) ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبعثنا خلفا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن انحدرتنا كنا مثلهم، أين الوضاعة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا، وصاروا ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم،

¹ - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 57، 58، 63.

² - نفسه ، ص 73 ، 74.

³ - طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، ص 47.

⁴ - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 348.

فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ

رِكْرًا﴾¹، أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة أو للسعادة بعد الموت².

وبالتالي، قد يكون لهذا القول سلطة خطابية على المتلقي، لأن الخطيب نجح في اختيار البنيات المناسبة بناء على توافق مضامينها مع موضوع الخطاب من جهة، ومن جهة أخرى، لأن معانيها وأساليبها مقتبسة من القرآن الكريم، وتم ذلك على اعتبار أن الخطيب قد خبر طبيعة المتلقي وقدّر مكانته، وأدرك أن أنجع السبل للتأثير في معتقداته وأفكاره وسلوكاته، وأنفع الوسائل لمخاطبة عقله ووجدانه هي حقائق التاريخ ومعاني القرآن الكريم، بما أن الأفعال الإنجازية لهذه البنيات أفعال تأكيدية يقينية غير مؤجلة.

ضف إلى ذلك، أنه تم توظيف بنية جاهزة أخرى أدت إلى تأسيس دعامة حجاجية في خاتمة الخطاب، ولعل الخطيب عمد إلى الاستدلال خلال هذه المرحلة من مراحل الخطاب، بحكم أن المتلقي يتذكر بنسبة أكبر آخر ما يرد في الكلام، إذ لجأ إلى صيغة نظمية تقتضي طبيعتها التأثير والإقناع³، حيث كان لقول الحكماء على لسان الخطيب: "لا خير بخير بعده النار، ولا شر بشر بعده الجنة"⁴ مصداقية في سياقه الجديد، بناء على أنه نتيجة عرفية متفق على منطقيتها ضمن هيئة اجتماعية معينة، فعرضها في كلامه من دون أن يشير إلى مقدماتها المنطقية يقينا منه أن المتلقي لن يتساءل عنها، لأنه يسلم بما أقرت به على اعتبار أنها خلاصة قوة عقلية علمية عرفت أفضل الأشياء بأفضل العلوم، فأحالت إلى صواب الأمر وسداده واضعة الشيء في موضعه⁵، وكانت اللغة بتراكيبها النحوية وأساليبها البلاغية عاملا وظيفيا عمل على تجسيد هذه الخلاصة، وعلى ضمان سلطتها الحجاجية بضمان قيمتها الدلالية عبر العصور، فأضحت بذلك قولاً مأثوراً من مآثرات الثقافة العربية الإسلامية، وحجة خطابية تستدعيها المواقف التواصلية المناسبة⁶.

¹ - مريم/98.

² - ابن كثير، البداية والنهاية، 6/696.

³ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص541.

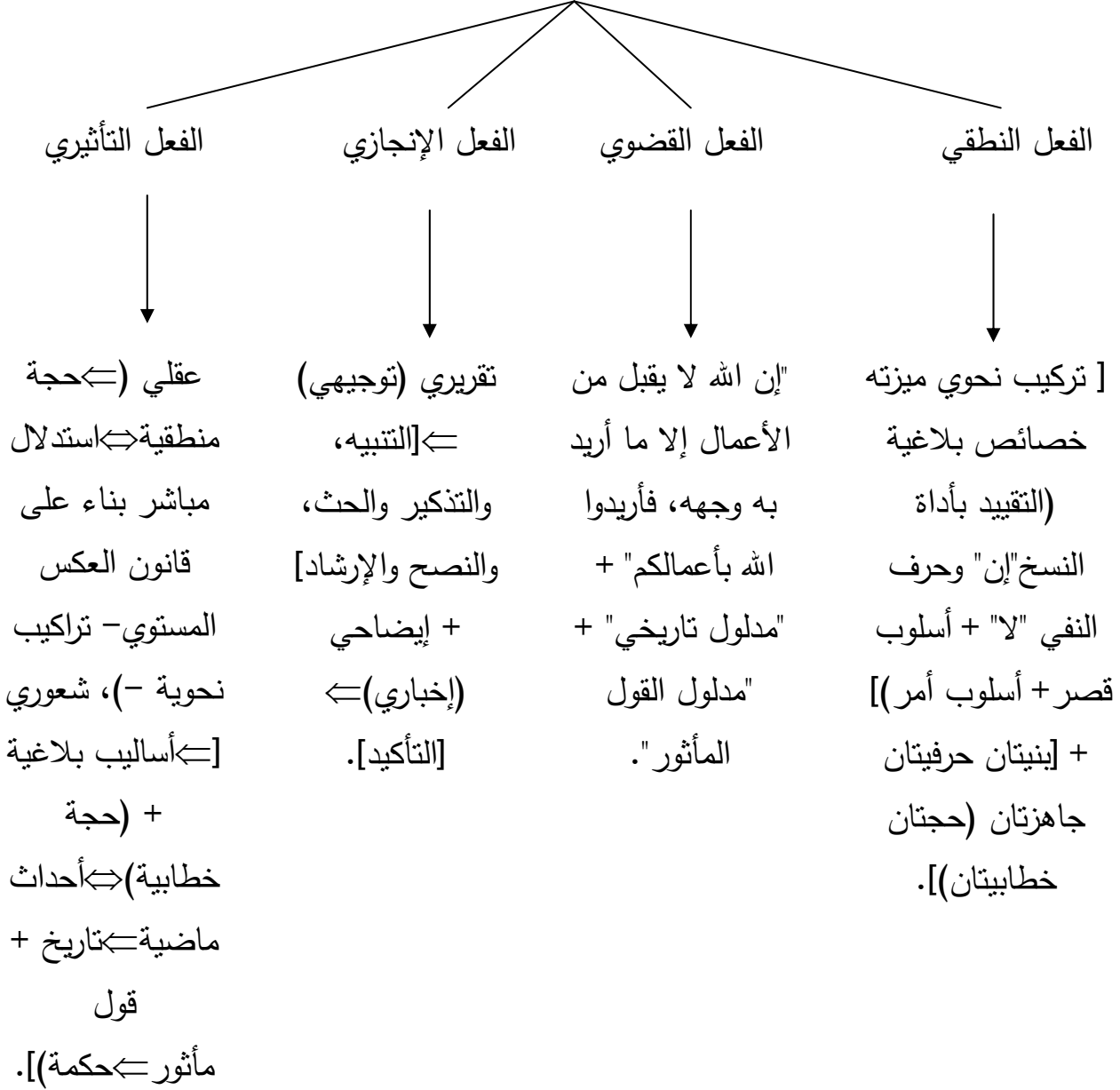
⁴ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، 4/414.

⁵ - المعجم العربي الأساسي، ص342؛ الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص66.

⁶ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص542.

وفيما يلي تلخيص لما تم تحليله بناء على نظرية أفعال الكلام:

الأفعال الكلامية للبنى النصية



II- منطق نقض المحمول وأبعاده التداولية في خطاب علي بن أبي طالب:

إذا كان النقض في اللغة يأتي بمعنى إفساد ما تم إصلاحه، وهدم ما تم بناؤه، وكسر ما تم إحكامه¹، فإن نقض المحمول في الاصطلاح هو عملية منطقية مباشرة يحدث فيها الاستدلال من قضية معطاة إلى قضية أخرى محمولها نقيض المحمول الأصلي²، وإن كان الاستدلال في هذه العملية لا يلتزم بشرطي العكس المستوي، فإنه يقوم بإجراء منطقي مزدوج تميزه خطوتان أساستان هما³:

- الخطوة الأولى: يحدث فيها نقض محمول القضية الأصل من خلال نفيه إن كان مثبتا، أو إثباته إن كان منفيا.
 - الخطوة الثانية: يحدث فيها تغيير كيف القضية فتصبح القضايا الموجبة سالبة والعكس صحيح، على أن يتم الاحتفاظ بكم القضية.
- وعليه يمكن استنتاج طبيعة القضايا منقوضة المحمول بناء على طبيعة القضايا الأصلية، والجدول الآتي يلخص ذلك⁴:

القضية بعد نقض المحمول	القضية الأصلية
كلية سالبة	كلية موجبة
كلية موجبة	كلية سالبة
جزئية سالبة	جزئية موجبة
جزئية موجبة	جزئية سالبة

- جدول القضايا المنقوضة -

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (نقض) ، 245/6.

² - محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص80.

³ - ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص63.

⁴ - نفسه ، ص. نفسها.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

بناء على ما تم إثباته من مفاهيم نظرية يكون قول "علي بن أبي طالب" - رضي الله عنه - من النموذج الخطابي الثالث: "إن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلا بعدا من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح"¹ استدلالا مباشرا استند إلى قانون نقض المحمول في بناء الحجة، وذلك أن الجملتين: "إن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق واضح"، و "العامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح"، قضيتان كليتان متكافئتان بناء على إخضاع القضية الأولى لقانون النقض، فكانت النتيجة هي القضية الثانية، أما ما سوغ تصنيف القضيتين ضمن القضايا الكلية، أن القضيتين تصنفان منطقيا ضمن "القضايا المهملة"، و "القضية المهملة" هي ما كان فيها السور مهملا (محذوفا) لفظا، ولكن واقع المعرفة أو مقتضى الحكم فيها يقدر طبيعته، نحو أن تقول: "النسور جارحة"، و "البقر وحشي"، فإن أمثال هذه القضايا يحدد سورها بمعرفة أن "كل النسور جارحة"، وأن "بعض البقر وحشي"²، وبالتالي يقدر سور القضيتين المتكافئتين بمقتضى الحكم فيهما على النحو الآتي: "كل عامل بغير علم كالسائر على غير طريق واضح"، و "كل عامل بالعلم كالسائر على طريق واضح"، وثبتت حجية القضيتين ضمن سياق خطابي أثبت صدق القضية الأولى (الأصلية)، وترتب على ذلك صدق القضية الثانية، حيث ضمت البنية النصية استدلالا آخر أيضا استلزم مصداقية القضية الأصلية، علما أنه استدلال غير مباشر (استقراء ناقص)، وفيما يلي يمكن توضيح مراحل هذه العملية المنطقية:

¹ - الشريف الرضي، نهج البلاغة ، 2/172.

² - محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص71.

مرحلة التدليل في الخطبة	⇐	حجج
الحجة	⇔	استدلال
الاستدلال	⇐	بنية نصية
البنية النصية	⇔	قضيتان (جملتان)
البنية اللغوية للقضية الأولى	⇔	جملة اسمية منسوخة "بإن" خبرها شبه جملة
القضية الأولى (الأصلية)	⇔	إن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق واضح
	⇐	القضية كلية موجبة
منطق الاستدلال غير المباشر	⇐	القضية صادقة
قانون نقض المحمول	⇐	نقض المحمول بحذف "غير"
	⇐	إن العامل بغير علم، كالسائر على طريق واضح
	⇐	تغيير كيف القضية من موجب إلى سالب
القضية الثانية	⇐	ليس العامل بغير علم، كالسائر على طريق واضح
	⇐	القضية كلية سالبة
الأسلوب الأدبي	⇐	نفي النفي إثبات
القضية مثبتة	⇐	العامل بالعلم، كالسائر على طريق واضح
البنية اللغوية للقضية المثبتة	⇔	جملة اسمية خبرها شبه جملة
منطق الاستدلال المباشر	⇐	القضية المثبتة نتيجة منطقية صادقة
السياق الاستدلالي	⇐	الحجة منطقية مباشرة

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وعليه، فإن ما تم إثباته يقتضي أن للبنية المنطقية أبعادا تداولية تصنف ضمن أفعال "التوجيه" والتأكيد "حسب توجه "سيرل"، أو ضمن أفعال "القرار" و "الإيضاح" حسب اصطلاح "أوستين" ، لأن الفعل الكلامي للبنية يحيل إلى:

1- **فعل نطقي**: تؤديه أصوات لغوية وصيغ صرفية تنتظم داخل تركيب نحوي سليم له دلالة معجمية وإحالة محددة: "جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ "إن"، والحال (شبه جملة جار ومجرور)، خبرها شبه جملة جار ومجرور+ عطف "بالفاء" (وصل بلاغي) + جملة فعلية مقيدة بحرف النفي "لا" والمفعول به، والصفة، وأداة الاستثناء "إلا"، والمفعول المطلق (النفي والاستثناء ← أسلوب قصر) + عطف "بالواو" (وصل بلاغي) + جملة اسمية مقيدة بالحال (شبه جملة جار ومجرور)، خبرها شبه جملة جار ومجرور مقيدة بالصفة¹.

2- **فعل قضوي**: توحى به الإحالة المحددة للفعل النطقي، وهي إحالة مرجعها أن العامل بغير علم سائر على غير طريق بناء على وجه شبه يجمع بين الحالتين، أما العامل بالعلم فإنه يختلف عن العامل بغير علم، لأن مساره محدد بما أنه يشبه في ذلك سائرا على طريق واضح.

3- **فعل إنجازي**: بما أن الفعل الإنجازي عمل يتم تحققه بمجرد التلفظ بملفوظ محدد [القول= فعل نطقي (تركيب نحوي) + فعل قضوي (دلالة سياقية)]، فإن وظيفة التركيب النحوي السليم بناء على ما تحيل إليه وحداته المعجمية من مدلول سياقي، تكمن في تجسيد الأعمال المنجزة من جراء هذا التلفظ (آلية الكلام)، إما تجسيدها مباشرة من خلال ما يحمله التركيب من دلالة حقيقية في مختلف السياقات التواصلية، وإما تجسيدها غير مباشر من خلال ما يقتضيه التركيب من زيادة على المعنى الحقيقي يقوم المتلقي باستنتاجها ضمن موقف محدد بناء على نجاح المتكلم في إنجازها بما أتيح له من وسائل لغوية وغير لغوية، وبالتالي فإن التراكيب النحوية للبنية المنطقية عملت على تجسيد عمل إنجازي مباشر قام بحمله أسلوب خبري طلبى في التركيب الأول (جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ "إن" + جملة

¹ - إيراد عبد المجيد إبراهيم، في النحو العربي، ص70، 73، 159، 160، 174، 186، 187، 201، 206، 207 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، ص141، 167، 168، 179، 181، 182.

الفصل الثاني ————— بلاغة الحجة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

فعلية مقيدة بالنفي والاستثناء)، وهو عمل تأكيدي بما أن الأسلوب الخبري الأول مؤكد بـ"إن"، أما الثاني فمؤكد بقصر إضافي طريقه النفي والاستثناء¹، وبما أن التركيب الثاني (جملة اسمية) يوافق التركيب الأول في كونه أسلوبا خبريا، فإن وصل التركيب الثاني بما قبله بحرف "الواو" مظهر بلاغي أدى إلى إشراك الجملة الاسمية الثانية في حكم التأكيد وإن كانت غير مؤكدة بمؤكد².

إضافة إلى ذلك فإن التراكيب النحوية عملت على تجسيد عمل إنجازي غير مباشر بناء على احتوائها صورة بيانية اقتضت زيادة في المعنى الأصلي، فترتب عليها بعد تداولي إيضاحي توجيهي، وذلك أن عقد علاقة بين العامل بغير علم، والسائر على غير طريق بناء على وجه شبه مدلوله ضياع وضلال لا يزيد صاحبه إلا بعدا من حاجته، أدى إلى استحضار عمل تفسيري ضمني، فالسائر على غير طريق ضال، وكذلك العامل بغير علم فهو ضال بما أن في الجهل ضلالا عن اليقين، وبناء على منطق النقض، فإن ما أثبتته التشبيه المرسل المفصل (ذكر أداة التشبيه، ووجه الشبه) في التركيب الأول من فائدة الخبر، عمل على تأكيده في التركيب الثاني تشبيه مرسل مجمل بما أن وجه الشبه محذوف³، ويتم تقديره بناء على تكافؤ التركيبين منطقيًا، فيكون العامل بالعلم كالسائر على طريق واضح، والسير على الطريق الواضح يلغي إمكانية الضياع والضللال، وكذلك طلب العلم، فإنه يعمل على رفع صفات الجهل وتبعاته، وبالتالي يؤدي إلى إلغاء عوامل الضلال، فلا يزيدهما ذلك إلا قريبا من حاجتهما.

على أن هذا العمل التفسيري في كلا التركيبين يستدعي عملا توجيهيا ضمنيا تقديره: "اطلبوا العلم واعملوا به، فإن العلم لا يزيد الإنسان إلا قريبا من حاجته"، بما أن صيغة الأمر في هذا التركيب المقدر تخرج عن معناها الأصلي وتقتضي مدلولًا سياقيا غرضه النصح والإرشاد بناء على موقف الخطيب الوعظي الذي أحال إليه السياق اللغوي للنموذج الخطابي.

¹ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 57، 58، 178، 179.

² - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية، - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 165.

³ - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 216، 217، 226.

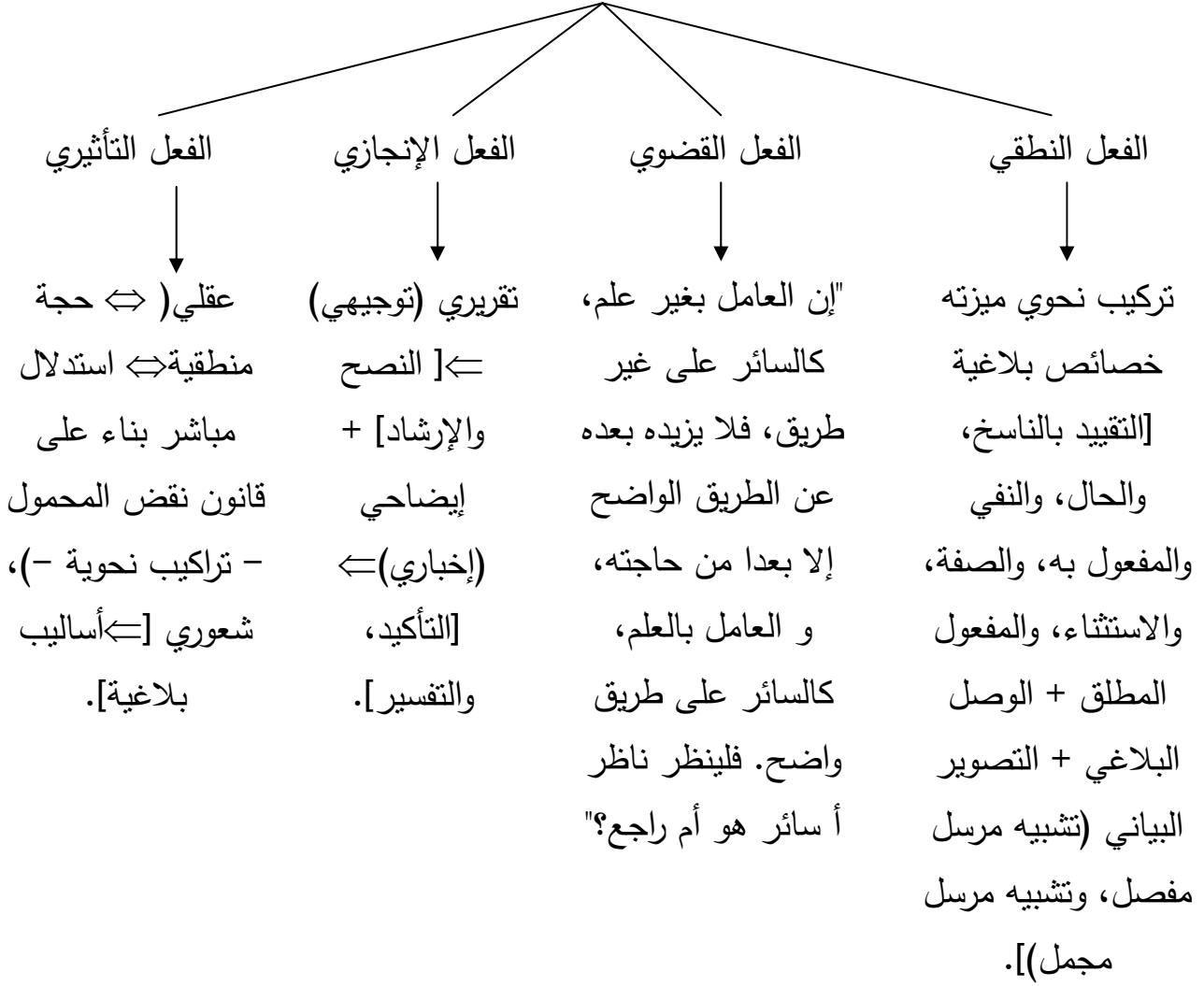
4- **فعل تأثيري:** كان لابد أن يكون للأسلوب الإنشائي بعد البنية المنطقية أثر في سلوك المتلقي، لأن قول الخطيب: "فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع؟"¹ لم يؤت به طلبا للقيام بفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، كما لم يؤت به طلبا لفهم على سبيل التساؤل²، وإنما لجأ الخطيب إلى هذه الأساليب البلاغية استفزازا للمتلقي، وعيا منه بأن الإقناع المنطقي في مثل هذه المواقف - مواقف الوعظ - يجب أن يعضده تأثير شعوري.

وعليه يمكن إيجاز ما تم تحليله حسب نظرية أفعال الكلام فيما يلي:

¹ - الشريف الرضي، نهج البلاغة ، 172/2.

² - إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص 21، 34.

الأفعال الكلامية للبنية النصية



الفصل الثالث:

بلاغة الحجّة المنطقيّة غير المباشرة في خطاب الخلفاء التّراشدين

أولاً/ بلاغة الاستدلال بالقياس من خلال أفعال الكلام:

- تمهيد (التّعريف بالقياس)

- I - منطق القياس الحملي وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق
 - II - منطق القياس المضمر وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب
 - III - منطق القياس الشّرطي وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب
- ثانيًا/ بلاغة الاستدلال بالاستقراء من خلال الاستلزام الحوارية:

- تمهيد (التّعريف بالاستقراء)

I - منطق الاستقراء التّام وأبعاده التّداوليّة في خطاب أبي بكر الصّدّيق

II - منطق الاستقراء النّاقص وأبعاده التّداوليّة:

1 - في خطاب عمر بن الخطّاب

2- في خطاب عثمان بن عفّان

III - منطق الاستقراء وأبعاده التّداوليّة في خطاب علي بن أبي طالب:

1- منطق الاستقراء التّام

2- منطق الاستقراء النّاقص

أولاً / بلاغة الاستدلال بالقياس من خلال أفعال الكلام:

- تمهيد (التعريف بالقياس):

ورد في "كتاب الفروق" أن القياس هو حمل الشيء على الشيء في بعض أحكامه لوجه، أو هو حمل الشيء على الشيء و إجراء حكمه عليه لشبه بينهما عند الحامل، لذلك لا يستعمل القياس في شيء من غير اعتبار له بغيره، وإنما يقال قست الشيء بالشيء، ولا يقال لمن شبه شيئاً بشيء من غير أن يحمل أحدهما على الآخر ويجري حكمه عليه "قايس"¹، وبالتالي يكون المفهوم العام للقياس: أنه عملية استدلال غير مباشر يمكن أن تذكر فيها ضابطة عند وجودها تستقيم هذه العملية².

وبما أن القضايا هي قوام منطق الاستدلال فإن استنتاج قضية (نتيجة) من قضيتين (مقدمتين)، بناء على قياس إحداهما على الأخرى لوجه شبه مشترك بينهما في تقرير هذا الاستنتاج، إنما هو عملية استدلال منطقي ولكنه غير مباشر، حيث تسمى القضيتان المستدل منهما مقدمتين، تكون إحداهما كبرى والأخرى صغرى، وأما القضية المستدلة فتسمى نتيجة³.

وهذا التعريف ينص صراحة على أن القياس يستدعي مفاهيم أساسية، تجلت مظاهرها من خلال خطاب الخلفاء الراشدين حسب الآتي:

¹ - أبو هلال العسكري، كتاب الفروق، ص 83، 84.

² - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 128.

³ - محمود زيدان، الاستقراء والمنهج العلمي، ص 20، 21.

I- منطق القياس الحملية وأبعاده التداولية في خطاب أبي بكر الصديق:

القياس الحملية قياس مركب من ثلاث قضايا حملية، القضية الأولى تسمى مقدمة كبرى، لأنها تضم حداً أكبر، والقضية الثانية تسمى مقدمة صغرى لأنها تضم حداً أصغر، أما القضية الثالثة فهي نتيجة استلزمها ارتباط المقدمتين من طريق الحد الأوسط، أي حمل إحدى القضيتين (المقدمتين) على الأخرى في إجراء الحكم (النتيجة) لوجه شبه مشترك بينهما، علماً أن الحد الأوسط هو حد مشترك بين المقدمتين (حد ورد في الكبرى وتكرر في الصغرى) وأما الحدان الآخران، أي الأكبر والأصغر، فيمكن تمييزهما بالنظر في النتيجة، حيث يكون موضوع النتيجة هو الحد الأصغر، ومحمولها هو الحد الأكبر¹.

على أن إجراء هذه العملية لا يكون منطقياً إلا إذا وافق القواعد الآتية²:

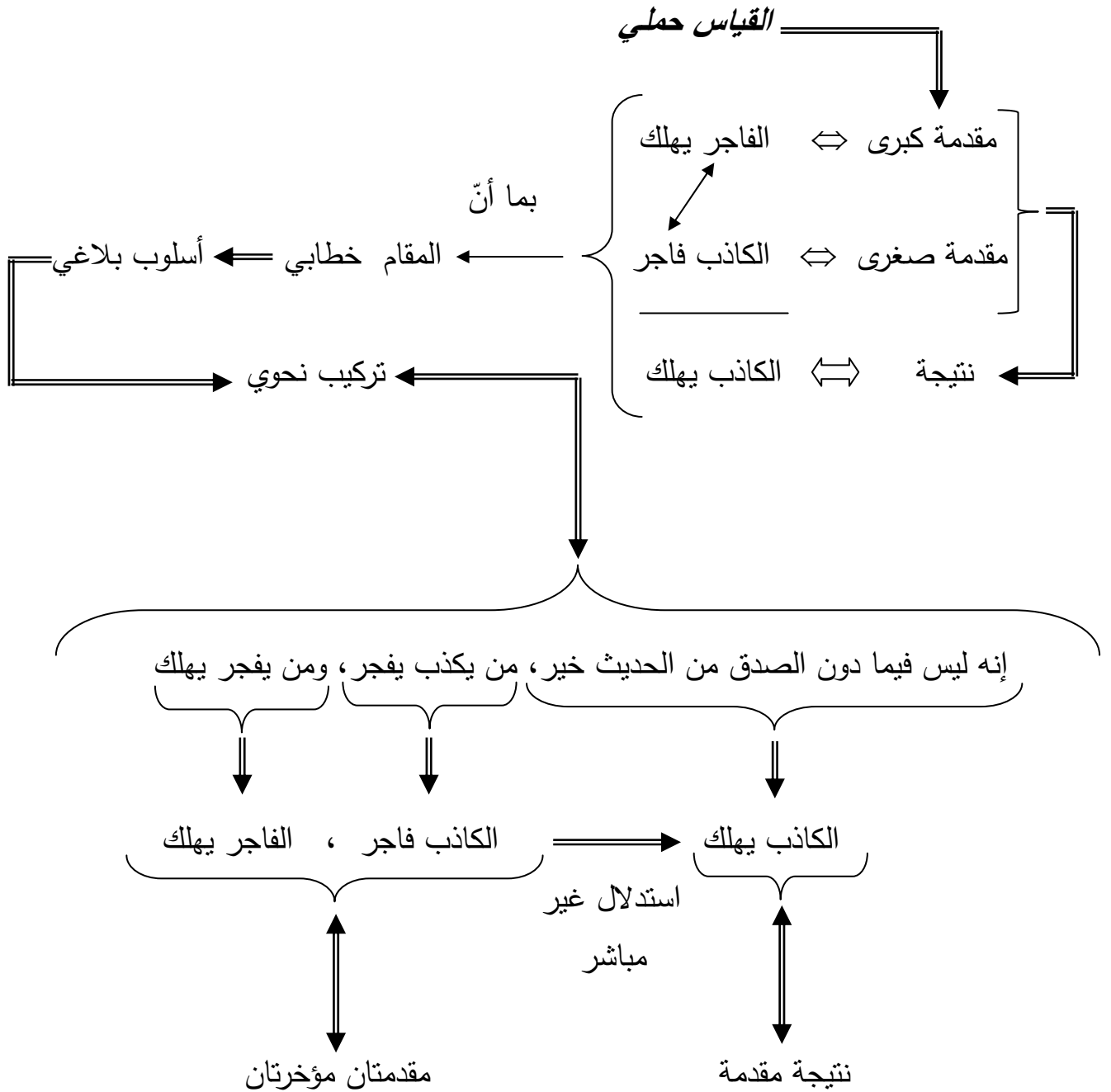
- يجب أن يستغرق الحد الأوسط مرة واحدة على الأقل في إحدى المقدمتين.
- يجب ألا يستغرق في النتيجة حدّ لم يكن مستغرقاً من قبل في إحدى القضيتين (المقدمتين).
- لا إنتاج عن سالبتين.
- إذا كانت إحدى المقدمتين سالبة كانت النتيجة سالبة.
- لا إنتاج عن جزئيتين.
- النتيجة تكون جزئية إذا كانت إحدى المقدمتين جزئية.

مما سبق ، يكون قول "أبي بكر الصديق" - رضي الله عنه - في النموذج الخطابي الأول: "إنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك"³ قياساً حملياً يشرحه المخطط الآتي:

¹ - محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي، ص20.

² - ماهر عبد القادر محمد علي ، المنطق ومناهج البحث ، ص87.

³ - ابن عبد ربه الأندلسي، كتاب العقد الفريد ، 4/63.



الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

بناءً عليه، وبما أن للاستدلال كفاءات في نظم الدليل، و مقاما يقتضي أن يطابقه الكلام مطابقة تجعل لخواص التركيب فيه دلالات تتناسب مقتضى الحال¹، فإن البنية النصية تركيب استدلاي منطقي اقتضى دلالات تتناسب مقتضى حال أوحى به موضوع الخطاب، على أن لهذه الدلالات أبعادا تداولية، وحتى تتسنى مقارنتها لابد من تحليل الفعل الكلامي للبنية النصية حسب الآتي:

1- الفعل المنطقي: يتمثل الفعل المنطقي للبنية النصية في وحداتها الصوتية وتراكيبها النحوية، ودلالات صيغها الصرفية المعجمية: "جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "إن" + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها جملة اسمية مقيدة بأداة النسخ "ليس" (خبرها شبه جملة تقدم عن اسمها النكرة)] + فصل بلاغي + أسلوب شرطي [جملة اسمية مقيدة بأداة الشرط "من" (مبتدأ) خبرها جملة فعلية (جملة فعل الشرط) + جملة فعلية (جملة جواب الشرط)] + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + أسلوب شرطي [جملة اسمية مقيدة بأداة الشرط "من" (مبتدأ) خبرها جملة فعلية (جملة فعل الشرط) + جملة فعلية (جملة جواب الشرط)] ← [جملة جواب الشرط لا محل لها من الإعراب]².

2- الفعل القضوي: يمثل مدلول البنية النصية فعلا قضويا يقتضي أن الهلاك مصير كل فاجر، وبما أن الكذب يؤدي بالإنسان إلى الفجور فإن الهلاك مصيره.

3- الفعل الإنجازي: إن تحديد الأفعال الإنجازية للبنية النصية يتعلق بمعرفة خواص تركيب الكلام الاستدلاي، وبما أن معرفة خواص تركيب الكلام الاستدلاي جزء من معرفة خواص تراكيب الكلام عامة³، فإن البنية المنطقية استمدت خصائصها التركيبية من علم المعاني، وذلك أنها اعتدت بمظاهر بلاغية أسهمت في تحصيل الأغراض الكلامية، حيث كان تقييد التركيب بأداتي النسخ "إن" و "ليس"، وباسم الشرط "من"، عاملا في إيضاح فائدة الخبر للمتلقى، لما هو معروف من أن الحكم كلما ازدادت قيوده ازداد إيضاحا وتخصيصا،

¹ - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت، لبنان، توزيع دار أوبا، طرابلس، ليبيا، ط2، 2010م، ص81.

² - عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص94، 95، 96، 98، 108، 109، 121، 142، 357؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، ص109، 150، 151، 181، 183.

³ - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص81.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وحينئذ تكون فائدته أتم وأكمل مما لو أُلقي على الإطلاق، علما أن الإطلاق والتقييد وصفان للحكم، فالإطلاق أن يقتصر في الجملة على ذكر المسند والمسند إليه حيث لا غرض يدعو إلى حصر الحكم ضمن نطاق معين بوجه من الوجوه، والتقييد أن يزداد على المسند والمسند إليه شيء يتعلق بهما أو بأحدهما، مما لو أغفل لكان الكلام غير مقصود، ويكون التقييد بالتوابع، وضمير الفصل، والنواسخ، وأدوات الشرط والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال والتمييز...¹، لذلك فغرض إلقاء الخبر مؤكدا تأكيدا طلبيا يختلف عن غرض إلقاءه في مقام إخبار على ابتداء أو مقام رد على إنكار، على أن في تقييد الخبر بأداة التوكيد "إن"، وفي توكيده بقصر طريقه تقديم ما حقه التأخير، خروجاً على مقتضى الظاهر، فالمتلقي ليس خالي الذهن عن فائدة الخبر، ولا عن لازم الفائدة، كما أنه ليس شاكاً أو منكراً لهما، وإنما طبيعة الموقف اقتضت فعلاً تأكدياً على اعتبار التثبيته و التذكير².

على حين كان تقييد الدلالة بالنفي عاملاً في ضبط الحكم الصحيح، فلو تم إغفال أداة النسخ "ليس" لفاتت الفائدة المقصودة، وكان الحكم من دونها كاذباً، أما تقييد التركيب بأداة الشرط "من" موصولة بالفعل المضارع (تركيبان شرطيان ← أداة شرط "من" + فعل مضارع مجزوم + جواب شرط فعله مضارع مجزوم)، فكان غرضه إثبات ديمومة الحكم واستمراريته³، أي إثبات ديمومة الهلاك مادام الكذب مستمراً، ولعل في هذا الإثبات فعلاً توجيهياً هدفه التحذير من عاقبة الكذب الوخيمة.

إضافة إلى ذلك فإن الغرض من تقديم ما حقه التأخير في الجملة الاسمية المقيدة بأداة النسخ "ليس" هو تخصيص المسند بالمسند إليه، وما يؤكد هذا الغرض أن خبر الجملة الاسمية المقيدة بأداة النسخ "إن" ورد جملة أيضاً، والمقصود من ذلك تخصيص الحكم (ما أثبتته الجملة الاسمية الواردة خبراً) بالمسند إليه⁴، والهدف من هذا التخصيص تقوية الحكم

¹ - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع ، ص141.

² - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البيدع - ، ص57.

³ - فاضل صالح السامرائي، معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ب، ط1، 2000م، 59/4، 62، 63.

⁴ - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبيدع، ص136، 137.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

بما أن مدلول الخبر الجملة (ليس فيما دون الصدق من الحديث خير بل هلاك) يحيل إلى نتيجة سببها الكذب (اسم "إن" و أحال إليه في التركيب الضمير المتصل "الهاء")¹، على أن هذا الأخير لم يرد صريحا في التركيب الاسمي بما أن خاصية التضاد الدلالي في الأسلوب البلاغي عملت على إيضاح مدلوله إيضاحا يغني عن التصريح بداله اللفظي، كما أدى هذا التضاد الدلالي بين الصدق والكذب إلى إحداث اتحاد تام بين التركيبين الاسمي والشرطي بناء على أن مدلول التركيب الشرطي فيه بيان لمدلول التركيب الاسمي وتوكيد عليه²، وبالتالي أدى كمال الاتصال الدلالي إلى ترك أداة العطف بين التركيبين، وفي ذلك فصل بلاغي، وإن كان وصل التركيبين الشرطيين بحرف "الواو" وصلا بلاغيا سوغه اتفاقهما خبرا، وتناسبهما في المعنى والتقييد والمضارعة³.

ضف إلى ذلك أن هذا التناسب ولد مظهرا بلاغيا آخر وظيفته شدّ انتباه المتلقي وتركيزه إلى جزئيات الخطاب، حيث أدى توافق الجملتين في الوزن (الصيغ الصرفية نفسها في كلتا الجملتين) إلى توازيهما صوتيا (الازدواج)⁴.

و ما تجدر الإشارة إليه، بما أنّ مدلول التركيب الشرطي فيه بيان لمدلول التركيب الاسمي وتوكيد عليه، أنّ في ذلك إطنابا بلاغيا حققه تذييل الكلام بالتركيب الشرطي، إذا علمنا أن الإطناب بالتذييل هو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها للتوكيد، وفي هذه الحالة يكون التذييل جار مجرى المثل، لأن التركيب الشرطي يستقل بمعناه ويستغني عما قبله، فقول الخطيب: "من يكذب يفجر ومن يفجر يهلك" وإن كان يشتمل على معنى الجملة السابقة: "ليس فيما دون الصدق من الكلام خير" إذ قد تم التعقيب على هذه الأخيرة توكيدا لمعناها، فإن فهمه (التركيب الشرطي) لا يتوقف على فهم ما قبله⁵.

4- الفعل التأثيري: من المعلوم أن المتكلم عندما يطالب غيره بتعديل الأفكار والاعتقادات أو بتصحيح الأفعال والسلوكات، فإن مطالبه لا تكتسي صبغة الإكراه، ولا تنهج

¹ الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص105.

² نفسه ، ص148، 149، 150.

³ عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص163، 164، 166.

⁴ عبد الرحمن تبرماسين ، " التوازنات الصوتية - التوازي، البديع، التكرار - " ، ص109.

⁵ عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص190، 191.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

منهج القمع، وإنما تتبع في تحصيل غرضها سبلا استدلالية متنوعة تجر المتلقي جراً إلى الاقتناع بما عرضه المتكلم، وقد تزوج الأساليب الإقناعية بالأساليب البلاغية فتكون إذ ذاك أقدر على التأثير في اعتقاد المتلقي وتوجيه سلوكه لما يهبها هذا الأسلوب الفني من قوة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها له كأنه يراها رأي العين¹. إن هذا النهج هو ذات النهج الذي سلكه الخطيب في تحصيله الأهداف الاستدلالية ومن ثم المقاصد الخطابية، وبما أن البنية المنطقية جزء من سياق عام ضم بنية منطقية أخرى تم ضبط فعلها التأثيري، فإن هذا الفعل يكون فعلاً مشتركاً بين البنيتين، لأن أغراضهما واحدة، وهي الحث على اجتناب سيئات الأعمال، والتحذير من عواقبها الوخيمة، وإن عمد الخطيب في هذا المقام الوعظي إلى منطق استدلالى يرتضيه العقل بأسلوب لغوي فني، فإنه لم يكتف بذلك، ولجأ إثره إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾² جازماً به حجية ما ذهب إليه، بما أنه بنية نصية نتائجها ثابتة وأحكامها قطعية، وتأثيرها في المتلقي أقوى من أي بنية أخرى³.

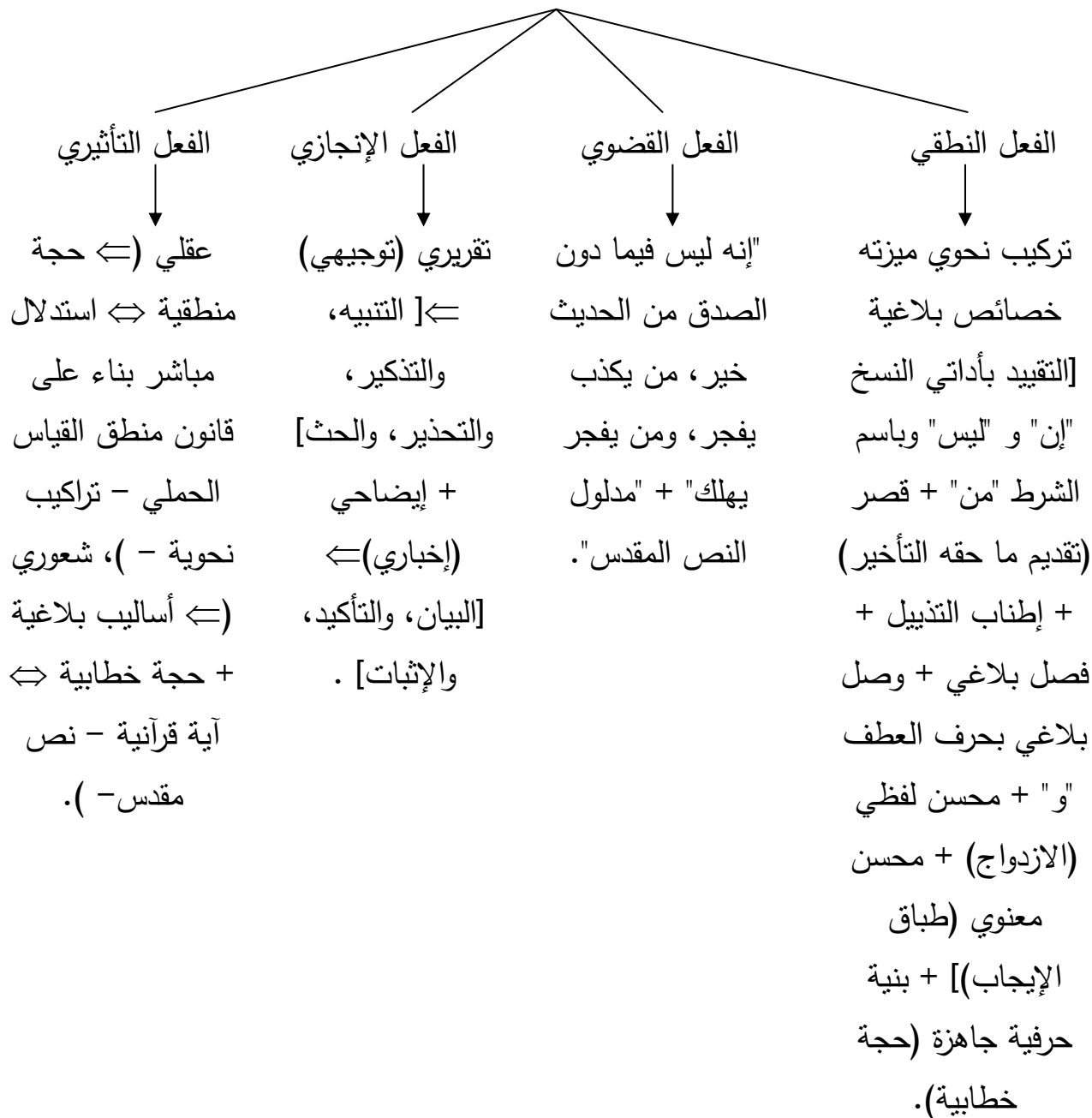
بناء عليه، يتم إيجاز نتائج التحليل حسب نظرية أفعال الكلام وفق ما يلي:

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص446.

² - آل عمران / 30.

³ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص537.

الأفعال الكلامية للبنى النصية



- المخطط رقم 18 -

II- منطق القياس المضمّر وأبعاده التّداوليّة في خطاب عمر بن الخطّاب:

إنّ قول "عمر بن الخطاب" - رضي الله عنه - من النموذج الخطابي الأول: "اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلعة، وإنكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية"¹ استدلال غير مباشر، وذلك أن الخليفة من خلال هذه البنية النصية إنما يخاطب أولئك الذين أقام عليهم الحجة في ابتغائهم ما عند الناس بقراءة القرآن، ويتطور سياق الخطاب تأتي الحجة المنطقية مرة أخرى، ولكن في صورة "قياس حملي مضمّر"²، وذلك أن الإضمار وإن كان من خصائص الأسلوب الأدبي، فإنه وارد في البنى الاستدلالية، فبما أن الأصل في الدليل التصريح بأجزائه جميعها، فإن الإضمار يستمد مشروعيته من مفهومه، فهو إخفاء بعض أجزاء الدليل بحذفها من التركيب بعد التأكيد من ثبوت ما يحيل إليها، أي "إسقاط الكلام لفظاً لا معنى، أو ترك اللفظ مع بقاء أثره"³، ولعل داعي حذف المقدمة الصغرى من القول راجع إلى أن ذكرها يؤدي إلى إيضاح ما هو جلي، وبيان ما هو بيّن، خاصة وأن السياق الدلالي يحيل إليها بشكل صريح، وبالتالي قد يقع الخطيب بالذكر في حشو الكلام من طريق التطويل⁴.

و المخطط الآتي يوضح آلية الاستدلال - غير المباشر- بناء على محتوى البنية

النصية:

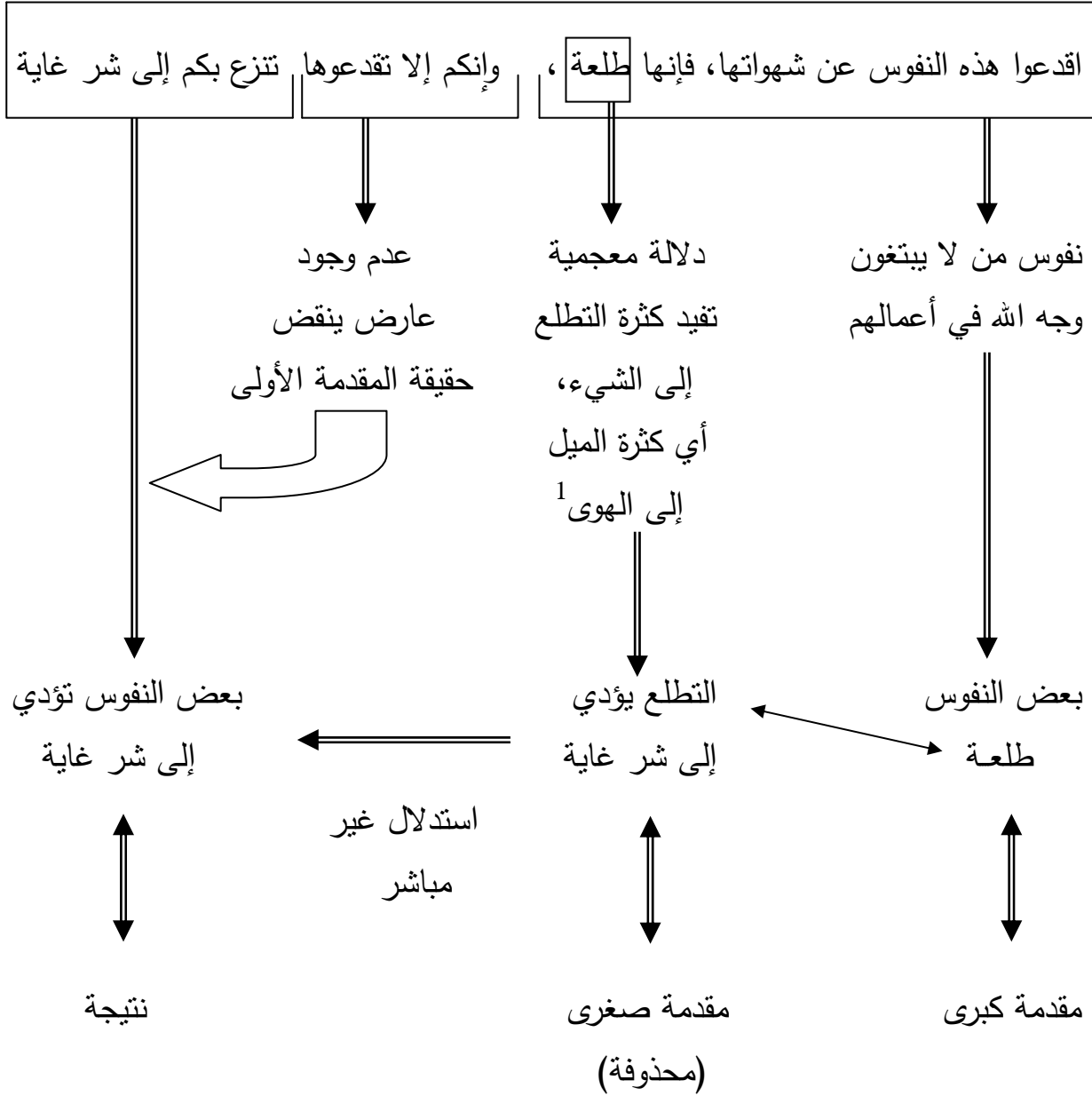
¹ - الجاحظ، البيان والتبيين، المجلد الثاني، 88/3.

² - ينظر: ماهر عبد القادر محمد علي، المنطق ومناهج البحث، ص79.

³ - الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص24.

⁴ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص145، 150.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين



- المخطط رقم 19 -

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (طلع)، 4/188.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وعليه، وبما أن النموذج الخطابي خطاب حجاجي وعظي، فإن البنية المنطقية تقتضي أبعادا تداولية تصنف ضمن أفعال "التأكيد"، وأفعال "التوجيه"، وتحليل الفعل الكلامي للبنية يبين ذلك فيما يلي:

1- الفعل النطقي: يحيل إلى "جملة فعلية (أسلوب أمر) [مقيدة بالمفعول به والبدل] + استئناف بـ"الفاء" + جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "إن" + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها مفرد (صيغة مبالغة ← فعلة)¹] + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + جملة اسمية [مقيدة بأداة النسخ "إن" + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها جملة فعلية [مقيدة بأداة الشرط والنفي "إلا" (إن + لم) والمفعول به ← جملة فعل الشرط (جملة جواب الشرط جملة فعلية لا محل لها من الإعراب)] [↔] أسلوب شرطي²."

2- الفعل القضوي: فعل تؤديه دلالة تقتضي أن بعض النفوس تتطلع إلى معرفة ما ليس فيه خير، وهذا التطلع قد يؤدي بها إلى شر غاية إذا لم يتعهدا صاحبها بما يقدها عن شهواتها.

3- الفعل الإنجازي: بناء على أن اللغة ليست مجرد وسيلة تواصل، بل إنها أيضا أداة تأثير في النفوس ووسيلة إقناع، فإن وظيفتها الإقناعية ضمن سياق محدد تستدعي فعلا معيناً تكون له علاقة وطيدة بقول ما، لأن لكل قول غاية عملية، إذ يؤدي تحقق هذه الغاية العملية إلى صياغة واقع جديد في صورة فعل لفظي يحتمل أبعادا تداولية أفعالها لا لفظية بما أن لها صلة بالأغراض والمقاصد الخطابية³، وعليه كان للبنية المنطقية أبعادا تداولية صنفت ضمن أفعال "التوكيد" و "التوجيه"، حيث اضطلعت التراكيب اللغوية بأغراض كلامية عملت على إنجازها أساليب بلاغية، وذلك أن فاتحة البنية النصية وردت جملة فعلية

¹ - محمود مطرجي ، في الصرف وتطبيقاته ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، ط1، 2000م، ص169، 170.

² - عبده الراجحي ، التطبيق النحوي ، ص49 ، 66 ، 357 ؛ إياذ عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي ، ص17 ، 18 ، 70 ، 71 ، 72 ، 103 ، 138 ، 198 ، 201 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص71 ، 109 ، 148 ، 150 ، 151 ، 155 ، 179 ، 181.

³ - سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، ص147.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

يتصدرها فعل الأمر "اقدعوا"، وبما أن أسلوب الأمر أسلوب إنشائي، فإنه خلافا للخبري لم ينقل واقعا ولم يحك حدثا، فلم يحتمل تبعا لذلك صدقا أو كذبا، وإنما عمل على توجيه المتلقي إلى القيام بالفعل لا تكليفا وإلزاما وإنما نصحا وإرشادا¹، أما خاتمة البنية النصية فورد أسلوبها خبريا حملته جملتان اسميتان منسوختان بالأداة "إن" خبر الثانية منهما جملة فعلية (جملة فعل الشرط)، وبالتالي أفاد التقييد بكل من أداة التوكيد، والشرط، والنفي غرضا تأكديا توضيحيا ينفية الإطلاق²، وبما أن ظواهر علم المعاني أسهمت في بناء تركيب استدلالي بلاغي، فإن مدلول صيغة المبالغة "طلعة" أسهم في تأسيس الدلالة، ومن ثم أسهم في تقدير المقدمة المحذوفة، علما أن الحذف ضرب من ضروب الإيجاز، يلجأ إليه المتكلم عندما يكون في كلامه ما يدل على المحذوف، ولا يكون هذا الضرب إلا فيما زاد معناه على لفظه، حيث تؤدي الزيادة في المعنى بناء على فاعلية القرائن (المقامية أو المقالية أو كليهما معا) إلى الاستغناء عن اللفظ، فتحذف من الكلام كلمة أو جملة أو أكثر حسب مقتضى³، وبالتالي عمل الإيجاز بحذف جملة في البنية النصية على جمع المعاني الكثيرة تحت الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح بناء على قرينة مقالية دلالية، وفي ذلك مطابقة الكلام بمقتضى الحال، بما أن هذا الأخير اقتضى الاختصار (ألفاظ قليلة ← الخطاب شفوي) والإيضاح (معان كثيرة ← الخطاب حجاجي)⁴.

4- الفعل التأثيري: إن للأدلة المنطقية ضمن الخطاب سلطة على المتلقي، لكن هذه السلطة لا تكون سلطة فاعلة إلا إذا عملت الأدلة على إقناعه والتأثير فيه من خلال حمله على القيام بما يوافق مقتضاها إما قولاً أو فعلاً، على أن استراتيجية الإقناع المنطقي وإن كانت فاعليتها لا تتعدى حدود العقل في بعض المواقف، فإن الأساليب البلاغية التي لجأ إليها الخطيب في موقفه هذا كانت لها أغراض إنجازية ومن ثم أبعاد تداولية سعى الخطيب إلى تدعيمها بتوظيفه بنية حجاجية أقوى فاعلية بما أن إستراتيجيتها الإقناعية وإن

¹ ينظر: الخطيب القرزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص131، 140، 141.

² أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص141، 150، 151.

³ عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع -، ص172، 173.

⁴ نفسه، ص179.

الفصل الثالث=====بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

كان لا يتحكم فيها المنطق، فإن العقل لا يرفضها¹، وذلك أن في قول الخطيب: "ترك الخطيئة خير من معالجة التوبة"² حكمة سلم المجتمع الإسلامي بسلطانها، وآمن بحقيقتها بما أنها قول بليغ موجز صائب يصدر من عقل وتجربة وخبرة بالحياة، ويحتوي قيمة عرفية تم الاعتراف بها³، وإن كانت هذه البنية قد تفشل في توجيه المتلقي، فإن مرد ذلك ليس لأن المتلقي منكر لسلطانها، أو لأن قيمتها الحجاجية فقدت مصداقيتها عنده، وإنما لأنه يتجاهل حقائقها الفعلية عمداً.

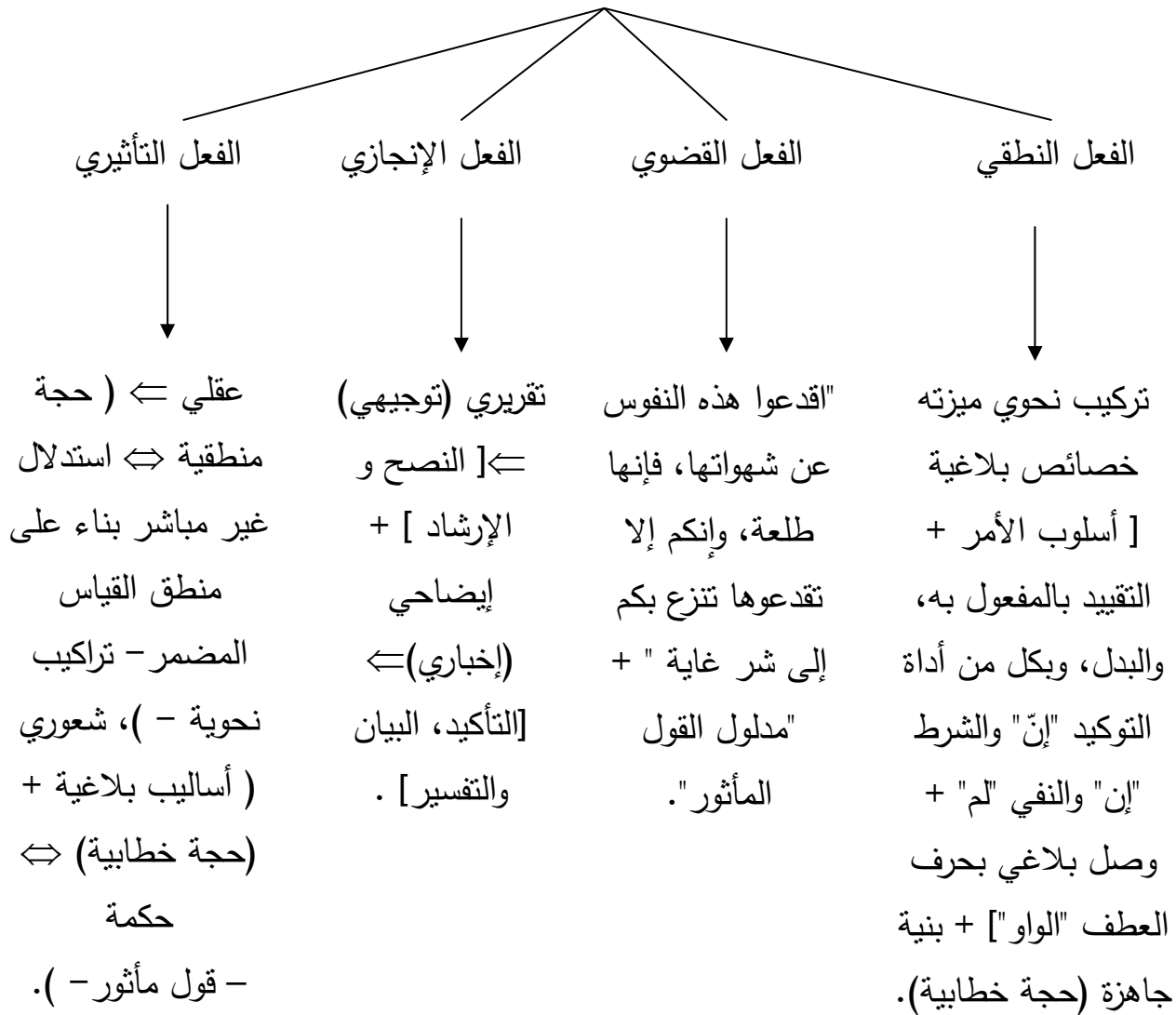
بناء عليه ، يتم إيجاز نتائج التحليل حسب نظرية أفعال الكلام وفق ما يلي:

¹ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص444، 445، 446، 537، 538.

² - الشريف الرضي، نهج البلاغة ، 385/4.

³ - نوار عبيدي ، التركيب في المثل العربي القديم ، ص20.

الأفعال الكلامية للبنى النصية



III- منطق القياس الشرطي وأبعاده التداولية في خطاب علي بن أبي طالب:

القياس الشرطي قياس مركب من ثلاث قضايا أيضا، ولكنه يختلف عن القياس الحلي في المقدمة الكبرى، حيث تكون هذه الأخيرة قضية شرطية لا حملية¹، وإذا كان قوام القضية الحملية سور وموضوع ومحمول، فإن قوام القضية الشرطية قضيتان حمليتان تكون إحداها شرطا للأخرى، إذ تؤسس القضية الأولى حدا شارطا يأتي بعد أداة الشرط يسمى "مقدّما"، أما القضية الثانية فتؤسس حدا مشروطا يمثله جواب الشرط يسمى "تاليا"².

بناء على هذه المعطيات، يكون قول "علي بن أبي طالب" - كرم الله وجهه - من النموذج الخطابي الثاني: "ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرا وإعلانا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان"³ قياسا شرطيا متصلا لا منفصلا، وذلك أن القياس المنفصل هو ما كانت فيه المقدمة الكبرى شرطية منفصلة، أي أنها تفيد العناد، على حين أن المقدمة الكبرى في البنية النصية وردت شرطية متصلة، والقضية الشرطية المتصلة هي ما كان فيها المقدم سببا للتالي⁴، ويترتب على ذلك أن تكون المقدمة الصغرى استثنائية حملية تثبت أو تنفي أحد طرفي المقدمة الكبرى، وتكون النتيجة حملية أيضا، لأنها قد تثبت أو تنفي الطرف الباقي بناء على طبيعة هذا الاستثناء⁵.

إلا أن خاصية الإضمار اقتضت أن ترد النتيجة بشكل ضمني غير صريح، بما أن حذف دالها اللفظي لا يلغي أثرها الدلالي، إذ قد يؤدي الاهتمام بالتفاصيل في مثل هذا الموقف (موقف التدليل) إلى إلغاء ما لا يقبل التأجيل⁶.

والمخطط الموالي يثبت اتصال الشرط في البنية المنطقية ويحيل إلى النتيجة

المضمرة:

¹ - محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص 99.

² - نفسه، ص 74.

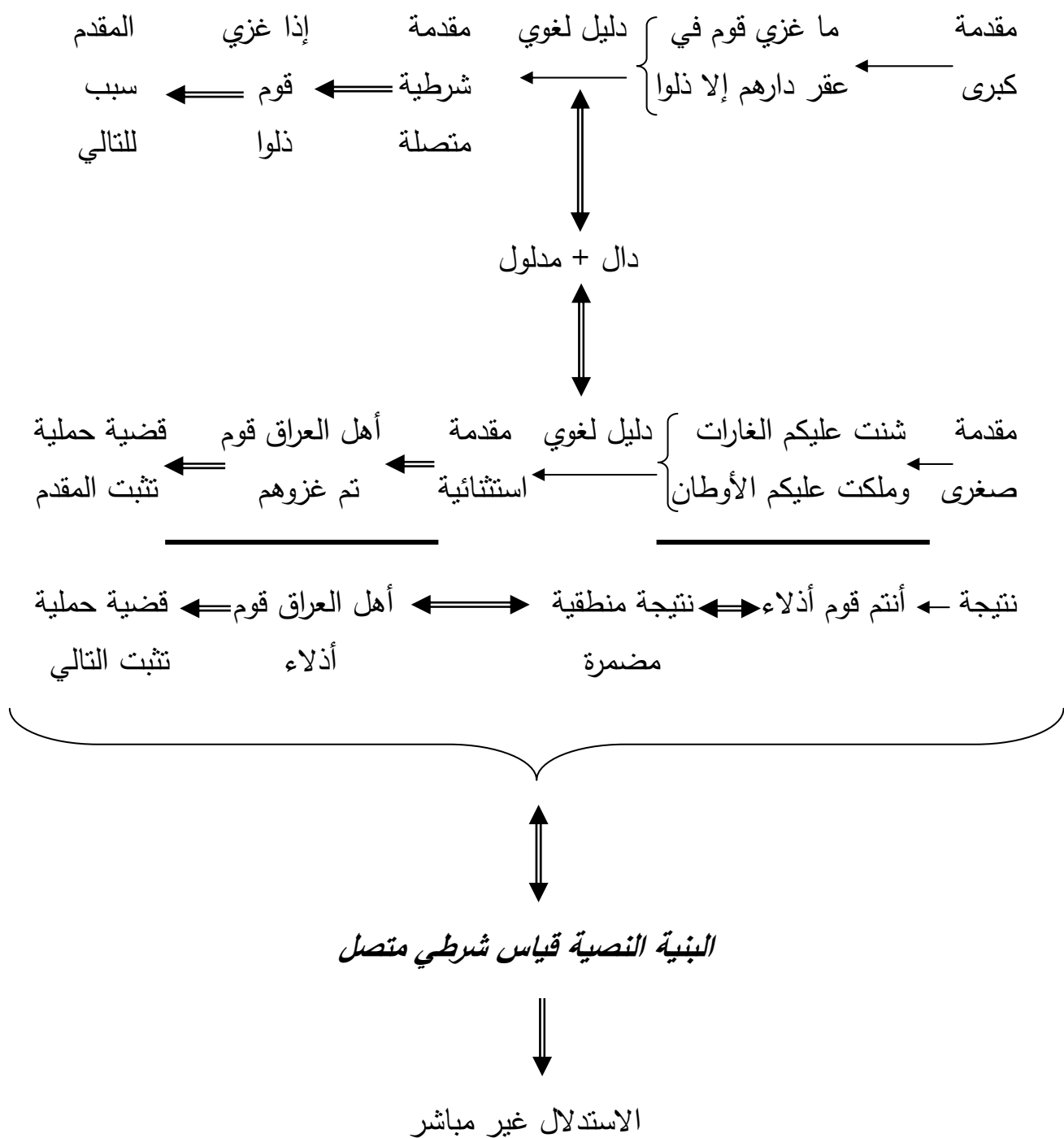
³ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، 45/1.

⁴ - محمد فتحي الشنيطي، أسس المنطق والمنهج العلمي، ص 75.

⁵ - نفسه، ص 99، 101.

⁶ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 150.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين



- المخطط رقم 21 -

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

بناء على ما أثبتته المخطط، يتضح أن للبنية المنطقية أبعادا تداولية تصنف ضمن كل من أفعال التأكيد (الإيضاح) والتوجيه (القرار) والتصريح (السلوك)، وما يؤكد هذا أن تحليل فعلها الكلامي أنبأ عن الآتي:

1- الفعل النطقي: " جملة اسمية [مصدرة بأداة الابتداء "ألا" + مقيدة بأداة النسخ "إن" + اسمها معرف بالإضمار (ضمير متصل) + خبرها جملة فعلية (مصدرة بأداة التحقيق "قد" + مقيدة بالمفعول به، والمفعول فيه (ظرف زمان + ظرف مكان)، وعطف النسق - (بالواو)] + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + جملة فعلية [مقيدة بالمفعول به (جملة مقول القول¹ ← جملة فعلية (أسلوب أمر) مقيدة بالمفعول به، والمفعول فيه، والنفي (ما) والاستثناء (إلا) ← (أسلوب قصر) + قسم تأكيدي] + وصل بلاغي بحرف العطف "الفاء" + جملة فعلية [مقيدة بعطف النسق (الواو، حتى)]².

2- الفعل القضوي: يؤديه مدلول ترتب على الفعل النطقي، يحيل إلى أن الخطيب أمر رعيته مرارا وتكرارا بجهاد العدو، لأن في ذلك عزة لهم، ولكن العدو نال منهم، بما أنهم آثروا المذلة بمعصية أمره.

3- الفعل الإنجازي: لئن كان علم النحو يدرس البنية اللفظية، فينظر في كيفية التركيب وأصله ، فإن علم المعاني يدرس مطابقة القول لمقتضى الحال بتحليل خواص التراكيب بحسب وظيفتها التخاطبية في صلتها بالأغراض الكلامية، ومدى تحقيق خصائص التراكيب لهذه الأغراض³، وبالتالي أدى تحليل خواص تركيب البنية المنطقية إلى حصر أغرضها الكلامية، حيث ورد الأسلوب الخبري إنكاريا، وذلك أن الخطيب أنزل متلقيه غير المنكر لفائدة الخبر ولا لازم الفائدة منزلة المتلقي المنكر، لظهور أمارات الإنكار عليه

¹ - عبده الراجحي ، التطبيق النحوي ، ص333، 334.

² - إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي ، ص17، 18، 70، 71، 72، 103، 138، 198، 201 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص58، 71، 109، 148، 150، 151، 155، 167، 168، 179، 181.

³ - شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص90.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

بمعصية أمره والرضى بالذل والمهانة بدلا من السعي في سبيل الله¹، فاستلزمت هذه الحال تأكيد الكلام بأكثر من مؤكد، وعمل على ذلك:

- حرف الابتداء والتنبيه "ألا" بما أن دلالاته على التأكيد تأتي من دلالاته على تحقيق ما بعده².

- تقييد صدر الكلام بـ "إن" بما أنها أداة نسخ تقييد التوكيد³.

- تصدير الجملة الفعلية (خبر إن) بـ "قد" بما أنها أداة تحقيق أفادت التوكيد في سياقها اللغوي⁴.

- القسم بـ "الواو" بما أن أدوات القسم من مؤكدات الخبر⁵، إضافة إلى أن القسم أسلوب من الأساليب الإنشائية يلجأ إليه المتكلم في موقف يستدعي تأكيد شيء واقع في الماضي ليزيل الشك من نفس المخاطب⁶.

- تقييد جملة مقول القول بالنفي والاستثناء لإفادة القصر (قصر موصوف على صفة قصرا إضافيا طريقه النفي بـ "ما" والاستثناء بـ "إلا")، بما أن القصر من أقوى طرق التوكيد⁷.

وإن كان الأصل في الخبر أن يلقي لأحد غرضين، إفادة المتلقي الحكم الذي تتضمنه الجملة أو العبارة (فائدة الخبر)، أو إفادة المتلقي أن المتكلم عالم أيضا بالحكم الذي يعلمه المتلقي (لازم الفائدة)، إلا أن خروج الكلام عن مقتضى الظاهر أي عن هذين الغرضين، أدى به إلى إفادة غرض بلاغي أحال إليه سياق الكلام، تمثل في لفت انتباه الرعية إلى ما هم فيه من ضلال بناء على تأكيد مقتضاه، ولعل في ذلك تصريحاً ضمناً بفعل سلوكي عمل على إنجازه مدلول اللوم والتوبيخ (لوم المتلقي وتوبيخه) بحكم الحسرة والغیظ (حسرة الخطيب وغيظه)⁸.

¹ - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 49، 57، 58.

² - نفسه، ص 56.

³ - نفسه، ص 51.

⁴ - نفسه، ص 53.

⁵ - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 58.

⁶ - إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، ص 135.

⁷ - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 227، 228، 229.

⁸ - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 55، 56.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

إضافة إلى هذا الغرض البلاغي، أفاد التركيب غرضاً آخر من خلال تقييده بأسماء منها ما هو منصوب على الظرفية الزمانية، ومنها ما هو منصوب على الظرفية المكانية، وكان غرض كل منهما توضيحياً، حيث أفاد ظرف الزمان "ليلاً ونهاراً" (⇐ مفعول فيه) بيان زمن وقوع الفعل، أما ظرف المكان "سراً وإعلاناً" (⇐ مفعول فيه) فأفاد بيان المكان الذي تمت من خلاله دعوة الخطيب¹.

على أن ما زاد النسق التوضيحي إيضاحاً هو طباق الإيجاب بين "الليل والنهار"، وبين "السراً والإعلان"، بما أن التضاد بعامة يسهم في الإفصاح عن المعاني، ومن ثم في إيضاح الدلالة².

وبالتالي ترتب على الغرض التوضيحي إنجاز فعل تأكيدي، كان له أثر في إثبات أن دعوة الخليفة رعيته للجهاد كانت متكررة.

أما حذف الفاعل ببناء الفعل للمجهول في خاتمة البنية النصية، فحتماً لم يكن الغرض من ذلك تعظيم الفاعل بما أنه معلوم لدى الخطيب ومتلقيه، وإنما تحقيره بصون اللسان عن ذكره، نظراً لما تسبب فيه من شقاق بين المسلمين من جهة، ولما ألحقه بهم من دمار سببته إغارات بغير وجه حق من جهة أخرى، لذلك كان غيظ الخطيب وحسرتة أشد وأعمق فهزأته لم تتوال عليه لأن الخصم أجدر منه، أو لأن لا دراية له بشؤون الحرب، بل لأن رعيته من أهل العراق لا عزة فيهم، تواكلوا وتخاذلوا حتى جر عليهم تقاعسهم ويلاً أدلهم³.

وبذلك كان فعل التوجيه قائماً على تعيين نتيجة المعصية، من خلال حمل المتلقي على تقدير هذه النتيجة المضمرة، لأن المشاركة المطلوبة منه في تقدير ما حذف تجلعه وكأنه لم يحمل على النتيجة حملاً، وإنما وصل إليها بمحض إرادته، فيقيم هو ذاته الحجة على نفسه⁴، بناء على أن خصائص الخطاب الاستدلالي المنطقي لا تتصل بأساس العملية العملية

¹ - إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي ، ص150، 151، 152 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، ص156.

² - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص287.

³ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، ص163.

⁴ - طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، ص150.

الاستدلالية وبنياتها اللزومية، بل تتصل بإمكانية التصريح بمكونات الاستدلال أو الكناية عنها، وهو أمر تفرضه مقتضيات الأحوال، بحيث يسلك المستدل مسلك الخطاب الأدبي إذا كان المقام الخطابي - وخاصة الشفوي- يستدعي عدم التدقيق والتفصيل، لأن البلاغة في مثل هذه المقامات منافذ استراتيجية (الإضمار، الحذف، الإيجاز)¹، فكان الإيجاز بحذف جملة في البنية النصية أبلغ أثرا في المتلقي مما لو عمد الخطيب إلى بسط وحداتها التركيبية، بما أنه التزم بما يضمن سلامة التركيب أثناء الحذف، وبالتالي تناسب كلامه مع الوصف الذي أثبتته الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز قائلا: "هو باب [أي باب الحذف] دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تتطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"²، وذلك أن الأصل في جميع المحذوفات على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل عليها، وإلا كان الحذف تعمية وإغازا لا يصار إليه بحال، فمن شرط حسن الحذف أنه متى ظهر المحذوف زال ما كان في الكلام من البهجة والطلاوة، وصار إلى شيء غث لا تناسب بينه وبين ما كان عليه أولا³.

وعليه، فإن الأغراض البلاغية أدت وظيفتها في البنية المنطقية إذ عملت على توجيه المتلقي إلى أهداف الخطاب ككل، فبمواجهة الأعداء وصددهم، تستقيم الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية في ظل استقرار سياسي يحفظ للإنسان كرامته وعزته.

4- **الفعل التأثيري:** بما أن ردود أفعال المتلقي التي يستدعيها مقتضى الدليل

المنطقي هي إحداث تعديل في الأفكار والمعتقدات، وإجراء تصحيح للأفعال والسلوكات، إلا أن استراتيجية الإقناع المنطقي وإن كانت فاعلة في بعض المواقف رغم أن فاعليتها لا تتعدى حدود العقل، فإنها استراتيجية قد لا تنجح في مواقف أخرى إطلاقا، لأنها مواقف تحتاج إلى تأثير شعوري أكثر منها إلى إقناع منطقي⁴، على أن ذكاء المستدل في مثل هذه

¹ - شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص91.

² - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص106.

³ - نفسه ، ص117، 118.

⁴ - ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص457.

الفصل الثالث=====بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

المواقف قد يؤدي به إلى ضمان الإقناع المنطقي إضافة إلى تحقيق التأثير الوجداني، ويتضح ذلك بناء على اقتضاء البنية النصية وظيفية إقناعية أحال إليها منطق الاستدلال القياسي، ووظيفة تأثيرية أوحى بها الأبعاد التداولية، وبالتالي وبما أن للأغراض البلاغية إسهام في ضبط هذه الأبعاد التداولية، تكون قواعد البناء المنطقي، وأساليب التعبير الفني مسؤولة عن أداء هذه الوظائف التواصلية، ومن ثم تكون مسؤولة عن تحقق الأهداف الاستدلالية، لذلك تم تدعيم ذات القواعد والأساليب من خلال بنى تركيبية جاهزة تضطلع بفعل تأثيري يستند إلى أسس عقائدية، فيما أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المعجز الذي أنزله على نبيه ورسوله إلى البشرية كافة "محمد بن عبد الله"، وبما أن الحديث هو كل قول أو فعل أو تقرير نسب إليه - عليه الصلاة والسلام -، فإن الثقافة الإسلامية سلمت بهما حجة يمكن تصنيفها في أعلى درجات السلم الحجاجي، لأن أحكامها - من دون شك - يقينية ثابتة، فيؤدي الاستدلال بها في المواقف المقامية المتعددة والمختلفة حتماً إلى تأسيس دعامة حاجية قوية بالنظر إلى سلطتها الخطابية، وهي سلطة تسهم في رفع ذات المتكلم بما أنه يرقى بالاستدلال بها إلى ما هو أرفع في الكلام، وعندها يتبوأ الخطاب مكاناً علياً لأن السلطة تؤول إليه بناء على أهلية وبراعة مرسله في كيفية التوظيف¹.

ويرى أحد النقاد المحدثين أن توظيف البنيات الجاهزة - سواء أكانت مقدسة أم غير ذلك - خاضع لأسس مرجعها محاورة بعيدة تتم بين المرسل والبنيات المنقولة على لسانه، منها الاقتباس والاستشهاد².

وقد لجأ الخطيب إلى الحديث النبوي مقتبساً منه في مقدمة خطابه حين قال: "فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه، رغبة عنه، ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وديث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد، وأدب الحق منه بتضييع الجهاد، وسيــــــــم الخسف، ومنع النصف"³، كما استشهد بأحداث التاريخ عقب البنية

¹ - السابق، ص 537، 544.

² - طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 47.

³ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/45.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

المنطقية بقوله: "وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها، وقلبها، وقلائدها ورعاثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرین ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق لهم دم".¹

وبما أن "الاقتباس" ملمح من ملامح البلاغة العربية، يقوم على تضمين المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما²، فإن الخطيب عمد إلى قوله عليه الصلاة والسلام: "من أنفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة: (...). ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد"³ دون أن يحيل إلى طبيعته بحكم ما أضفاه عليه من معاني الترغيب في الثبوت على الطاعة، والترهيب من عواقب المعصية.

أما "الاستشهاد" وبما أن من معانيه السياقية الإتيان بما يثبت صحة أمر ما مع الإحالة إلى طبيعته ومصدره⁴، فإن الخطيب لجأ عقب البنية المنطقية إلى ما يدعم منطقته من خلال استشهاده بما حدث لأهل العراق في الأنبار من استباحة محارمهم، ونهب خيراتهم، وقتل رعاياهم، وما ذلك إلا فعل شنيع قام به "سفيان بن عوف" وجنوده بأمر من "معاوية بن أبي سفيان" معلنا بذلك خروجه عن طاعة الخليفة⁵.

بناء على ما تم تحليله، يمكن ضبط الأفعال الكلامية للبنى النصية فيما يلي:

¹ - السابق، 45/1، 46.

² - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، ص 338.

³ - الحسين بن المبارك، مختصر صحيح البخاري - التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح -، شرحه ووضع حواشيه: الشيخ الشرقاوي، ابن قاسم الغزي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005 م، ص 221.

⁴ - المعجم العربي الأساسي، ص 705.

⁵ - الطبري، تاريخ الأمم والملوك، 3/149، 150.

الأفعال الكلامية للبنى النصية



ثانيًا / بلاغة الاستدلال بالاستقراء من خلال الاستلزام الحوارية:

- تمهيد (التعريف بالاستقراء):

الاستقراء في تعريف المناطقة هو عملية استدلالية غير مباشرة، يتم فيها انتقال الفكر من أحكام جزئية خاصة إلى حكم كلي عام¹، إما باللجوء إلى أمثلة جزئية يكمن فيها صدق قضية عامة، وإما بالبرهنة على أن قضية ما صادقة صدقا كليا بإثبات أنها صادقة في كل حالة جزئية إثباتا تجريبيا، وبالتالي يكون الاستقراء صنفين: تام وناقص²، تجلى كل منهما في خطاب الخلفاء الراشدين حسب الآتي:

¹- الشريف الجرجاني ، كتاب التعريفات ، ص20.

²- محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي ، ص27.

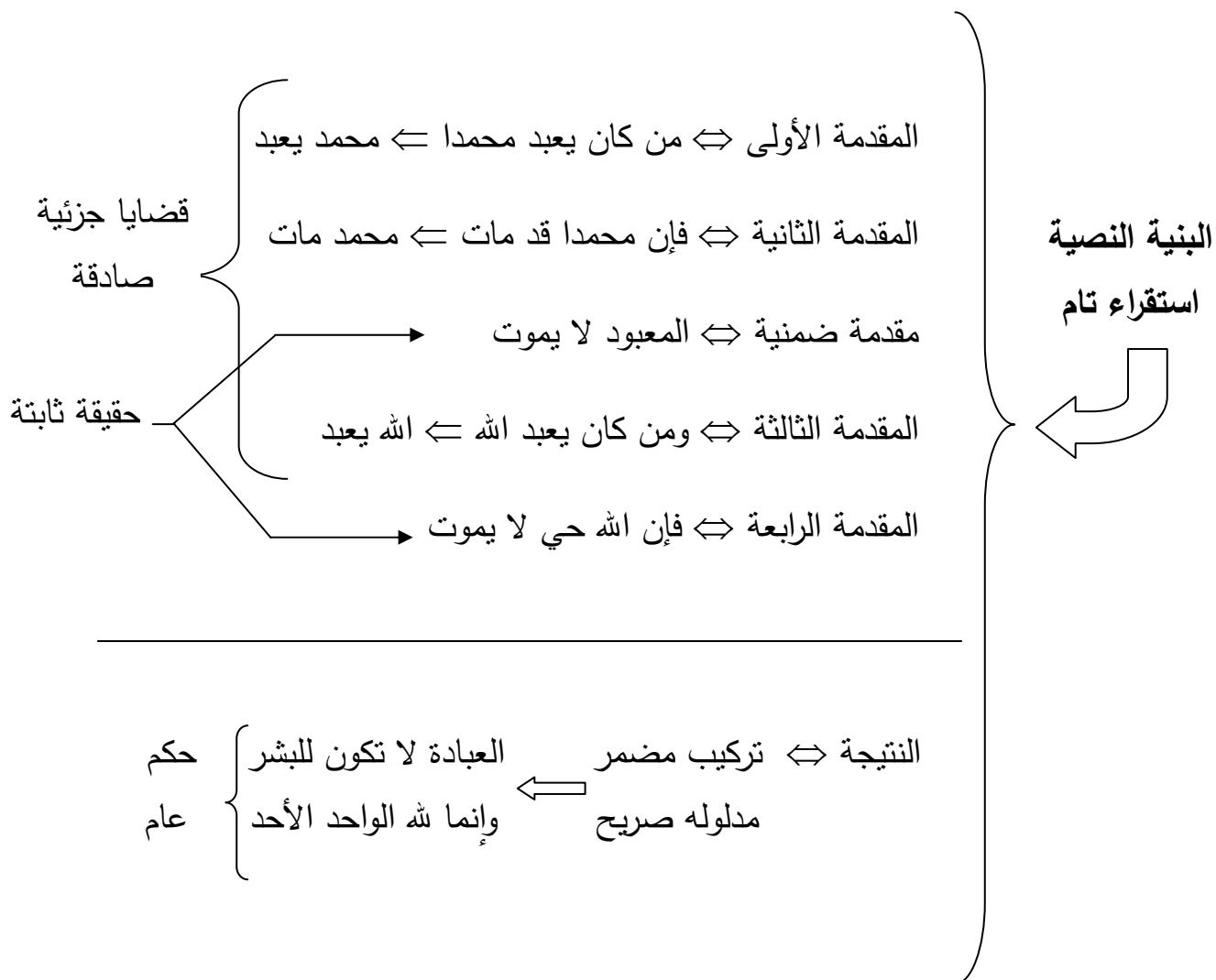
I - منطق الاستقراء التام وأبعاده التداولية في خطاب أبي بكر الصديق:

يكون الاستقراء استقراء تاما إذا تم فيه الانتقال من أحكام تتعلق بقضايا تمثل إحصاء لكل الحالات الجزئية الممكنة إلى تعميم ما حكمت به النتيجة، بناء على علاقة قياسية تجمع بين هذه القضايا، وبالتالي يكون الاستقراء التام قياسا، ولكنه قياس قائم على أكثر من مقدمتين (ثلاث مقدمات على الأقل)، نتيجه وإن كانت يقينية فهي لا تقرر شيئا جديدا لم يكن متضمنا في المقدمات، لذلك يصنف هذا الاستدلال ضمن الاستقراء التام، لأن تعميم الحكم في النتيجة نجم بناء على استقراء كل القضايا التي لها علاقة بموضوع الاستدلال¹.

إذا، يمكن أن يكون الاستدلال الذي لجأ إليه "أبو بكر الصديق" - رضي الله عنه - من النموذج الخطابي الثالث بقوله: "من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت"² استقراء تاما، لأن النتيجة - وإن كانت مضمرة - فإنها قد عممت حكما بناء على استقراء مقدمات منها ما هي قضايا جزئية شاملة، ومنها ما هي حقائق ثابتة، وما يلي يوضح ذلك:

¹ - السابق، ص 25؛ ماهر عبد القادر محمد علي، فلسفة العلوم - المنطق الاستقرائي -، 22/1، 23.

² - ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الثالث، 264/5.



- المخطط رقم 23 -

بناء على ما أثبتته المخطط يتضح أن للبنية النصية أبعادا تداولية يمكن حصرها في:

1- معنى صريح يقتضي:

أ- قوة إنجازية حرفية: يحيل إليها تركيب شرطي ① جوابه محذوف¹ ← [أداة الشرط "من" + جملة فعل الشرط مقيدة بأداة النسخ "كان" + جملة اسمية مصدرية "بالفاء"، مقيدة بأداة النسخ "إن"، خبرها جملة فعلية مصدرية بأداة التحقيق "قد"]² + حرف العطف "الواو" (وصل بلاغي) + تركيب شرطي ② جوابه محذوف ← [أداة الشرط "من" + جملة فعل الشرط مقيدة بأداة النسخ "كان" + جملة اسمية مصدرية بالفاء، مقيدة بأداة النسخ "إن"، والحال (جملة فعلية مقيدة بأداة النفي "لا")³]⁴.

ب- محتوى قضويا: يؤكد وفاة الرسول - عليه الصلاة والسلام - ويجزم بحقيقة الخلود التي لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، ومن ثم فإن العبادة لا تصح إلا له، وأما محمد عليه السلام، فما هو إلا نبي آدمي أرسله سبحانه وتعالى لينذر البشرية كافة.

2- معنى ضمني يستلزم:

أ- معنى عرفيا: تفقّه الثقافة الإسلامية بشكل جيد، وذلك أن الخطيب صاغ حجته وفق تراكيب لغوية وأساليب بلاغية شكلت حلقة وصل بينه وبين المتلقي، وذلك أن إلقاء البنية النصية مؤكدة بأكثر من مؤكد (إنّ + قد + إنّ) اقتضى أسلوبا إنكاريا عالج جزع المسلمين (المتلقين) ممن ساورهم الشك فيما يخص وفاة الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وآخر طلبيا كان غرضه التثبيته إلى أن الله سبحانه وتعالى أزلي خالد في الوجود، وعليه فإن البنية وردت مقيدة بأداة النسخ "إنّ" للتوكيد⁵، إضافة إلى التقييد بأداة النسخ "كان" وحرف النفي "لا"، حيث أفاد التقييد بـ "كان" حكاية الحال⁶، أما التقييد بـ "لا" فأفاد النفي مطلقا، بما أن التقييد بالنفي يكون لسلب النسبة على وجه مخصوص⁷.

¹ الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص171؛ صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم، ص49، ص50.

² عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص67، 347، 348، 357.

³ إياد عبد المجيد إبراهيم، في النحو العربي، ص159.

⁴ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص58، 141، 150، 151، 155، 156، 188.

⁵ عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع -، ص51.

⁶ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص150.

⁷ نفسه؛ ص155.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

على حين أفاد التقييد بالشرط التعليق، وذلك أن الشرط أسلوب يقتضي وجود جملتين (جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط) لا يتم المعنى إلا بهما معا¹، وبالتالي تعلق جواب الشرط المحذوف بفعل الشرط المتحقق حصوله بناء على أن أداة الشرط "من" أثبتت حصول فعل الشرط:

من كان منكم يعبد محمدا ← فعل شرط متحقق الحصول	}	التركيب الشرطي ①
فليتب إلى الله ← جواب شرط محذوف غرضه النهي عن المعصية		
فإن محمدا قد مات ← جملة اسمية غرضها الإنذار		

من كان يعبد الله ← فعل شرط متحقق الحصول	}	التركيب الشرطي ②
فليثبت على طاعته ← جواب شرط محذوف غرضه الحث على الطاعة		
فإن الله حي لا يموت ← جملة اسمية غرضها التذكير		

علما أن حذف جملة جواب الشرط في كلا التركيبين سوغه الإيجاز البلاغي (إيجاز الحذف ← حذف جملة)²، بما أن السياق اللغوي تكفل بالإحالة إلى أبعادها الدلالية، فجملة الشرط جاءت بعدها جملة اسمية لا يصح أن تكون جوابا لها، لكنها دلت على جواب محذوف يفيد معنى جديدا لا يفهم من جملة الشرط مباشرة³، لأن الشرط في هذه البنية قائم على مفهوم يقتضي أن يقع الشيء لوقوع غيره، فوقوع الثاني متوقف على وقوع الأول⁴، أي أن جملة جواب الشرط متوقفة على جملة فعل الشرط، وبالتالي يكون جواب الشرط في التركيب الأول قائما على فعل التوبة، أما فعل التوبة فمتوقف على فعل الشرط وهو حدوث المعصية، وكذلك بالنسبة لجواب الشرط في التركيب الثاني، فهو قائم على فعل الثبات على الطاعة وإن كان هذا الأخير متوقفا على أداء الطاعة ذاتها بما أنها تمثل فعلا شرطيا.

¹ - صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، ص10.

² - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص171.

³ - صبحي عمر شو، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، ص49، 50، 51.

⁴ - فاضل صالح السامراني ، معاني النحو ، 53/4 .

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

ومن ذلك يتضح أن هذه المعاني النحوية قد ضمت أغراضا بلاغية تمثلت في التوجيه (الإنداز) والتنبيه (التذكير)، والنصح (النهى) والإرشاد (الحث).

وإذا علمنا بأن الإيجاز البلاغي نوعان، إيجاز قصر: يكون بتضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف. وإيجاز حذف: يكون بحذف مفردة أو جملة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف¹، فإن زيادة اللفظ على المعنى لفائدة، أو تأدية المعنى بعبارة زائدة لفائدة تقويته وتوكيده، لا يكون حشوا ولا تطويلا في الكلام، وإنما يكون "إطنابا بلاغيا" تحقق في البنية المنطقية من خلال: إطناب التكرار الذي هو ذكر الشيء مرتين أو أكثر، لأغراض منها التأكيد، والترديد. وإطناب الإيغال الذي هو ختم الكلام بمفردة أو عبارة يتم المعنى بدونها ولكنها تضيف إلى معناه التام معنى زائدا. وإطناب التتميم الذي هو زيادة كلمة أو أكثر توجد في المعنى حسنا بحيث لو حذفت لصار الكلام مبتذلا².

فكان توظيف الخطيب للوحدات اللغوية: "من"، "فإن"، "كان"، "يعبد"، "الله"، "محمد" أكثر من مرة تكرارا مفيدا ورد في الكلام لداعي التأكيد على الإنذار والإرشاد حيناً³، ولداعي الترديد حيناً آخر، بما أن الترديد هو تكرار اللفظ متعلقا بغير ما تعلق به أولا⁴.

أما توظيف الخطيب للجملة الفعلية المنفية "لا يموت" فكان إيغالا بلاغيا بما أنه أضاف إلى معنى الجملة التام (فإن الله حي) معنى جديدا، هو أن الله أزلي الوجود خالد فيه⁵، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان هذا التوظيف متمما فنيا، إذ لو حذفت الجملة الفعلية المنفية لكان الكلام مبتذلا، لا رقة ولا طلاوة فيه⁶.

وما تجدر الإشارة إليه، أن التكرار اللفظي الوارد حقق انسجاما إيقاعيا أحدثه توافق الوحدات اللغوية وزنا، فأدى هذا التوازن الصوتي إلى توازي الجملتين الشرطيتين ضمن البنية النصية، وكان لذلك أثر جلي في لفت الانتباه، ومن ثم في إيضاح الدلالة⁷.

¹ - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 179.

² - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 201، 202، 204، 205.

³ - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 184، 185.

⁴ - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 203.

⁵ - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 185، 186.

⁶ - أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص 205.

⁷ - عبد الرحمن تيرماسين، " التوازنات الصوتية - التوازي، البديع، التكرار - "، ص 109.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

ضف إلى ذلك، وبما أن البنية المنطقية تتكون من تركيبين لغويين شرطيين يتفقان خبرا ويتناسبان في الاسمية والتقييد والمعنى*، أن عطف إحدى التركيبين على الآخر بحرف "الواو" يكون وصلا بلاغيا وليس مجرد ربط نحوي¹، على أن الفصل البلاغي القائم بين الجملة الاسمية المنسوخة بـ "إن"، والجملة الفعلية المنفية بـ "لا" أسس له كمال الاتصال بين الجملتين المتحدتين اتحادا تاما، بأن وقعت الجملة الثانية بدلا من الجملة الأولى، ومقتضى الإبدال كون الأولى غير وافية بتمام المراد بخلاف الثانية، فاقتضت الجملة الثانية (لا يموت) أن تنزل من الجملة الأولى (فإن الله حي) منزلة بدل الاشتمال لا منزلة بدل البعض من الكل، لأن مدلول الجملة الأولى مشتمل عليه ضمن الجملة الثانية وإن أضافت هذه الأخيرة معنى زائدا لم يتحقق ولا يتحقق في الجملة الأولى².

وينبغي التنويه في هذه الحالة إلى أن تناسب التركيبين الشرطيين في المعنى إنما يعزى إلى كون المسند في الجملة الاسمية (فإن محمدا قد مات) ليس مرادفا للمسند في الجملة الاسمية (فإن الله حي لا يموت) وإنما مضاد له، ومن ثم أسهم الطباق بشقيه الإيجابي والسلبي في عقد هذا التناسب، حيث أدى التضاد القائم بين المفردتين (مات) و (حي) في التركيبين الشرطيين الأول والثاني على الترتيب، وبين الوجدتين اللغويتين (قد مات) و (لا يموت) في التركيبين على الترتيب أيضا، إلى توليد حقل دلالي ضدي عمل على إجلاء المعنى، وإيضاح المقصود³.

ب- معنى حواريا مستلزما: بما أن مصدر الاستلزام عند "غرايس" هو الخرق المقصود لإحدى القواعد الأربعة المؤسسة لـ "مبدأ التعاون"، فإن خرق مبدأ المناسبة على اعتبار أن المقام مقام تأبين، أدى إلى معنى حواريا مستلزم تقديره: "اعبدوا الله الواحد الأحد،

*- يجب الوصل بين جملتين إذا انفقتا في الخبر أو الإنشاء، والاسمية أو الفعلية، والتقييد أو الإطلاق، وإذا كانت بينهما جهة جامعة، أي مناسبة تامة، ويقصد بالتناسب أن تكون بين الجملتين رابطة أو صلة تجمع بينهما، كأن يكون المسند إليه في الجملة (1) له تعلق بالمسند إليه في الجملة (2)، أو كأن يكون المسند في الجملة (1) مماثلا للمسند في الجملة (2) أو مضادا له - (عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، هامش ص 165).

¹- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 181، 182.

²- الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 148، 149.

³- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 495، 497، 498.

الفصل الثالث — بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وتوبوا إليه ولا تجزعوا، فإن الموت حق على البشرية كافة"، وتم ذلك ضمن سياق تواصلتي علم من خلاله أن الخطيب لم يلجأ إلى مواساة المسلمين وتعزيتهم، وإنما عمل على توجيههم وتنبيههم ونصحهم وإرشادهم وفق خطاب حاجي، لأنه يدرك حقيقة المصاب الذي حل بهم وشدة تأثيره على مشاعرهم وعواطفهم، فما جزعهم لوفاة الرسول - عليه الصلاة والسلام - والأصح إنكارهم لها، إلا لأن الخبر وقع من قلوبهم، فلم تستوعبه عقولهم، فما كان مجمل قوله إلا استقراء واقعي لما حوله من أحداث، وما كانت خلاصته إلا نتيجة منطقية ضمنية

عضدها قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَاتٌ أَنْ يَقُولُوا إِنْ كُنَّا رَبُّكَ لَوَقَّعْنَا فِيهَا آيَاتِنَا أَنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ

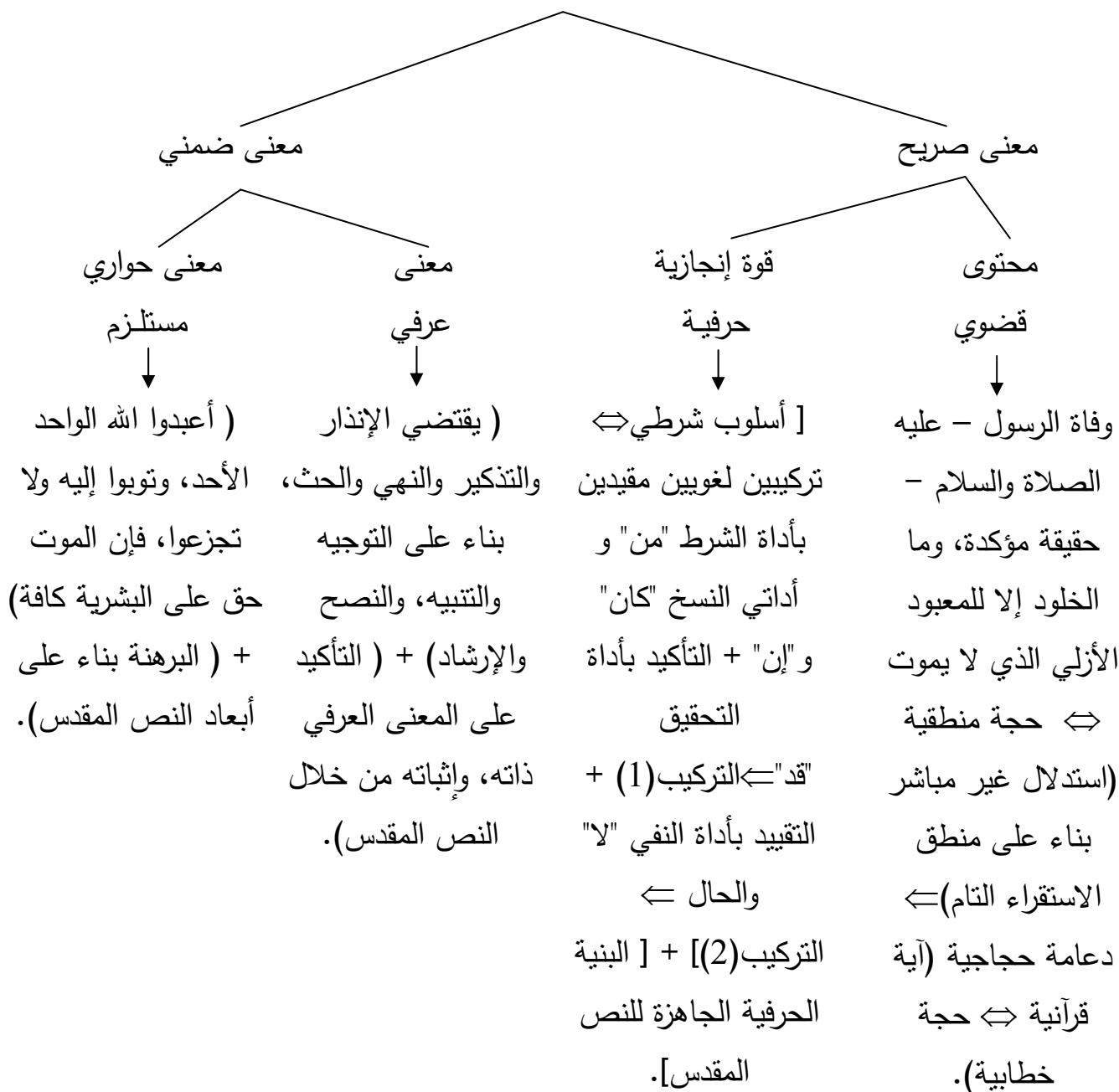
الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾¹ بما أن القول استشهاد صرح بمدلولها (النتيجة) وأدى الغرض المنوط بها.

و من هذا الموقف يتجلى صدق الإيمان بالله عز وجل عند "أبي بكر" - رضي الله عنه - ، فرغم حزنه على ما كان من أمر رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ، ورغم حسرته على ما كان من المسلمين، فإنه قد استجمع قواه وقام فيهم خطيباً حاثاً إياهم على التوبة، مؤكداً لهم ضرورة لزوم الطاعة، إحساساً منه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه إزاء هذا الدين الحنيف.

بناء على ما تم تحليله يمكن إيجاز دلالة البنية النصية حسب المخطط الآتي:

¹ - آل عمران /144.

دلالة البنية النصية



II- منطق الاستقراء الناقص وأبعاده التداولية:

1- في خطاب عمر بن الخطاب:

الاستقراء الناقص هو استقراء يتم فيه الانتقال من حالات جزئية إلى حالات كلية، ومن المعلوم إلى المجهول، تكون نتيجته ظنية احتمالية، لأنها تضم جديدا لم يكن مثبتا في المقدمات بناء على عملية استدلالية تقتصر على ملاحظة التشابه القائم بين أمثلة جزئية في استنتاج حكم عام لا يكون له اليقين المطلق، وما لجأ الاستقراء إلى المثال ليكون دليلا على صدق تعميم ما، إلا لأنه يبني مقدمات توضع فيها الوقائع التي حدثت فعلا والتي شوهدت حقا، وما اعتبار أن نتيجة هذه المقدمات ليست نهائية إلا لأن احتمال مراجعتها في ضوء ما يكشف عنه واقع الخبرة في المستقبل يبقى قائما¹.

وعليه، فإن الاستقراء الناقص قد ورد في النموذج الثاني من خطاب "عمر بن الخطاب" - رضي الله عنه - حين قال: "ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بني آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان، أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يستصفون معاشهم وكدائهم وشرح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبا، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم، مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد."²

¹ - ماهر عبد القادر محمد علي ، فلسفة العلوم - المنطق الاستقرائي- ، 26/1 - 29 ؛ محمود زيدان ، الاستقراء والمنهج

العلمي ، ص35.

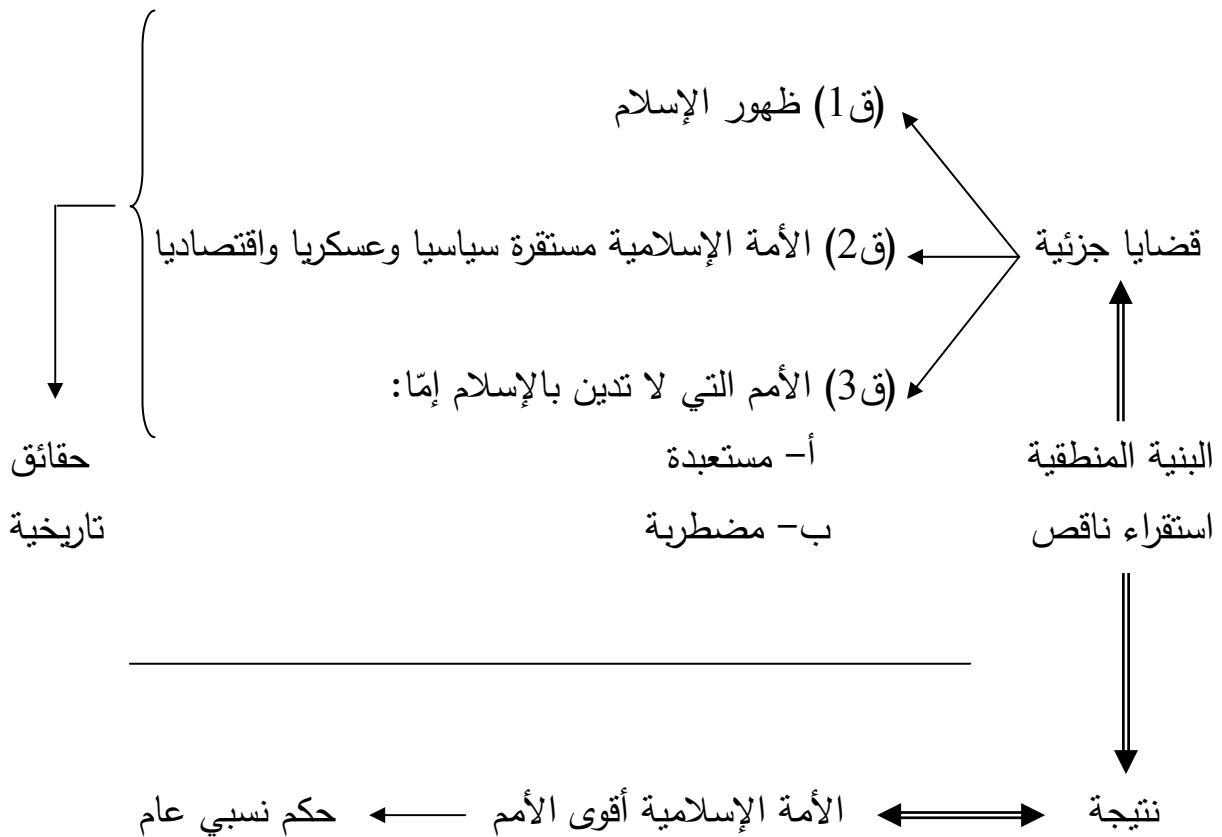
² - الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، 574/2.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

إن موضوع الخطبة التي ضمت هذه البنية النصية قائم على تذكير الخليفة عباد الله بنعمه عليهم، ومن ثم حثهم للسعي في الحفاظ عليها من خلال العمل والطاعة والشكر والصبر في الشدائد، لأن المصائب والمحن التي تنزل بالإنسان ما هي إلا ابتلاء يمتحن صبر المسلم ويقيس درجة إيمانه، ومن بين النعم التي اختص بها هذا السياق الخطابي نعمة الإسلام وما ترتب عليها من القضاء على مظاهر اللاإنسانية واللاعقلانية أيام الجاهلية، ولقد استدل الخطيب على ذلك من خلال استقراء الواقع، ولكن استقراءه كان ناقصاً لأن الحقائق التاريخية المستقرأة أسست لقضايا جزئية أسهمت في استنتاج حكم ليس له اليقين المطلق، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لأن الملاحظة لم تشمل كل الجزئيات المتعلقة بالموضوع¹، وبالتالي أدت المقارنة بين القضايا الجزئية المثبتة إلى نتيجة نسبية قابلة للمراجعة في المستقبل، وهذه النتيجة اقتضت استلزماً تخاطبياً تقديره: "للإسلام فضل في عزة الأمم التي تدين به فتمسكوا به، وحافظوا عليه"، بما أن للبنية النصية معنى صريحاً، وآخر ضمناً، وإن لم يحدث خرق لأي مبدأ من مبادئ التعاون بشكل مباشر، فالمتلقي لا ينكر مضمون الخطاب بما أن هذا الأخير ليس بجديد عليه، إلا أن الاستلزام الحواري في هذا السياق التواصلية الخاص تعلق بمفهوم القيمة الحجاجية، فالخطاب الحجاجي خطاب تقويمي، يهدف إلى التأثير في سلوك أو معتقد المتلقي، بما يحمله هذا الخطاب من قيم تتحدد من الأقوال أو الأفعال التي تمثل الحكم المستفاد من وراء كل معلومة، ويسعى المتلقي بدوره إلى استنتاجها واستنباطها (القيم) بما يملك من قدرات ذهنية ومعرفية، انطلاقاً مما يصرح به أو يضمنه الخطيب في كلامه، فتمثل القيمة الحجاجية في مثل هذه الحالات المعنى الضمني لكل ما يريد المحاجج التأثير به على المتلقي، وبهذا مثل الاستلزام الحواري في هذا المقام انتقالاً من معنى صريح إلى معنى ضمني قابل مفهوم القيمة الحجاجية على اعتبار أنها انتقال مما أراد المتكلم التأثير به على المتلقي إلى الأثر في حد ذاته²، وما يلي يوضح ذلك:

¹ - محمود شاكر، موسوعة الحضارات و تاريخ الأمم القديمة و الحديثة ، 453/1 - 459 ؛ هاري هازارد، أطلس التاريخ الإسلامي ، ترجمة و تحقيق: إبراهيم زكي خورشيد ، ص 06.

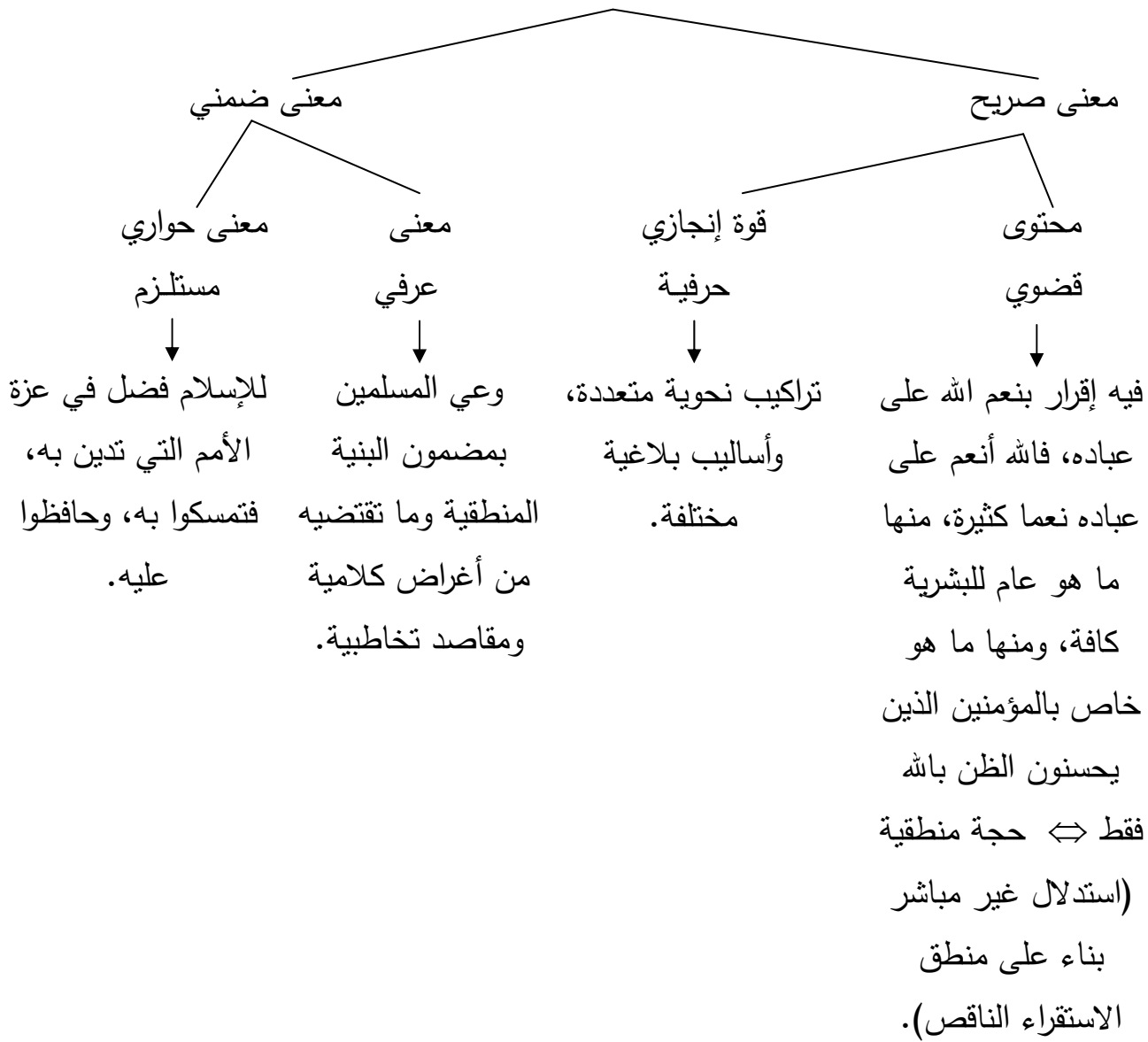
² - حمدي منصور جودي ، " خصائص الخطاب الحجاجي و بنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي - دراسة لنماذج نصية مختارة - " ، ص 163.



- المخطط رقم 25 -

وعليه يمكن تحليل دلالة البنية المنطقية حسب الآتي:

دلالة البنية المنطقية

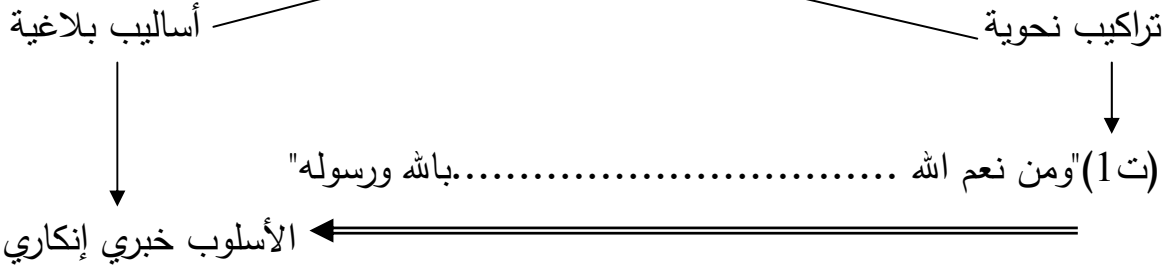


- المخطط رقم 26 -

وفيما يلي تفصيل لمعاني القوة الإنجازية الحرفية¹:

¹ ينظر: عبده الراجحي، التطبيق النحوي؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع.

القوة الإنجازية الحرفية



(اسمية الجمل + القصر) + الوصل البلاغي بين الجمل بحرفي العطف " و، ثم " (اتفاق الجمل في الخبرية وتناسبهما في الاسمية) + تقييد الجمل ⇔ [(ج1) + (ج2) مقيدة بالنعته الجملة، المسند إليه (مبتدأ) نكرة موصوفة تأخر عن المسند وجوبا (شبه جملة جار ومجرور متعلق بالخبر) فأفاد ذلك القصر] + [(ج3) مقيدة بـ "صار" اسمها (م.إ) اسم إشارة مقيد بالبدلية خبرها جملة اسمية مقيدة بعطف النسق (مبتدأ معرف بالإضافة + حرف عطف + اسم معطوف + حرف جر + اسم مجرور + حرف عطف + اسم معطوف + حرف عطف + اسم معطوف - وشبه الجملة جار ومجرور في محل رفع خبر -)] + [(ج4) مقيدة بـ "ليس" اسمها نكرة موصوفة (الصفة جملة فعلية) تعلقت بها شبه جملة جار ومجرور مقدمة لإفادة القصر، خبرها (المسند) مقيد بأداة الشرط "لو" بعد "إلا" الاستثنائية المفرغة (وشبه الجملة جار ومجرور بعد أداة الاستثناء "إلا" في محل نصب مستثنى، حيث أفاد الاستثناء المسبوق بنفي القصر) ⇔ التركيب الشرطي في محل نصب خبر ليس (جملة فعل الشرط ← جملة فعلية مقيدة بأداة شرط غير جازم "لو"، المسند (الفعل قسم) مبني للمجهول (حذف الفاعل للعلم به)، المسند إليه (نائب الفاعل "ما") معرف بالموصولية، وصلة الموصول جملة فعلية (لا محل لها من الإعراب) مقيدة بالمفعول فيه والتوكيد المعنوي، والمسند إليه معرف بالإضمار) + (جملة جواب الشرط ← جملة فعلية مقيدة بمفعول به تقدم عن المسند إليه المعرف بالإضافة + حرف عطف "و" + جملة فعلية مقيدة بمفعول به تقدم عن المسند المعرف بالإضافة، والغرض البلاغي من وصل الجملتين بـ"الواو" إشراك الجملة المعطوفة في الحكم الإعرابي لجملة جواب الشرط (جملة جواب الشرط لا محل لها من الإعراب لأن أداة الشرط غير جازمة).

(ج1) جملة اسمية مصدرية بحرف الاستئناف "الواو":
"ومن نعم الله عليكم نعم عمّ بها بني آدم".

(ج2) جملة اسمية مصدرية بحرف العطف "الواو":
"ومنها نعم اختص بها أهل دينكم".

(ج3) جملة اسمية منسوخة بالفعل الناقص "صار" مصدرية بحرف العطف "ثم":
"ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم".

(ج4) جملة اسمية منسوخة بأداة النفي "ليس"، مصدرية بحرف العطف "الواو"، خبرها التركيب الشرطي بعد "إلا":
"وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله".

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

(ت2) "فأنتموسد الثغور بإذن الله"

← الأسلوب خبري إنكاري

(قد + القصر) + الوصل البلاغي بـ"و" و"ف" (اتفاق في الخبرية وتناسب في التقييد) والفصل فيما دون ذلك (تباين الجمل في الفعلية والاسمية والتقييد والإطلاق) + تقييد الجمل ⇔ [(ج1) المسند إليه (المبتدأ) معرف بالإضمار + المسند خبر مفرد + شبه جملة جار ومجرور + تقييد بالنعته + شبه جملة جار ومجرور] + [(ج2) مصدره بأداة التحقيق "قد" + مقيدة بالمفعول به] + [(ج3) مقيدة بـ"أصبح"، وبأداة النفي "لم"، وبالنعته، وبالرفع على البدلية بعد أداة الاستثناء "إلا" + اسم أصبح (المسند إليه) نكرة موصوفة + خبر أصبح شبه جملة جار ومجرور (أفاد النفي والاستثناء المتصل القصر)] + [(ج4) المسند إليه (المبتدأ) نكرة موصوفة + تقييد بالنعته + شبه جملة جار ومجرور + تقييد بعطف النسق + مسند متعدد (الخبر جمل فعلية اسمية)] + [(ج5) المسند إليه (المبتدأ) نكرة موصوفة + تقييد بالنعته (جملة فعلية ← المسند إليه معرف بالإضمار + تقييد بالمفعول به وعطف النسق + شبه جملة جار ومجرور مقيدة بعطف النسق) +المسند متعدد].

(ج1) جملة اسمية مصدره بحرف الاستئناف "الفاء":

"فأنتم مستخلفون في الأرض قاهرون لأهلها".

(ج2) جملة فعلية مصدره بأداة التحقيق "قد":

"قد نصر الله دينكم".

(ج3) جملة اسمية منسوخة بالفعل الناقص "أصبح" مصدره بحرف

العطف "الفاء":

"قلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمان".

(ج4) جملة اسمية في محل نصب حال خبرها متعدد:

(خ.أ) جملة فعلية ← وردت على الإطلاق + المسند إليه معرف

الإضمار.

(خ.ب) جملة فعلية ← مقيدة بالمفعول به وعطف النسق + المسند

إليه معرف بالإضمار.

(خ.ج) جملة اسمية ← تقدم المسند + تأخر المسند إليه(← قصر).

(خ.د) جملة اسمية ← تقدم المسند + تأخر المسند إليه(← قصر).

"أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يستصفون معايشهم

وكدائحهم ورشح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة".

(ج5) جملة اسمية في محل نصب حال مصدره بـ"الواو" خبرها متعدد:

(خ.أ)جملة فعلية ← مصدره بأداة التحقيق "قد" + مقيدة بالمفعول به والتمييز.

(خ.ب)جملة اسمية ← مقيدة بأداة لنسخ "ليس" + خبرها شبه جملة تقدم عن

اسم ليس (نكرة موصوفة ← الصفة جملة فعلية).

(خ.ج)جملة اسمية ← منسوخة بـ"لا" النافية للجنس + المسند إليه نكرة

موصوفة (الصفة جملة فعلية) + المسند محذوف تقديره "موجود".

(خ.د)جملة فعلية ← مصدره بأداة التحقيق "قد" + مقيدة بمفعول به تقدم عن

المسند إليه + جملة اعتراضية (فعلية).

(خ.ه)جملة فعلية ← المسند إليه معرف بالإضمار + شبه جملة جار

ومجرور (1) + شبه جملة جار ومجرور (2) في محل نصب حال مقيدة

بعطف النسق.

"وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبا،

فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز

وجل ونزلت بساحتهم، مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث،

وسد الثغور بإذن الله".

(ت3) "مع العافية الجليلة في كل بلد"

← الأسلوب خبري إنكاري

الأسلوب خبري إنكاري (اسمية الجمل + القصر) + تقييد

الجمل [(ج1) المسند شبه جملة جار ومجرور مقيدة

بالنعت تقدمت على المسند إليه (أفاد التقييد بالنعت توضيح المنعوت بما أنه معرفة، كما أفاد تقديم المسند قصره على

المسند إليه وتخصيصه به) + المسند إليه معرف بالموصلية

(المبتدأ ← التي) + صلة الموصول جملة اسمية لا محل

لها من الإعراب منسوخة بـ"كان" اسمها معرف بالإشارة

(هذه)، مقيدة بأداة النفي "لم"، والبدل (الأمة)، والمفعول فيه

(مذ ← ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب

مفعول فيه وهو مضاف، والجملة الفعلية "كان - فعل تام

بمعنى حدث - الإسلام" في محل جر مضاف إليه)، خبرها

شبه جملة جار ومجرور (على أحسن منها)] + المسند معرف

بـ"ال" (أفاد تعريف المسند بـ"ال" القصر على المسند إليه

حقيقة ← قصر الحمد لله وحده) + شبه جملة جار و

مجرور مقيدة بالنعت] .

(ج1) جملة اسمية خبرها شبه جملة*:

"مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام".

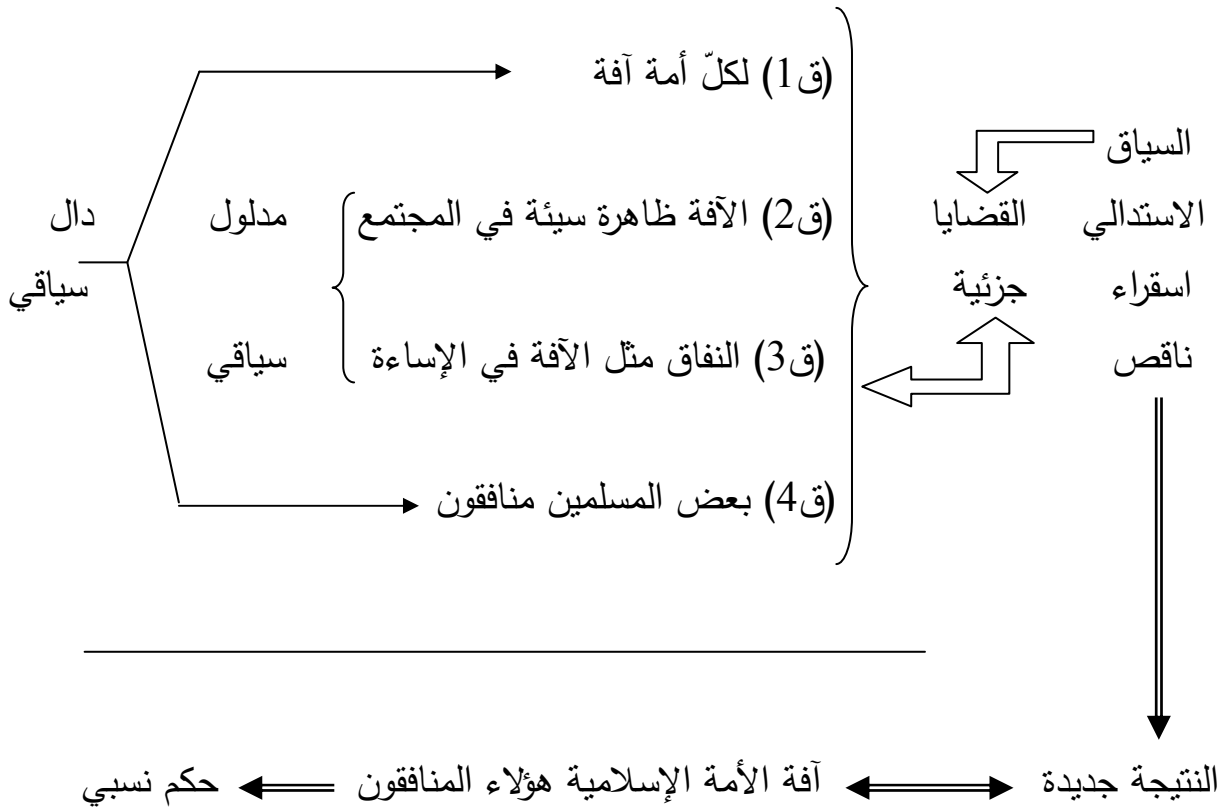
(ج2) جملة اسمية مصدرية "بالواو" في محل نصب حال:

"والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد".

*- الفصل البلاغي الذي تم بين شبه الجملة (مع رفاغة العيش... بإذن الله) في (ت2)، وبين شبه الجملة (مع العافية الجليلة العامة) في (ت3) غرضه عدم إشراك شبه الجملة (2) في الحكم الإعرابي الخاص بشبه الجملة (1)، وبالتالي تكون شبه ج(1) متعلقة بالفعل "نزل" في محل نصب حال، أما شبه ج(2) فمتعلقة بالمبتدأ "التي" في محل رفع خبر مقدم.

2 - في خطاب عثمان بن عفان:

إنّ النموذج الخطابي الثاني لـ "عثمان بن عفان" - رضي الله عنه - : "لكل أمة آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة عيآبون طعانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، طعام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، لقد نقموا عليّ ما نقموه على عمر، ولكن قمعهم عمر و وقمهم. والله إني لأقرب ناصرا وأعز نفرا. فضل فضل من مالي، فما لي لا أفعل في الفضل ما أشاء"¹ استقراء ناقص، بما أن الخطيب لجأ إلى مثال جزئي استدل من خلاله على ثبوت حكم في إحدى المقدمات لثبوته في مقدمة أخرى، بناء على وجه شبه (علة) مشترك بينهما، ومن ثم حدث تعميم الحكم في النتيجة، وما يلي يبين كيف تم ذلك:



- المخطط رقم 27 -

¹ - الجاحظ ، البيان والتبيين، المجلد الأول، 251/1.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

إذا كان عثمان - رضي الله عنه - قد اشتهر بالحياء واللين، فإن خطبه تطورت بتطور الأحداث التي أحاطت به، فبعد أن كان يعظ برفق ها هو وقد غلب عليه الغضب أخذ يقارع المسلمين الحجة بالحجة، ويتمثل لهم بسواهم ويتهددهم ويتوعدهم بعدما أحذقوا به، وبالتالي حينما انفعل بالأحداث التي ألمت به في أواخر أيامه تجلت قدرته الخطابية¹، بأن ألقى خطابه معضودا بظواهر بلاغية أسهمت في إرساء دعائم البنية المنطقية، وكان علم المعاني أول معبر له، حيث أسهم الأسلوب الخبري في تأكيد فائدة الخبر ولازم الفائدة معا بما أن الخطاب موجه إلى فئتين، فأما الفئة الأولى فهي من ألقى إليها الكلام لغرض "فائدة الخبر"، وهو غرض يقوم في الأصل على أساس أن من يلقى إليه الخبر، أو من يوجه إليه الحديث، يجهل حكمه أي مضمونه فيراد إعلامه أو تعريفه به، وأما الفئة الثانية فهي التي ألقى إليها الكلام لغرض "لازم الفائدة"، وهو غرض يقصد الخطيب من ورائه أن يفيد المتلقي أنه - أي المتكلم - عالم بحكم الخبر ومضمونه، فالخطيب في كلامه لا يقصد أن يفيد هذا المخاطب شيئاً مما تضمنه الكلام من الأحكام التي أسندها إليه، لأن كل حكم من تلك الأحكام المسندة، يعلمه هذا المخاطب عن نفسه قبل أن يعلمه المتكلم²، وعليه ألقى الخطيب خطابه مؤكداً حتى لا يتسنى لهذه الفئة الإنكار أو التشكيك فيما ألحق بها من أحكام.

و أيضاً قد أنزل الخطيب في موقفه هذا الفئة الأولى - خالية الذهن - منزلة المتردد الشاك على اعتبار أن المتكلم قد ينزل خالي الذهن منزلة المتردد الشاك إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر ومضمونه، وفي ذلك خروج بالخبر عن مقتضى الظاهر.

كما أن المتأمل للبنية المنطقية يجد المتلقي ضمن هذه الفئة خالي الذهن من الحكم الآتي: "وإن آفة هذه الأمة عيابون طعانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، طغام مثل النعام، يتبعون أول ناعق"، ولكن هذا الحكم لما كان مسبوقةً بجملة (لكل أمة آفة) مضمونها يشير إلى أن الأمة الإسلامية محكوم عليها بشيء غير محبوب، ولا مرغوب فيه، أضحي المتلقي متطلعاً إلى نوع هذا الحكم، الذي يجهله ولا يدري حقيقته، ومن أجل ذلك أنزل هذا المتلقي منزلة المتردد الشاك، وألقى إليه الخبر مؤكداً بأكثر من مؤكد استحساناً³،

¹ - نايف معروف ، الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، ص 50.

² - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 46، 47.

³ - نفسه ، ص 57، 58.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وتم ذلك من خلال تقييد التركيب بـ: أداة النسخ "إن" التي تفيد التوكيد، كما يمكن أن يكون لخبرها أثر في هذا التوكيد بما أنه ورد على وزن صيغة المبالغة (فعال) وهي صيغة تدل على كثرة ومبالغة في المعنى¹.

ضف إلى هذا التقييد التقييد بالنعته الذي ورد جملة فعلية أفادت تخصيص المنعوت بصفة تميزه بما أنه نكرة، ومن ثم تكشف عن حقيقته التي أكدت ثبوت حكم الإساءة عليه². إضافة إلى أن الغرض من الإتيان بالخبر جملة فعلية يكون لتقوية الحكم وتأكيده بتكرار الإسناد مرتين³، وهذا ما حققه الخبر في التركيب الآتي: "طعام مثل النعام، يتبعون أول ناعق"، وكان لإنشاء القسم المقدر بدخول "اللام" على "قد" في قوله: "لقد نعموا عليّ ما نعموه على عمر، ولكن قمعهم عمر و وقمعهم" أثر في تأكيد الخبر وإن كان حقيقة تاريخية. أيضا كان للإتيان بجمل التركيب جملا اسمية أثر في جلاء معنى التأكيد اعتبارا من أن هذه الجمل تفيد بأصل وضعها ثبوت شيء لشيء على سبيل اليقين لا على سبيل الاحتمال و التخمين⁴.

وبما أن هذه الجمل قد وردت متفقة في الخبرية متناسبة في الاسمى والمعنى فإن عطف إحداها على الأخرى بحرف "الواو" كان وصلا بلاغيا، وإن كان وصل الجملتين الفعليتين المقيدتين بالمفعول به غرضه إشراك الجملة الثانية في الحكم الإعرابي الذي لحق الجملة الأولى، على حين تحقق الفصل البلاغي بين الجملة الاسمى المقيدة "إن" والجملة الفعلية المقيدة بالمفعول به لكمال الاتصال بينهما، أما الفصل المتحقق في قول الخطيب: "يسرون ما تكرهون، طعام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، لقد نعموا علي ما نعموه على عمر" فكان سببه كمال الانقطاع⁵.

وفيما عدا هذه الأساليب الخبرية فإن الأساليب الإنشائية الواردة قد خرجت عن معناها الأصلي، حيث أفاد القسم (والله) في سياقه الجديد، وبمؤازرة القرائن اللغوية (صيغة اسم

¹ محمود مطرجي ، في الصرف وتطبيقاته ، ص169.

² أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع ، ص143.

³ نفسه ، ص137.

⁴ نفسه ، ص58، 66 ؛ إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص137.

⁵ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص165.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

التفضيل: أقرب، أعز، والتقييد بالتمييز)¹ غرض "التهديد" وإن لم يبلغ ذلك دلالاته الوظيفية (التأكيد)، أما الاستفهام في خاتمة البنية النصية فكان غرضه "الوعيد"².

وبناء على الأساليب الخبرية والإنشائية تم تركيب بنية لغوية سلك الخطيب من خلالها مسلك البلغاء، فالبلغ على حسب مقتضيات الأحوال والمقامات قد يسلك في أداء معانيه تارة طريق الإيجاز، وتارة طريق الإطناب، وتارة طريقاً وسطاً هو طريق المساواة³، وبمراعاة الخطيب لمقتضى الحال والمقام ألقى خطابه مطنبا في غير حشو ولا تطويل، حيث كان لذكر الخاص بعد العام بقول الخطيب: "لكل أمة آفة...، وإن آفة هذه الأمة عيايون طعانون" غرض بلاغي تمثل في التنبيه والتتويه لأمر الخاص بذكره مرتين⁴، أما إطناب الاحتراس بقوله: "لقد نعموا علي ما نعموه على عمر، ولكن قمعهم عمر و وقمهم" فكان غرضه تخليص الخطيب نفسه مما قد يلحقه من لوم، بما أن الاحتراس في البلاغة: إطناب يكون حينما يأتي المتكلم بمعنى يمكن أن يدخل عليه فيه لوم، فيتقطن المتكلم لذلك ويأتي بما يخلصه منه، سواء أكان في وسط الكلام أو آخره⁵، وعثمان حاول أن يثبت الإساءة من هؤلاء المنافقين، ولكنه تقطن إلى أن المتلقي قد يلومه اعتقاداً منه أن الخليفة قد تحامل على هذه الفئة بهتاناً وظلماً بغير وجه حق، فلجأ إلى ما مضى من أحداث التاريخ، واستحضر منه ما يدفع به اللوم عن نفسه من جهة، والسبيل إلى الخلاص من هذه الآفة من جهة أخرى⁶.

إضافة إلى إطناب التتميم الذي وقع في فاتحة البنية النصية: لكل أمة آفة ولكل نعمة عاهة"، فعبارة "لكل نعمة عاهة" لا يمكن الاستغناء عنها لأن الكلام من دونها- وإن زاد المعنى بها- يفقد انسجامه الموسيقي وتناسبه الصوتي⁷.

والبنية المنطقية بعامة تميزت بجرسها أكثر من تميزها بدلالاتها، وذلك أن التكرار الصوتي والصرفي وحتى الدلالي أدّى وظيفتين أساسيتين هما: وظيفة صوتية مولدة للإيقاع،

¹ - محمود مطرجي ، في الصرف وتطبيقاته ، ص188 ؛ إياد عبد المجيد إبراهيم ، في النحو العربي ، ص165، 167.

² - إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص34، 55، 135.

³ - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص194.

⁴ - نفسه ، ص183.

⁵ - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص181.

⁶ - الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 568/2.

⁷ - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص182.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

ووظيفة دلالية مؤكدة للمعنى ومبالغة فيه¹، حيث أدت المحسنات البديعية: الموازنة في فاتحة البنية بين الوجدتين اللغويتين (أفة / عاهة)، والسجع بناء على تكرار الوجدتين الصوتيتين (ن / ر) في أواخر الوجدات اللغوية (طعانون - تحبون - تكرهون / ناصرا - نفرا) على الترتيب، والجناس بين (مالي / ما لي) إلى عقد تتغام صوتي ضمن البنية النصية، وأما الازدواج - وإضافة إلى دلالاته الموسيقية التي تلفت الانتباه - فإنه أدى بناء على تكرار التراكيب من خلال تشاكل صيغها الصرفية - ذات المعاني المعجمية المحددة - إلى توليد حقل دلالي أسهم في ضبط المعاني السياقية والتأكيد عليها².

وإن من المعلوم أن علاقة علم المعاني بعلم البيان علاقة تكامل لا تتناف وتخالف³، وعليه كان التشبيه: "طعام مثل النعام يتبعون أول ناعق" معبرا ثانيا عبر من خلاله الخطيب إلى المتلقي ناقلا إليه المعنى في صورة بيانية زادته وضوحا وأكسبته تأكيدا بإشراكها أمرا لأمر آخر في المعنى بأداة معلومة بهدف الإبانة والإفصاح⁴، وبالتالي كان الغرض البلاغي البلاغي من التشبيه المرسل (ثبوت أداة التشبيه) المفصل (وجه الشبه) في النموذج الخطابي هو تقرير حال المشبه بثنيتها في نفس السامع بما أن ما أسند إلى المشبه - قبل التشبيه - كان يحتاج زيادة في التأكيد والإيضاح⁵.

وإن كان للتشبيه أثر في زيادة تأكيد حكم الخبر وإيضاح المعنى، فإن علم البديع قد أوعز الوظيفة ذاتها إلى مظهر بلاغي يؤتى فيه بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، وتحقق هذا حين جمع الخطيب بين أربعة أضداد متقابلة اثنين اثنين⁶ بقوله: "يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون".

أيضا، كان لعلم البيان في خاتمة البنية أثر في بلاغة المعنى، حيث صور الخطيب معاني السخط على هؤلاء المنافقين وعدم الرضى عنهم، من خلال صورتين بيانيتين، فأما

¹ - مليكة بوراوي ، " بلاغة التكرار في مراثي الخنساء " ، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 09 ، مارس 2006 م ، ص 198.

² - عبد الرحمن تبرماسين ، " التوازنات الصوتية - التوازي، البديع، التكرار - " ، ص 109.

³ - شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص 80.

⁴ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 219.

⁵ - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 307.

⁶ - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 291.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

الأولى فمثلها المجاز العقلي بقوله: "فضل فضل من مالي" وذلك بأن جعل ما هو مصدر في المعنى (الفضل) فاعلا لفظيا للفعل (فضل) على سبيل المبالغة والمجاز، بما أن الإسناد المجازي يكون إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره، أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل، علما أن المجاز العقلي مجاز لا يكون إلا في التركيب لأنه يتعلق بالإسناد أي بإسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة الإسناد الحقيقي¹. والمجاز في هذه البنية لم يتعلق بذوات الكلم وأنفس الألفاظ، بل تعلق بإسناد الفعل إلى غير ما هو له، فالفعل (فضل) لم يسند إلى فاعله الحقيقي وإنما أسند إلى المصدر (الفضل ← علاقة المجاز العقلي المصدرية)، وبالتالي تكون القرينة المانعة من إرادة الإسناد الحقيقي استحالة إسناد الفعل إلى الفاعل بما أن الفاعل "الفضل" يرادف الدال اللفظي "الإحسان"²، وما مدلول ذلك إلا سلوك اجتماعي تحده تصرفات أخلاقية مختلفة ومتعددة.

على أن المجاز العقلي ورد ضمن تصوير بياني أكبر، حيث نقل قول الخطيب: "فضل فضل من مالي، فما لي لا أفعل في الفضل ما أشاء" معنى قريبا وآخر بعيدا على سبيل الكناية والتعريض، اقتضى أن يكون تساهل الخليفة في تعامله مع هذه الفئة وعدم تشدده معهم هو سبب قوتهم وعزتهم، ومن ثم لؤمهم وعصيانهم³.

انطلاقا مما تم تحليله، اتضح أنّ للأساليب اللغوية أغرضا بلاغية ذات أبعاد تداولية استدعاها سياق الموقف، وإن لم يحدث خرق لأي مبدأ من مبادئ التعاون، وما يلي يلخص ذلك:

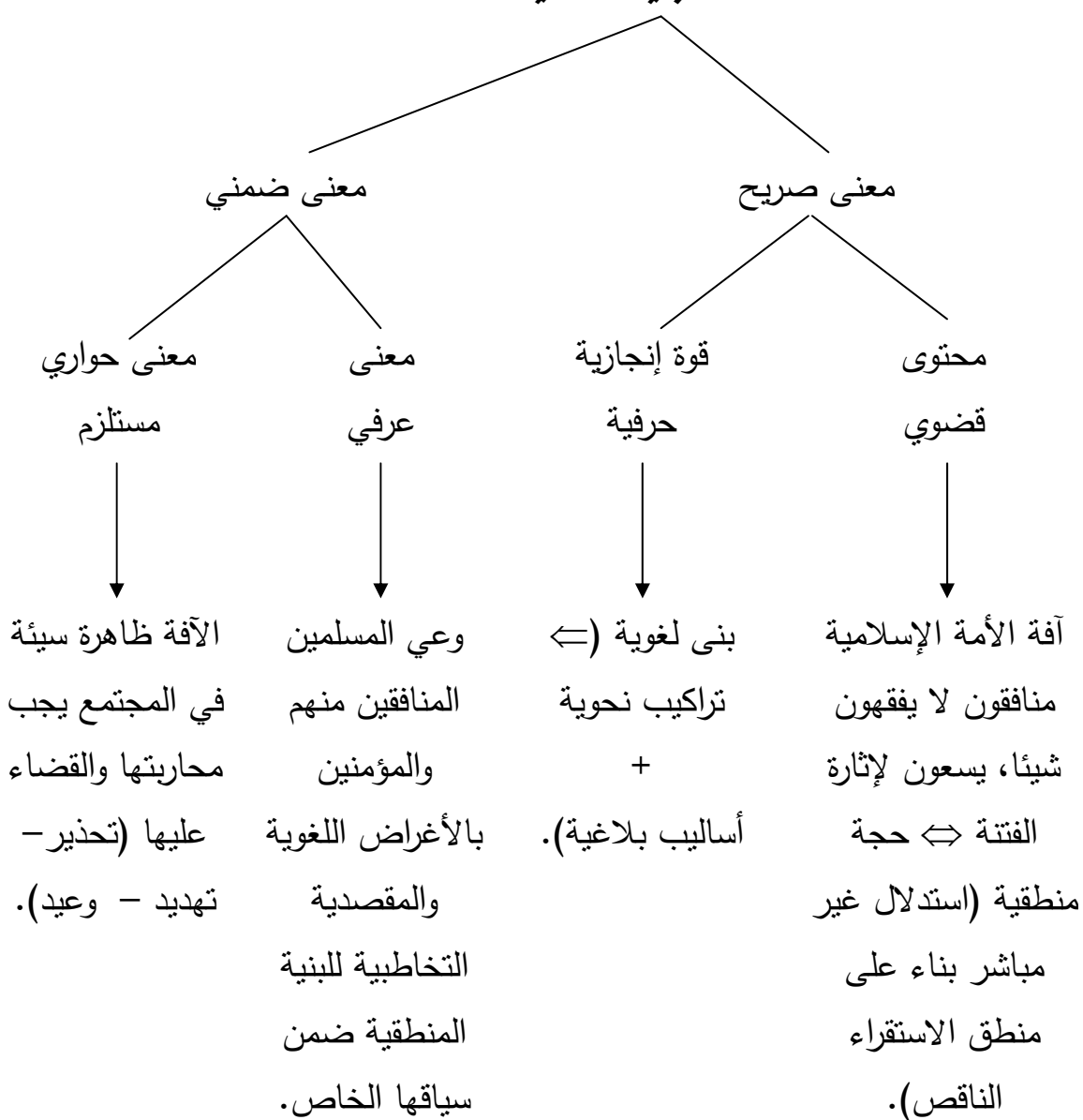
¹ - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص 341 ؛ عبد القاهر الجرجاني، دلائل

الإعجاز في علم المعاني ، ص 196.

² - المعجم العربي الأساسي ، ص 940.

³ - ينظر: أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 287، 288، 289.

دلالة البنية النصية



- المخطط رقم 28 -

و يمكن تفصيل معاني القوة الإنجازية الحرفية حسب ما يأتي:

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

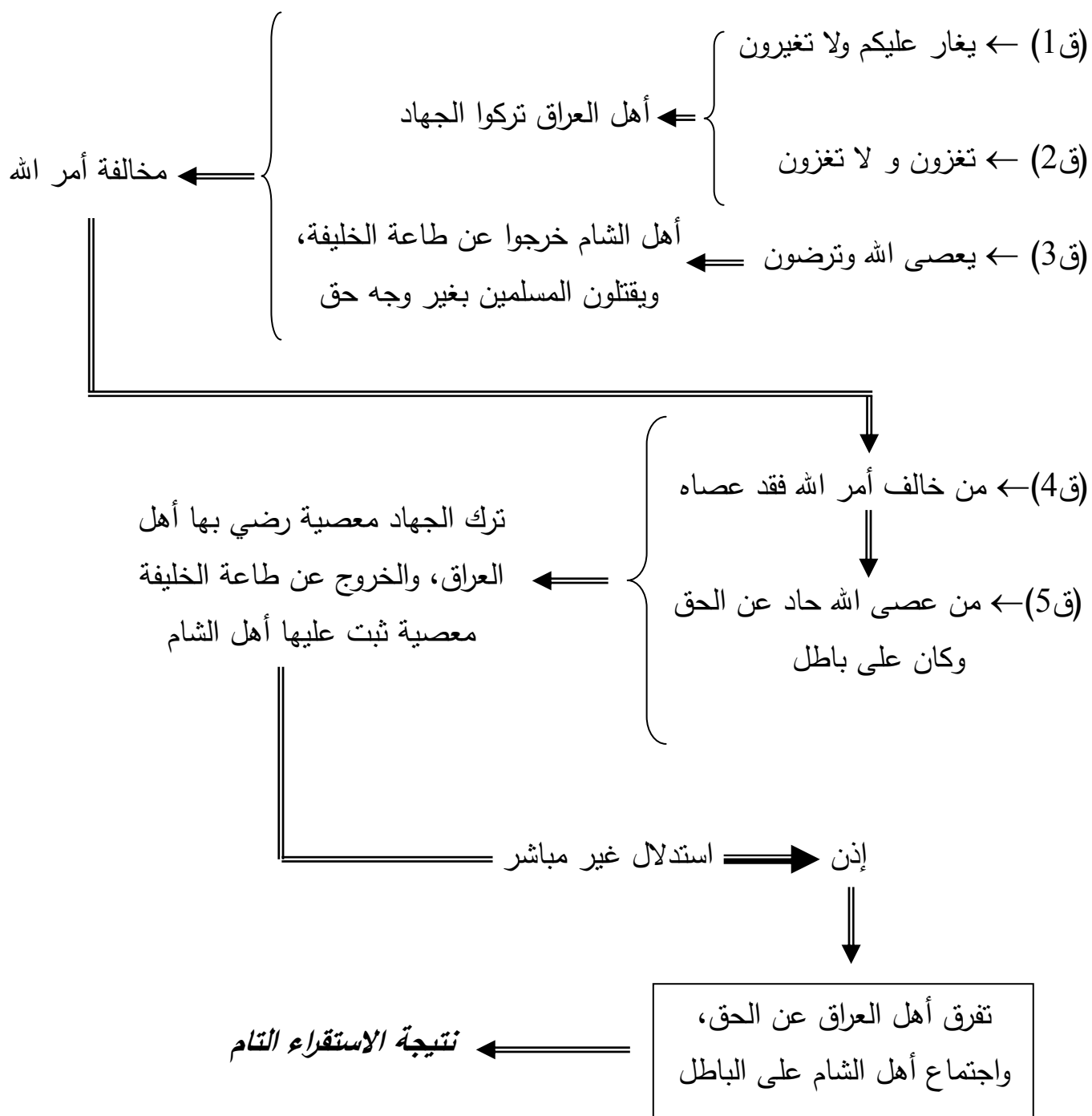
قوة إنجازية حرفية ← [جملة اسمية ← المسند شبه جملة جار ومجرور تقدم على المسند إليه (نكرة محضة)] + حرف عطف "و" (وصل بلاغي) + [جملة اسمية ← المسند شبه جملة جار ومجرور تقدم على المسند إليه (نكرة محضة)] + حرف عطف "و" (وصل بلاغي) + [جملة اسمية ← مقيدة بأداة النسخ "إن" + المسند إليه معرف بالإضافة + المسند (1) + المسند (2) + صفة (← جملة فعلية (1) ← المسند + المسند إليه معرف بالإضافة + جار ومجرور + اسم موصول (في محل نصب مفعول به) + صلة موصول جملة فعلية + حرف عطف "و" (وصل بلاغي) + جملة فعلية (2) ← المسند + المسند إليه معرف بالإضافة + اسم موصول (في محل نصب مفعول به) + صلة موصول جملة فعلية]] + [جملة اسمية ← المسند إليه نكرة موصوفة + صفة (← شبه جملة جار ومجرور) + المسند (← جملة فعلية ← المسند + المسند إليه معرف بالإضافة + التقيد بالمفعول به (مضاف) + مضاف إليه)] + [جملة فعلية ← مصدر بـ "لقد" لإنشاء القسم (قسم مقدر) + مسند + مسند إليه معرف بالإضافة + شبه جملة جار ومجرور + اسم موصول (ما) في محل نصب مفعول به + صلة الموصول (جملة فعلية ← مسند + مسند إليه معرف بالإضافة + شبه جملة جار ومجرور)] + [جملة فعلية مقيدة بالمفعول به وعطف النسق ← حرف ابتداء "الواو" + حرف الابتداء والاستدراك "لكن" + مسند + مفعول به مقدم (ضمير متصل) + مسند إليه + حرف عطف "الواو" + جملة فعلية (← مسند + مفعول به (ضمير متصل) + مسند إليه معرف بالإضافة - محذوف تقديره "هو") + [أسلوب قسم (قسم ظاهر) ← جملة القسم (اسمية ← مسند إليه محذوف وجوبا تقديره "قسمي" + مسند شبه جملة "والله") + جملة جواب القسم (اسمية ← التقيد بأداة النسخ "إن" + مسند إليه (اسم إن) معرف بالإضافة + "لام التوكيد" + مسند (خبر إن) + التقيد بالتمييز + حرف العطف "الواو" ← التقيد بعطف النسق - أعز نفرا-)] + [جملة فعلية ← مسند + مسند إليه + شبه جملة جار ومجرور] + حرف عطف "الفاء" (وصل بلاغي) + [أسلوب استفهام ← المسند إليه معرف بالإضافة (ما ← أداة استفهام + لي ← شبه جملة جار ومجرور) + مسند (جملة فعلية مقيدة بالنفي والمفعول به ← أداة النفي "لا" + مسند + مسند إليه معرف بالإضافة (محذوف تقديره "أنا") + شبه جملة جار ومجرور + اسم موصول في محل نصب مفعول به + صلة موصول جملة فعلية - مسند + مسند إليه معرف بالإضافة ← محذوف تقديره "أنا" -]

III - منطق الاستقراء وأبعاده التداولية في خطاب علي بن أبي طالب:

1- منطق الاستقراء التام:

إنّ قول "علي بن أبي طالب" - رضي الله عنه - من النموذج الخطابي الثاني: "فيا عجباً! عجباً والله يميت القلب، ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون"¹ استقراء تام، بما أن الاستدلال تم بناء على استقراء كل الحالات الجزئية التي أسهمت في بناء نتيجة أثبتت حكماً عاماً يشمل جميع الأفراد المعنيين بها، والآتي ذكره يبين ذلك:

¹ - الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، 46/1.



الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

قال عليه الصلاة والسلام : " من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا وإن قال بغيره فإن عليه منه "1.

بناء عليه، يتضح أن البنية المنطقية خطاب موجه إلى متلق مذنب في حق نفسه، فلم يملك الخطيب من أمره شيئا إلا أن صب جام غضبه وسخطه عليه، عبر زفرات مثقلة بالألم والمرارة وخيبة الأمل فيه من جراء تبعات المعصية المتكررة، مقيما عليه الحجة في ذلك، ولما كان مقام الاستدلال بالنسبة إلى سائر مقامات الكلام جزءا منها، كانت العلاقة بين الكلام الاستدلالي والبلاغة علاقة جزء بكل، بما أن البلاغة تقوم على دراسة خواص تراكيب الكلام (علم المعاني)، وتتنظر في صياغات المعاني خفاء ووضوحا (علم البيان)، دون أن تنسى في خضم ذلك تزيين الكلام بإيداع ما يورثه القبول والاستحسان (علم البديع)².

وبالتالي، وبما أن المتكلم خطيب مفوه لا يخفى عنه ذلك، فقد عمد إلى بلورة ما يجول في خاطره من خلال أساليب إنشائية تعددت أغراضها البلاغية*، حيث كان التعجب بالنداء فاتحة البنية النصية، والتعجب في اللغة العربية يجري على أساليب كثيرة منها ما هو قياسي ومنها ما هو سماعي، ومن الأساليب السماعية "التعجب بالنداء"³، ولما كان النداء في اصطلاح البلاغيين هو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبهه للإصغاء، أو طلب إقباله بتوظيف الحرف "يا" أو إحدى أخواتها⁴، فإن الخطيب في موقفه هذا قد استعمل صيغة

1- الحسين بن المبارك ، مختصر صحيح البخاري ، ص317.

2- شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص80،81،94.

*- الإنشاء بعامة هو: الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، وذلك لأنه ليس لمدلول لفظه قبل النطق به وجود خارجي يطابقه أو لا يطابقه، ويقسم إلى قسمين هما: الإنشاء الطلبي وهو ما تأخر وجود معناه عن وجود لفظه (أو ما يسبق وجود لفظه وجود معناه)، أما الإنشاء غير الطلبي فهو ما يقترن فيه الوجودان، بمعنى أن يتحقق وجود معناه في الوقت الذي يتحقق فيه وجود لفظه أي في الوقت الذي يتم فيه التلفظ به، والتعجب والقسم من الأساليب الإنشائية غير الطلبية، والإنشاء غير الطلبي ليس من مباحث علم المعاني، وذلك لأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء من ناحية، ولقلة الأغراض البلاغية التي تتعلق به من ناحية أخرى (عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع ، ص65 - 70) ، على حين كان لأسلوب التعجب والقسم في خطاب"علي" أغراض بلاغية وإن قلت.

3- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص125.

4- نفسه ، ص61.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

النداء هذه في غير ما وضعت له، لأنه خرج بها عن معناها الأصلي إلى معنى "التعجب"¹، ومن المعلوم أن التعجب شعور داخلي تتفعل به النفس حين تستعظم أمرا يكون لا مثيل له، أو يكون نادر الوقوع، يكون سببه خفيا غير معروف²، وذات الشعور أدى بالخطيب إلى التعجب كل العجب من الاجتماع على الباطل والتفرق عن الحق، فهو عجب يमित القلب ويجلب الهم ويكثر الأحزان، ولم يكن القسم في تأكيده هذا الشعور إلا ليبين مبلغ الحسرة من نفس الخطيب على حال رعيته - بما أنه قسم غير استعطافي جيء به لتوكيد معنى جملة خبرية وتقوية المراد منها³ -، وما حال الرعية تلك إلا حال جرهم إليها عزوفهم عن الجهاد ورضاهم بالذل والمهانة، مهانة ألحقها بهم من ليس هم أعظم مكانة منهم، بل هم عصاة خرجوا عن طاعة الله ترقع الخطيب عنهم بأن صان لسانه عن ذكرهم تحقيرا لهم بقوله: "عجبا (...) من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم" وأيضا بقوله: "حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، و تغزون، ولا تغزون، ويعصى الله وترضون"، حيث اكتفى بالإحالة إليهم من خلال اسم الإشارة "هؤلاء"، وبناء الأفعال للمجهول وحذف فاعلها "يرمى، يغار، تغزون، يعصى" على الترتيب⁴.

ومن ثم كان دعاء* الخطيب على رعيته في قوله: "فقبحا لكم وترحا" غرضه الاستتكار، بما أن الدعاء أسلوب إنشائي طلبي ليس له صيغ قياسية، فهو طلب حصول أمر محبوب أو مكروه قد يتم بأية جملة تؤدي المقصود، وقد يخرج عن هذا المعنى الأصلي فتتعدد أغراضه البلاغية تبعا لتباين السياقات التي يرد فيها⁵.

¹- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص90.

²- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص125.

³- صبحي عمر شو ، أسلوب الشرط والقسم من خلال القرآن الكريم ، ص96.

⁴- أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص163.

*- يرى بعض البلاغيين أن "الدعاء" غرض بلاغي من أغراض أسلوب الأمر، بما انه (الدعاء) طلب على سبيل الاستغاثة والعون والتضرع والعمو والرحمة وما أشبه ذلك، يكون بكل صيغة للأمر يخاطب بها الأدنى من هو أعلى منه منزلة وشأنا(عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص73).

⁵- إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص101 ؛ أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، هامش ص70.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وإذا علمنا أن الإطناب - عند بعضهم - أرجح من الإيجاز، لما فيه من إفصاح وإبانة وتأكيد، فإن المنطق إنما هو البيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع والشفاء، والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشد إحاطة بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء¹، وبالتالي يكون الاستقصاء في كلام الخطيب قد بلغ مداه بما أنه استقصاء جنح إلى استدلال منطقي من جهة، وإلى إطناب بلاغي من جهة أخرى، فقد أطنب الخطيب معترضا في موقفه هذا حين قال: "عجبا- والله - يميت القلب ويجلب الهم"، لأن إطناب الاعتراض هو أن يؤتى في أثناء الكلام، أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لفائدة غير دفع الإبهام وإنما لغرض يقصد إليه المتكلم²، وكما سبق بيانه أن غرض الخطيب من القسم وقد ورد جملة اعتراضية هو تأكيده على فداحة جرم رعيته. أما الإطناب في قوله: "عجبا (...)" من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقهم عن حاكم (...). حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون" فقد ورد بالإيضاح بعد الإبهام لتقرير المعنى في ذهن السامع بذكره مرتين، مرة على سبيل الإبهام والإجمال (عجبا...حقكم)، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح (حين صرتم...ترضون)³. وأما قوله: "فقبحا لكم وترحا، حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون" فقد ضم الإطناب تذييلا، وهو تذييل جرى مجرى المثل بتعقيب الجملة الاسمية (حين صرتم غرضا يرمى) بجملة فعلية تشتمل على معناها (يغار عليكم...ترضون) للتوكيد والبيان، مع أن كل جملة مستقلة بمعناها، لا يتوقف فهمها على فهم ما قبلها⁴، وبالتالي كان كمال الاتصال الدلالي - التوكيد والبيان- بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية التي تلتها موجبا للفصل بينها، وإن كان الفصل قد تم أيضا حتى لا تأخذ الجملة الفعلية المتعاقبة الحكم الإعرابي للجملة الفعلية الواقعة صفة لخبر "صار"، بما أنها جمل تم الوصل فيما بينها بموجب إشراكها في الحكم الإعرابي⁵، وهو ذات السبب الذي تم من خلاله الوصل بين الجملتين الفعليتين (يميت القلب، ويجلب الهم).

¹ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص206.

² - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني،البيان،البديع - ، ص187،188.

³ - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص176،177.

⁴ - نفسه ، ص180،179.

⁵ - نفسه ، ص145،146،148.

الفصل الثالث — بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

وعليه، فإن الإطناب البلاغي بناء على ما استدعاه من اعتراض وإيضاح وبيان وتوكيد قد ميز البنية النصية - بعامة - بانسجام وحداتها التركيبية واتساق معانيها السياقية من خلال تراكيب نحوية تم الوصل فيما بينها حيناً والفصل حيناً آخر، فأدى ذلك إضافة إلى النظر في الموافقات بين التراكيب النحوية بمقتضى الحال، إلى إيراد الكلام متضمناً لخصوصيات تداولية حققت مقاصد الخطيب في مقامه هذا، وضمنت تناسق الخطاب وترابط بنياته اللغوية وتفاعلها عبر العصور¹.

و زيادة على ذلك، فإن التصوير البياني الذي احتوته البنية النصية قد ميزها باتساق دلالي عمل على إخراج المعنى وبيان المقصود بشكل فني، حيث كان لقول الخطيب: "يميت القلب، ويجلب الهم" على وجه المجاز لا على وجه الحقيقة، أثر في بلاغة المعنى، علماً أن المجاز "مجاز مرسل مفرد" يجيء في اللفظ المفرد باستعمال الكلمة لغير ما وضعت له أصلاً لعلاقة - غير المشابهة - مع قرينة تمنع من إيراد المعنى الأصلي²، وسمي مرسلًا إما لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة، أو لأن له علاقات شتى³، وإذا كانت العلاقة هي الأمر الذي يقع به الارتباط بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، فيصح بذلك الانتقال من الأول إلى الثاني، فإن القرينة هي الأمر الذي يصرف الذهن عن المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي⁴، وتكون إما عقلية، أو مقامية، أو مقالية (لفظية/معنوية)⁵، لذلك كان التركيب الفعلي مجازاً مرسلًا مفرداً بما أن الخطيب استعمل المفردتين (يميت) و(يجلب) لغير المعنى الذي وضعنا له أصلاً⁶، فهو لا يقصد بالفعل "يميت" حدث الموت حقيقة، ولا بالفعل "يجلب" "يجلب" حدث المجيء بشيء من موضع إلى آخر، وذلك لقرينة مانعة هي أن الموت لا يصيب القلب، وإنما توقف القلب عن الخفقان هو ما يسبب موت الإنسان (قرينة عقلية)، وأن الهم بما أنه كمد وحزن كامن في النفس⁷، فهو يثار ولا يجلب (قرينة مقالية معنوية)، فكان

¹ - شكري المبخوت، الاستدلال البلاغي، ص 130.

² - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص 231، 233.

³ - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع -، ص 337.

⁴ - نفسه، ص 350.

⁵ - خديجة محمد الصافي، أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية وتوجيهها في السياق، ص 37، 38.

⁶ - المنجد في اللغة والأعلام، 1 / 95، 778.

⁷ - نفسه، 1 / 872.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

تقييد حدث الموت بالإنسان (الكائن الحي)، وتقييد دال الفعل (يجلب) بالمدلول المعجمي(نقل شيء من موضع إلى موضع) علاقة صح بها الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، وما عمد الخطيب في كلامه إلى الجزء (القلب) دون الكل (الإنسان)، وإلى الأثر(الهم) دون المؤثر(المصائب)، إلا ليصرف الذهن عن المعنى الحقيقي نهائياً مع المبالغة في المعنى المجازي الذي صور من خلاله هول الخطب الذي هو فيه.

ضف إلى ذلك، أن التركيب الفعلي وإن كان خبراً (أسلوباً خبرياً) في أصل وضعه فإنه في هذا المقام استعمل في إنشاء التحسر والأسى على حال المسلمين، والقرينة على ذلك تتمة الكلام (قرينة مقالية بعدية) بقول الخطيب: "من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم".

و أيضاً التركيب الاسمي (صرتم غرضاً يرمى...ترضون) أصل وضعه هو أسلوب خبري، إلا أنه في هذا الموقف استعمل في إنشاء الذم والتوبيخ، فالخطيب يذم من لا يحركون ساكناً بعودهم متقاعسين غير مبالين رغم ما حل بهم، موبخاً إياهم على تضييعهم حقهم بتقريبهم في الجهاد، فلعل ذلك يشدذ همهم ويحفظ لهم ماء الوجه وعزة النفس بإثارة ما بقي فيهم من نخوة وحمية، والقرينة على ذلك قرينتان، إحداها مقامية (مقام الخطاب) والأخرى مقالية (تشبيهه + طباق)، فأما الأولى فالخطيب لم يرد بكلامه فائدة الخبر بما أن المتلقين أعلم منه بحالهم، ولا لازم الفائدة بما أن الحالة التي هم عليها لا تخفى على أحد، فكيف تخفى عليه وهو خليفتهم، وأما الثانية فقول الخطيب: "صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون"، حيث نقل التركيب معنى في صورة جعل أهل العراق (مشبه) من خلالها بمنزلة الهدف، يرميهم الرماة وهم نصب لا يدفعون البلاء عن أنفسهم، مع العلم أن "الغرض" (مشبه به) على وجه الحقيقة هو ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها (وجه شبه 1) من دون أن يحرك ساكناً (وجه شبه 2)¹، وفي ذلك خروج من مجرد التشبيه (تمثيل مؤكد)²، إلى ذم صريح، إضافة إلى أن طباق السلب بناء على تقييد التركيب بالنفي

¹ - السابق ، 1 / 548 ؛ الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ج 1 ، هامش ص46.

² - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص234،237.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

(يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون) قد أحال إلى حقل دلالي ضدي ضم صفات الجرأة والإقدام في مقابل الخنوع والخضوع¹، وليس ذلك إلا توبيخا جليا أراد من خلاله الخطيب إثارة حمية من لم يحفظوا ماء الوجه وعزة النفس، بناء على أنه لم يقصد من جرائه بيان بسالة العدو وشجاعته.

و في هذه الحالة لا بد من الإشارة إلى أنّ كلا التركيبين الفعلي (يميت...الهم) والاسمي (صرتم غرضا...ترضون) يضم صورة بيانية تصنف ضمن المجاز المرسل المركب، بما أن المجاز المرسل المركب هو استعمال التركيب في غير ما وضع له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، وهو مجاز يقع في المركبات الخبرية المستعملة في الإنشاء لأغراض كثيرة، ويقع أيضا في المركبات الإنشائية كالأمر والنهي والاستفهام التي خرجت عن معانيها الأصلية واستعملت في معان أخرى².

إذا، يترتب على ذلك أن تكون صيغة النداء (يا عجبا)، وأسلوب الدعاء (فقبحا لكم وترحا) في البنية المنطقية مجازا مرسلا مركبا بما أنها مركبات إنشائية خرجت عن معانيها الأصلية، حيث أفادت صيغة النداء التعجب، وقرينة ذلك المنادى (عجبا ← قرينة مقالية لفظية)، أما الدعاء فقد كان غرضه الاستنكار، بناء على قرينة مقالية قبلية (اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم)، فالخطيب لم يدع على وجه الحقيقة، وإنما دعا مستنكرا تفرق رعيته عن الحق ورضاهم بالباطل، على أنّ ما زاد الاستنكار شرعية هو مدلول المقابلة بين الوحدات اللغوية (اجتماع - باطل/ تفرق - حق)³، حيث أحال وبشكل واضح إلى ما أصاب الأمة الإسلامية من فرقة وشقاق.

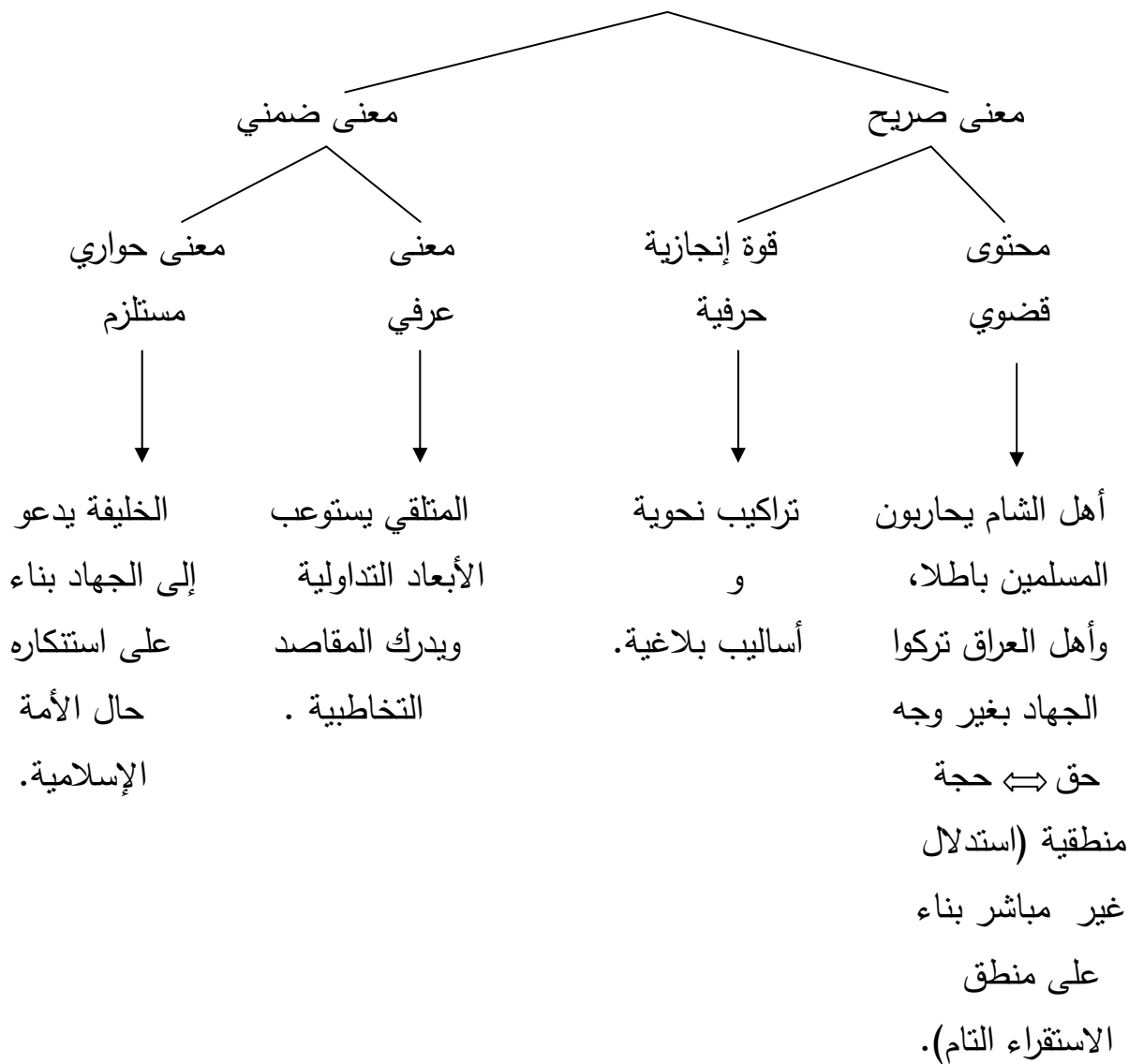
بناء على ما قيل ، يمكن تلخيص التوجيه التداولي للبنية المنطقية حسب نظرية الاستلزام الحوارية فيما يلي:

¹ - عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص494،498.

² - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني، والبيان، والبديع ، ص274.

³ - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص291.

دلالة البنية المنطقية



- المخطط رقم 30 -

أمّا توجيه القوة الإنجازية الحرفية فيكون حسب الآتي:

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

قوة إنجازية حرفية ← جملة فعلية (حذف المسند والسند إليه وجوبا لإنشاء النداء) ⇐
النداء بـ"يا" + منادى منصوب + توكيد لفظي + جملة اعتراضية (المسند والمسند إليه حذفاً
وجوبا لإنشاء القسم + جملة جواب القسم محذوفة وجوبا ⇐ القسم بـ"الواو" + لفظ الجلالة
اسم مجرور) + صفة ⇐ (جملة فعلية ⇐ مسند (فعل مضارع مبني للمجهول) + مسند
إليه معرف بالإضمار (نائب فاعل) + مفعول به + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" +
مسند (فعل مضارع) + مسند إليه معرف بالإضمار (فاعل) + مفعول به) + شبه جملة جار
ومجرور ⇐ (حرف جر + اسم مجرور (مضاف) + مضاف إليه + بدل مجرور + حرف جر
+ اسم مجرور (مضاف) + مضاف إليه (ضمير متصل) + حرف عطف (الواو) + اسم
معطوف (اسم مجرور) + حرف جر + اسم مجرور (مضاف) + مضاف إليه (ضمير متصل)
+ استئناف بـ"الفاء" + جملة فعلية (حذف المسند والمسند إليه وجوبا لإنشاء الدعاء) ⇐
مفعول مطلق (مضاف) + مضاف إليه (شبه جملة جار ومجرور) + حرف عطف (الواو) +
اسم معطوف (مفعول مطلق) + حال ⇐ (شبه جملة ظرفية ⇐ ظرف زمان + مضاف
إليه (جملة اسمية ⇐ مقيدة بفعل ناسخ + مسند إليه (اسم صار) معرف بالإضمار (ضمير
متصل) + مسند 1 (خبر مفرد) + صفة (جملة فعلية ⇐ مسند (فعل مضارع مبني للمجهول)
+ مسند إليه نائب فاعل) معرف بالإضمار ← فصل بلاغي ← + مسند 2 (جملة فعلية ⇐
مسند (فعل مضارع مبني للمجهول) + مسند إليه ⇐ شبه جملة جار ومجرور في محل رفع
نائب فاعل) + حال (جملة فعلية ⇐ واو الحال + حرف النفي "لا" + مسند (فعل مضارع)
+ مسند إليه (فاعل ← ضمير متصل) + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + مسند 3 (جملة
فعلية ⇐ مسند (فعل مضارع مبني للمجهول) + مسند إليه (نائب فاعل ← ضمير متصل)
+ حال (جملة فعلية ⇐ واو الحال + حرف النفي "لا" + مسند (فعل مضارع) + مسند إليه
(فاعل ← ضمير متصل) + وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + مسند 4 (جملة فعلية ⇐
مسند (فعل مضارع مبني للمجهول) + مسند إليه (نائب فاعل) + حال (جملة فعلية ⇐ واو
الحال + مسند (فعل مضارع + مسند إليه (فاعل ← ضمير متصل)).

2 - منطق الاستقراء الناقص:

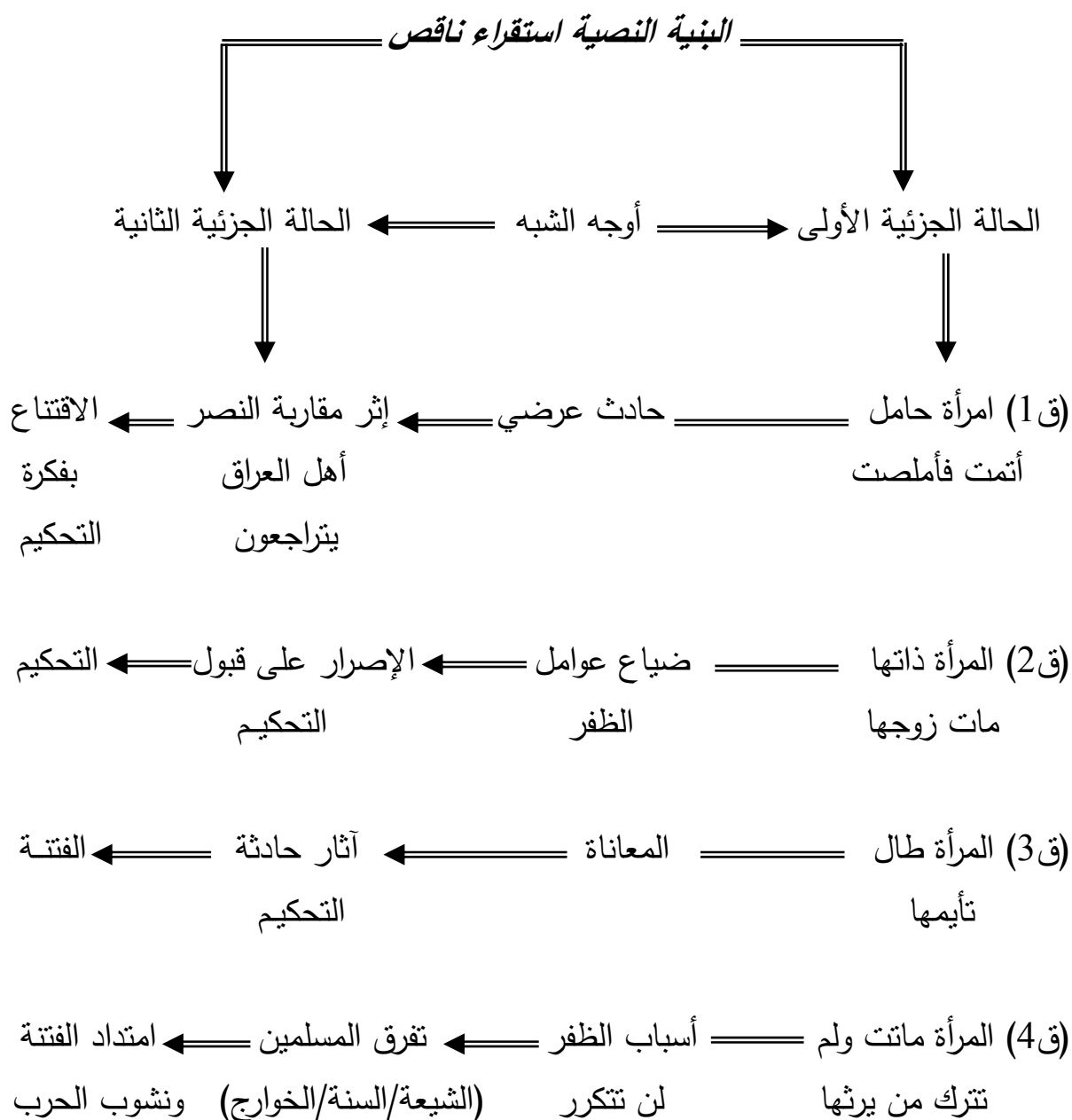
يكون الاستقراء الناقص حاضرا في خطاب "علي بن أبي طالب" - كرم الله وجهه - بناء على النماذج الخطابية المختارة من خلال نموذجين اثنين هما:

أ- **النموذج الخطابي الأول:** حيث استقى الخطيب من أحكام حالتين جزئيتين حدثتا فعلا مقدمات أسهمت في الاستدلال إلى نتيجة نسبية بناء على وجه شبه قائم بين الحالتين، والبنية النصية الآتية تحيل إلى ذلك بشكل مباشر: "يا أهل العراق! فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أملت، ومات قيمها، وطال تأيمها، و ورثها أبعدها"¹.

ولعل المناسبة المقامية لهذا النموذج الخطابي هي ما فرضت على الخطيب هذا التشبيه بالذات، حيث ألقى "علي" خطبته هذه بعد فترة من حادثة التحكيم، ذاما فيها أهل العراق، لأنهم لما شارفوا استئصال أهل الشام، وبدت لهم علامات الظفر بهم، جنحوا إلى السلم إجابة لطلاب التحكيم، وإن كان قد بين لهم أن رفع جيش معاوية المصاحف على أسنة الرماح، يريدون بذلك رد الحكم إلى الله إنما خدعة منهم، فقالوا له: "دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق بالإجابة إليه"، فردّ عليهم قائلا: "إنها كلمة حق يراد بها باطل، إنهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها، إنهم يعرفونها ولا يعملون بها، ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة، أعيروني سواعدكم وجماعكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا"، لكنهم خالفوه فيما ذهب إليه واختلفوا اختلافا شديدا في الذي يحكمونه عليهم، فوافقهم "علي" - رضي الله عنه - على "أبي موسى الأشعري" مكرها بعدما أعذر في النصيحة لهم²، ولما وقع ما كان يخشاه، وقف موقفه هذا وأقام عليهم الحجة فيما حدث لهم حسب الآتي:

¹ - الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، 74/1.

² - نفسه ، ج1، هامش ص54، 55 ؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء ، ص140.



(نتيجة) يرث المرأة أبعدهم ===== حكم ===== يرث الخلافة أبعدهم ===== استمرار
درجة في القرابة نسبي في أداء حقها الحرب

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

لقد صرح "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "أسرار البلاغة في علم البيان" بأن للتشبيه أثرا فعالا في توليد معان مختلفة ومتعددة، حيث قال: "فإن كان - التشبيه - (...).
ذما كان مسه أوجع وميسمه أذع، ووقعه أشد وحده أحد. وإن كان حجاجا كان برهانه أنور،
وسلطانه أفقر، وبيانه أبهر. (...). وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأدعى للفكر، وأبلغ في
التنبيه والزجر"¹.

وعليه وإن كان الخطيب متقدما على صاحب القول، فإنه حرص أشد الحرص على أن
يكون لخطابه ذات الأثر والتأثير، فما قام في رعيته ذاما مؤنبا إياهم على بلادتهم وقصر
نظرهم، مستدلا على ذلك، إلا ليبين لهم سداد رأيه ومبلغ ندمه على أعقاب خلفتها تبعات
المعصية من جهة، وعوامل المكر والخديعة من جهة أخرى، فما كان إلا أن ألقى خطابه
متهكما ساخرا من خلال عقد صلة بين صورتين متشابهتين، تقوم إحداها على استقرار حال
امرأة حامل لما أتمت أشهر حملها ألفت وليدها هالكا بغير دافع طبيعي كالضربة أو
السقطة، ولم يكتف الخليفة بهذا، لأن المرأة ذاتها وهي في هذه الحال مات زوجها وطال
تأيمها، فاستمر ذلها بفقدائها من يقوم عليها، حتى إذا هلكت عن غير ولد ورثها أبعدهم فرعا
في درجة القرابة²، ولعل "عليا" في كل ذلك لم يكن يشير إلى حال المرأة بقدر ما كان يشير
إلى أن ذل أهل العراق ومعاناتهم ستطول، بما أن عوامل الظفر قد لا تتكرر، وأيضا بما أن
الخيبة ستكون أوقع في النفس، إن كانت الخلافة ستؤول إلى الذي لن يرعى حقها بما أنه لم
يراع حق الله وشرعه عندما رفع المصاحف على أسنة الرماح.

وبالتالي كان لهذا التصوير البياني الذي جنح فيه الخطيب إلى انتزاع وجه الشبه من أحداث
متعددة (تشبيه تمثيل مرسل)³، أبلغ الأثر في حمل المعنى على طريق الإيجاز (إيجاز
قصر) بما أنه ضمن العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف مع الإبانة والإفصاح⁴،
وإن كان الخطيب قد أطنب في قوله: "إنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أملت"
من خلال ذكر الخاص بعد العام لغرض بلاغي هو بيان الهيئة و وصف الحال⁵.

¹ - نقلا عن: عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، ص318، 319.

² - الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، ج1، هامش ص74.

³ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص234، 237.

⁴ - نفسه ، ص 198.

⁵ - الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص178.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

على أن الوصل فيما بين العبارات القصيرة كان قائماً على أساس تناسبها في الخبرية والفعلية واشتراكها في الحكم الإعرابي¹.

و فيما عدا ذلك فإن الخطيب قد استهل خطابه بإنشاء النداء (يا أهل العراق) لغرض توجيه الدعوة إلى المخاطب وتبنيه للإصغاء²، ثم ألقى كلامه مقيداً بـ "إنما" على سبيل القصر تأكيداً منه لفائدة الخبر، فالمتلقي - وإن كان خالي الذهن لا علم له بعناصر التشبيه (غير متردد ولا منكر) - يحتاج إلى ما يدفع به التردد والإنكار إن تبادرا إلى ذهنه، بما أن الخطيب خرق مبدأ المناسبة وضمّن خطابه ما استلزم البرهنة عليه³.

و لما كانت الدلالة الاستدلالية تقوم في علم المعاني على البحث في دلالة الكلام من حيث خصائصه التركيبية في علاقتها بالخصائص التخاطبية والمقامية، على حين تقوم في علم البيان على البحث في تعامل منطوق القول وضمنياته التي يقصد إليها المتكلم في مقام من المقامات⁴، فإنها في علم البديع لا تتوقف عند الوظيفة الشكلية على سبيل الزخرفة والتميق، وإنما تتعداها إلى وظيفة تأثيرية تعمل على لفت انتباه المتلقي وشد تركيزه من خلال إعمال الفكر والنظر في المعاني بأبعادها التحسينية⁵.

و على هذا الأساس عكس كل من السجع (حملت... أتمت... أملت... قيمها... تأيمها... أبعدها)، والازدواج (حملت - أتمت - أملت / مات قيمها - طال تأيمها) ضمن البنية فكرياً مرتباً متزناً، إن لم تكن له أبعاد إقناعية على مستوى المنطق، فإن له أثراً خاصاً على مستوى الوجدان والشعور⁶.

بناءً عليه يمكن توجيه البنية المنطقية دلالياً وفق نظرية الاستلزام الحوارية حسب ما يلي:

¹ - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص 165.

² - إبراهيم عبود السامرائي ، الأساليب الإنشائية في العربية ، ص 61.

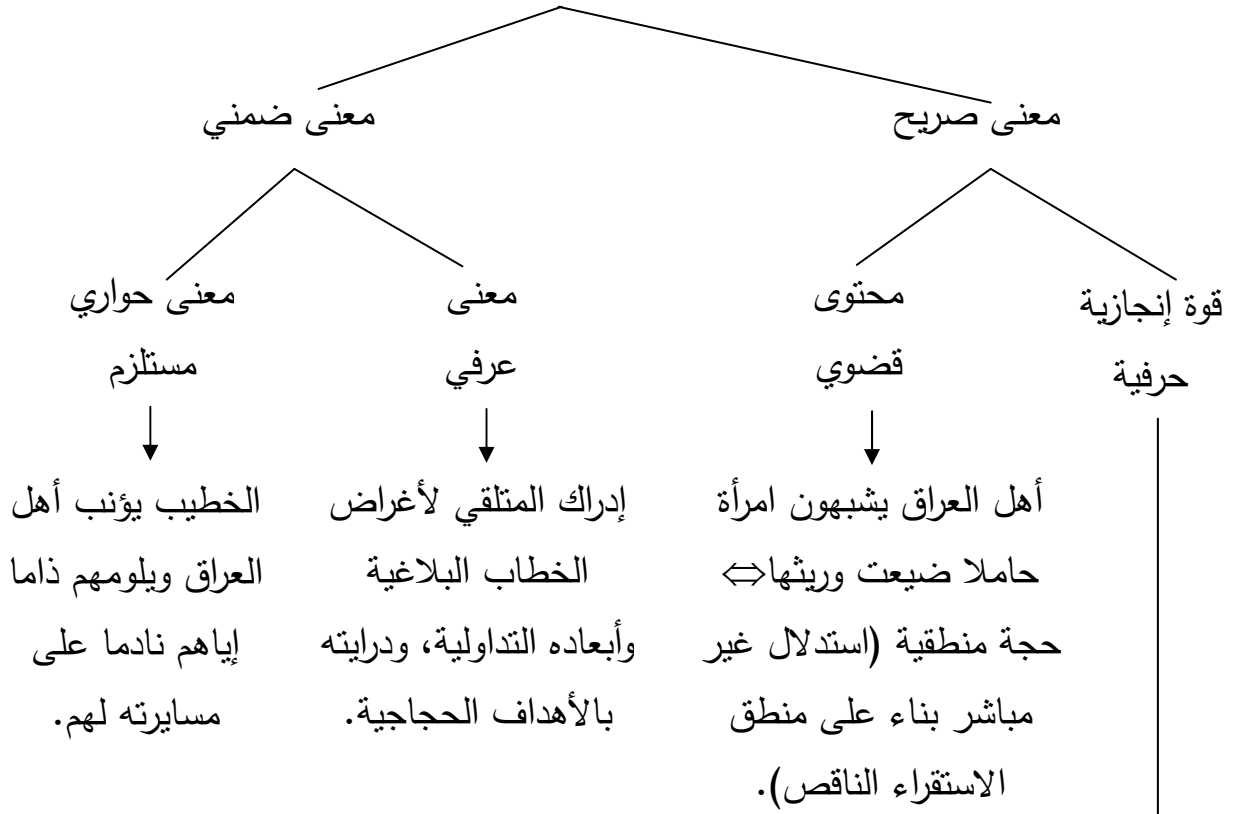
³ - أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص 60.

⁴ - شكري المبخوت ، الاستدلال البلاغي ، ص 80.

⁵ - عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 497، 498.

⁶ - ينظر: حمدي منصور جودي ، " خصائص الخطاب الحجائي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي " ، ص 69.

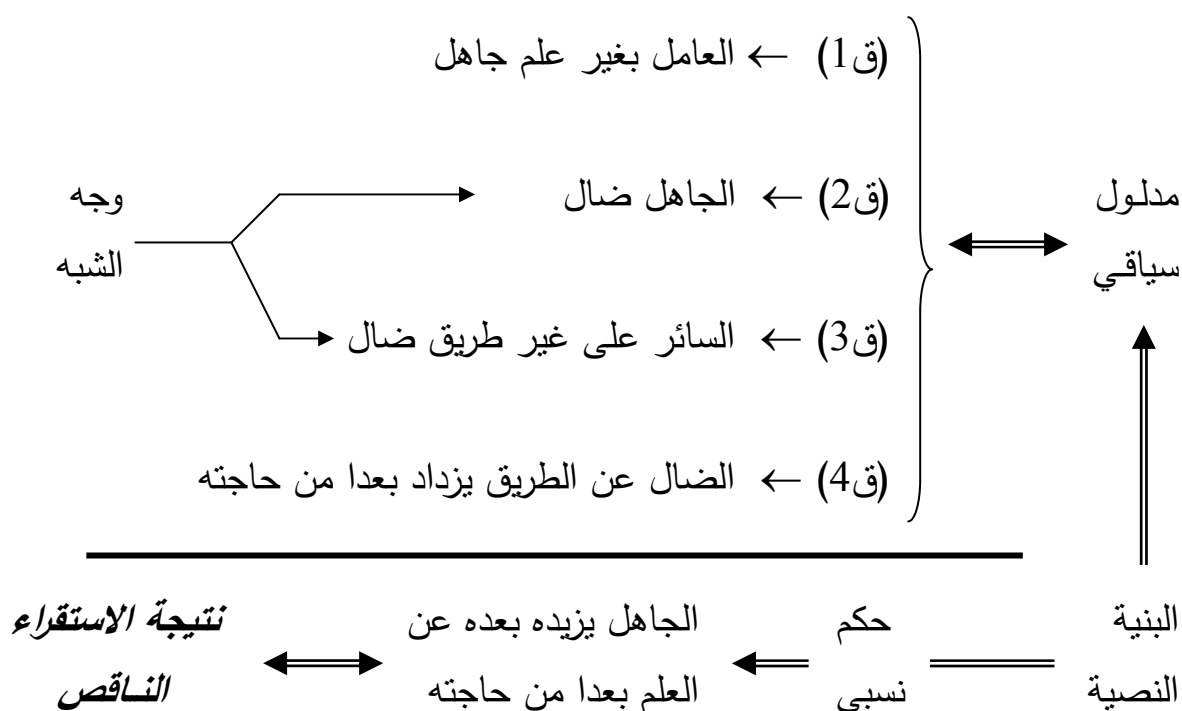
دلالة البنية المنطقية



← جملة فعلية (حذف المسند والمسند إليه وجوبا لإنشاء النداء) ⇐ النداء بـ "يا" +
 منادى منصوب (مضاف) + مضاف إليه + الابتداء بالفاء + جملة اسمية ⇐ التقييد بـ "إنما"
 (أسلوب قصر) + مسند إليه معرف بالإضمار (مبتدأ) + مسند (خبر) [شبه جملة ⇐ حرف
 جر يفيد التشبيه + اسم مجرور + صفة (قيد)] + حال (قيد) [جملة فعلية ⇐ مسند + مسند
 إليه معرف بالإضمار (ضمير مستتر) + حرف عطف "الفاء" + شبه جملة ظرفية (⇐ ظرف
 زمان + مضاف إليه (جملة فعلية ⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضمار - ضمير مستتر -)
 + جملة فعلية ⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضمار - ضمير مستتر -) + وصل بلاغي
 بحرف العطف "الواو" + جملة فعلية (⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضافة) + وصل
 بلاغي بحرف العطف "الواو" + جملة فعلية (⇐ مسند + مسند إليه معرف بالإضافة) +
 وصل بلاغي بحرف العطف "الواو" + جملة فعلية (⇐ مسند مقيد بالمفعول به (ضمير
 متصل) + مسند إليه معرف بالإضافة) .

الفصل الثالث — بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

ب- **النموذج الخطابي الثالث:** عمد فيه الخطيب إلى عقد مقارنة بين حالتين متماثلتين وذلك حين قال: "فإن العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلا بعدا من حاجته"¹، حيث توحى البنية النصية بأن إحدى الحالتين صادقة صدقا تجريبيا، فكان حمل أحكام هذه الحالة على الحالة الأخرى منطقيا بناء على ثبوت وجه شبه يجمع بينهما تم الاستدلال إليه باستقراء عوامله الواقعية (عوامل الضلال: الجهل ← غياب المعرفة، وعدم اليقين ← الشك + التردد)، ويمكن استنتاج البنية المنطقية لهذا السياق الاستدلالي بناء على ما أثبتته البنية النصية حسب الآتي:



- المخطط رقم 33 -

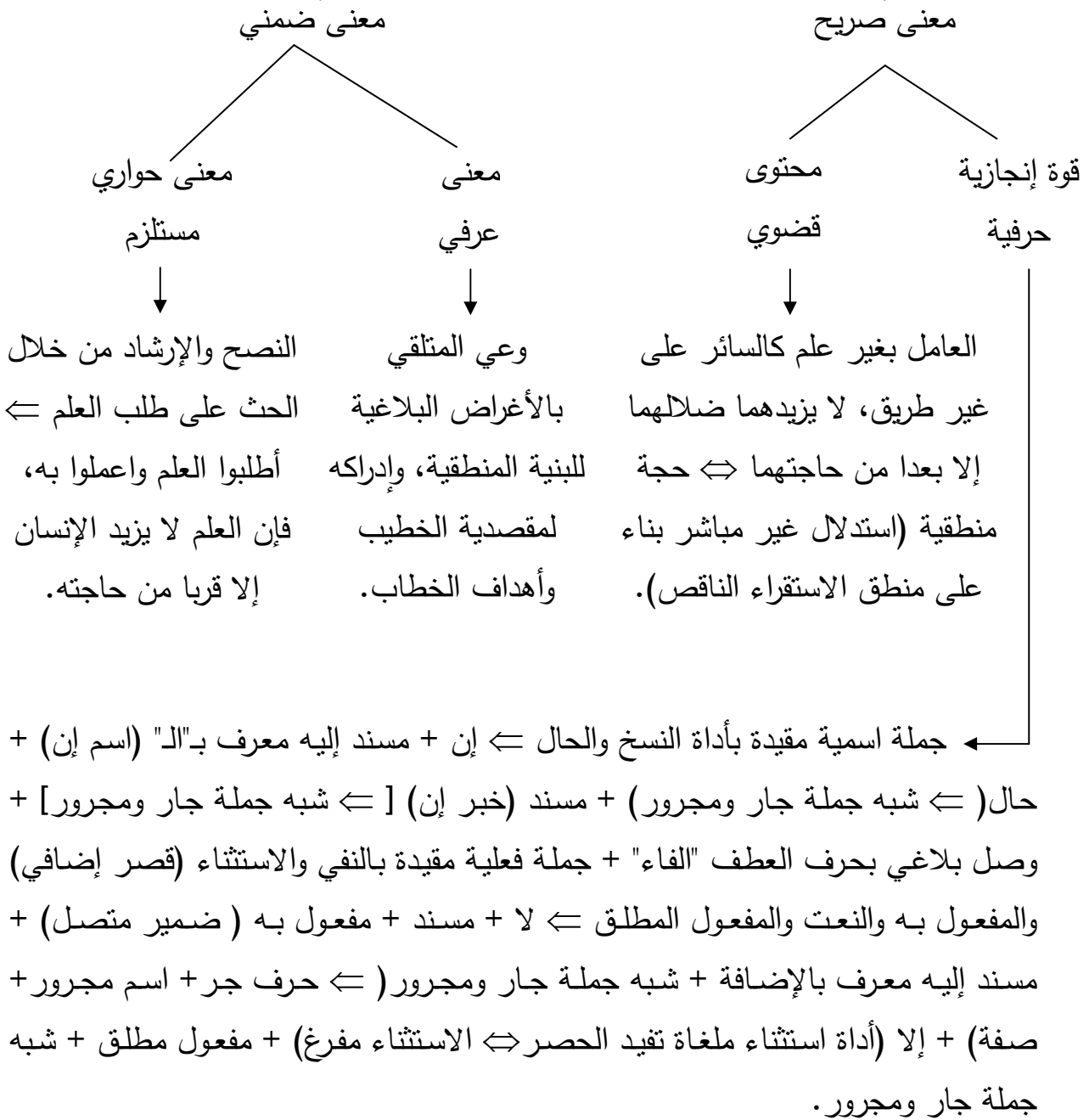
بناء عليه، وبما أن البنية المنطقية قد تم تحليلها بلاغيا على اعتبار أنها أسست لقضية أولى ضمن سياق استدلاي مباشر أدى فيه قانون نقض المحمول - مستندا إلى الحكم الذي أثبتته منطوق الاستقراء الناقص على القضية الأولى ضمن سياق استدلاي مستقل - إلى إثبات

¹ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/172.

الفصل الثالث===== بلاغة الحجة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

حكم منطقي على قضية ثانية، فإن التوجيه التداولي حسب نظرية الاستلزام الحوارية يقتضي ما يلي:

دلالة البنية المنطقية



- المخطط رقم 34 -

خاتمة

تبيّن، بعد التفصيل على طريق التأريخ والمقارنة والوصف والتحليل، أنّ البلاغة العربية في الدرس اللغوي الحديث أضحت مصطلحا إجرائيا يقتضي مفهوما حديثا تبلورت نظرياته التحليلية ، ومن ثم آلياته الإجرائية بناء على استثماره أنساقا علمية متباينة ، وكانت البلاغة بمفهومها الفني معلما إستراتيجيا عمل على اتساق هذه الأنساق فيما بينها، وبالتالي سارت القضايا البلاغية والمباحث التداولية جنبا إلى جنب في أداء الوظيفة التحليلية ، أمّا المحاور الرئيسة التي بني على أساسها موضوع البحث فإنّما تعلقت بمصطلحات محددة ترتبت عليها مفاهيم أساسية ذات صلة وثيقة بالمعالم البنائية في الدراسات التحليلية ، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- **الحجّة** دليل يقصد، أو يجب الرجوع إليه للعمل به من أجل تحصيل الغلبة على الخصم، وهي قسمان حجة منطقية تقتضي الاستدلال المباشر وغير المباشر، وأخرى خطابية تستحضر بني جاهزة متفق على حجبتها.

- **الحجاج** مصطلح وظيفي إجرائي، يستعمل في التواصل العام بمفهوم اللجوء إلى الحجة بقسميها المنطقية والخطابية، إضافة إلى توظيف الأساليب اللغوية ذات الأبعاد البلاغية أثناء عملية التخطاب، بهدف الإقناع، ومن هذا التعريف يستمد الحجاج في الدراسات اللغوية المعاصرة مفهومه الإجرائي، فهو تقنيات تضطلع بها دراسة تحليلية لمحتوى يحمل على الاقتناع بما يعرض فيه، أو الزيادة في حجم الاقتناع.

وبناء عليه يكون رسم الحدود الفاصلة بين الحجة والحجاج حسب الآتي:

• تأخذ الحجة صفة الموضوعية التي تفرض الإلزام والوجوب يقينا لا احتمالا، لأن من صفاتها الاستقامة في القصد بعيدا عن المغالطة.

• مفهوم الحجاج أشمل من مفهوم الحجة، سواء أكان ذلك في عملية البناء الوظيفي أم في عملية الدراسة والتحليل، فقد يلجأ الحجاج إلى الحجة كما قد يلجأ إلى أساليب لغوية براغماتية، وبالتالي قد يكون اللامنطق حاضرا في مساره الاستدلالي، فتأتي نتائجه بناء على ما هو مرجح وممكن ومحتمل؛ لأن هدفه ليس الصدق الدقيق ولا البرهنة القاطعة، وإنما الإقناع وإن كان عن طريق المغالطة.

- **الخطاب الحجاجي** نمط يعنى بتوظيف مفاهيم كل من الحجة والحجاج، بناء على أسس بنائية ثابتة تفرض خصائص فنية مميزة، علما أن مفهوم الخطاب يقتضي تضافر معايير نصية، وأخرى تنظيمية في بناء النصوص، ومن ثم في تشكيل وحدات تواصلية متماسكة تسهم في إنتاج أنماط متعددة من الخطابات.

- **الخطابة** بمعالمها النظرية تجسد مفهوما وظيفيا حديثا، يقتضيه مصطلح الخطاب من جهة، ويحدده نمط خاص من جهة أخرى، وذلك أنها فن أدبي نثري يوظف الحجة سواء أكانت منطقية أم خطابية خلال مرحلة محددة من مراحل بنائه، إضافة إلى استغلاله الأساليب اللغوية ذات الأبعاد البلاغية أثناء عملية التواصل بهدف التأثير، فالإقناع.

- إذا كان **الخطاب الحجاجي** يؤسس لخطبة ما، فإن تنظيم الأفكار والأدلة يخضع لترتيب خاص، إذ يؤتى أولا بما يسمى **بالمقدمة** وهي بمثابة تمهيد للموضوع، ثم **العرض** وفيه يتم التعريف بالموضوع وتوضيح أفكاره وشرحها، يلي ذلك **تدليل** يتم من خلاله طرح الأدلة التي تعضد أفكار الموضوع الرئيسية، وأخيرا **الخاتمة** وفيها يتم تلخيص الموضوع، والتذكير بأهم أفكاره.

و بالتالي، تكون الخطابة خطابا حجاجيا يمكن وصفه وفق آليات إجرائية تداولية تقتضي ظواهر فنية ذات أغراض بلاغية، في مستوى تواصلية يتخذ من الأدلة على اختلافها وتنوعها سبيلا له في تحقيق أهداف الخطاب ذاته، و بما أن خطاب الخلفاء الراشدين قد لجأ إلى الحجة المنطقية المباشرة في مواقف مقامية متعددة ومختلفة - وتبعاً لهذه المواقف - كان لقواعد التقابل وقوانين العكس والنقض ضمن سياقها الوظيفي أبعاد تداولية أحالت إليها

تراكيب لغوية وأبنية نصية ذات أغراض بلاغية اقتضتها حيثيات المقام وملابسات الخطاب ، فاقتضى الاستدلال بقواعد التقابل بناء على توجيه البنى النصية توجيهها دلاليًا حسب نظرية الاستلزام الحواري - وإن ظل مبدأ التعاون قائمًا في كثير من المواقف - معاني صريحة حققها تعليق الوحدات اللغوية بعضها ببعض وفق قواعد نحوية وأساليب بلاغية، ومعاني ضمنية تواضع عليها أصحاب اللغة الواحدة، واستلزمها تواصل مباشر من خلال خطابات حجاجية حددتها في مواقف مختلفة خطابة دينية، واجتماعية، وسياسية.

أما الاستدلال بقوانين العكس و النقض بناء على تحليل بنيتين نصيتين حسب نظرية الأفعال الكلامية - بما أن كلا من الشروط التكوينية والقياسية متحققة - فاقتضى فعلا نطقيا يؤديه مدلول تركيب نحوي ضمن سياق لغوي محدد ، وفعلا إنجازيا يؤديه المعنى الإضافي الذي يتضمنه المعنى الأصلي للتركيب النحوي ضمن السياق المقامي، وفعلا ثالثا يكون تأثيريا - وقد يكون مؤجلا - يؤديه أثر الفعل الإنجازي في المتلقي ، ومن ثمة تم تصنيف الأفعال الكلامية بناء على الأغراض البلاغية ضمن أفعال القرارات أو التوجيهات، وأفعال الإيضاح أو التأكيد.

و إذا كانت قواعد التقابل وقوانين العكس والنقض قد أسهمت في بناء السياقات الاستدلالية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين ، فإن صور القياس وأصناف الاستقراء قد عملت على بناء بنيات منطقية في الخطاب ذاته بناء استدلاليا غير مباشر، ضمن مقامات تواصلية متباينة، تم من خلالها استنتاج أبعاد تداولية أحالت إليها تراكيب لغوية وأبنية نصية ذات أغراض بلاغية اقتضتها مناسبات الخطاب وظروفه المقامية ، حيث أدى الاستدلال بصور القياس بناء على تحليل قضايا البنى النصية حسب نظرية الأفعال الكلامية إلى إدراك أفعال لفظية أدت إلى أفعال إنجازية قد تحقق أفعالا تأثيرية بناء على مدى فاعليتها في المتلقي، وكان للأغراض البلاغية أثر في توجيه الأفعال الإنجازية، حيث اقتضت الأساليب الفنية أفعالا تأكيدية توضيحية (الإثبات والإيضاح والتأكيد)، وأخرى تقريرية توجيهية (التنبيه والتذكير والتحذير والإنذار والترهيب والنهي والتوجيه)، وأفعالا ثالثة تصنف ضمن أفعال السلوك (الذم واللوم والتوبيخ والتحقير)، و تم ذلك بناء على تحقق الشروط التكوينية والقياسية.

على حين ، اقتضى الاستدلال بأصناف الاستقراء بناء على توجيه البنى النصية دلاليا حسب نظرية الاستلزام الحوارى معنيين اثنين ، أحدهما صريح حملته القوة الإنجازية الحرفية للبنى النصية إضافة إلى أبعادها الدلالية ضمن السياق اللغوى (المحتوى القضوي)، والآخر ضمنى أحال إليه اقتضاء تخاطبى تم الاتفاق عليه فيما بين مرسل ومتلق يفقهان الفرق بين استعمال اللغة استعمالا وظيفيا مباشرا ، وبين استعمالها استعمالا وضعيا تتحكم فيه الأعراف الإنسانية والثقافة الشعبية ، علما أن مبدأ التعاون وإن تم خرقه من خلال الإخلال بكل من حكم المناسبة والكم والكيف في مواقف مختلفة ، فإنه قد بقي قائما في مواقف أخرى ، و قد يحيل هذا إلى نتيجة عامة مفادها أن الخطاب الأدبى لا يوازى الخطاب العادى ، بناء على أن الأوّل يقتضى معان ضمنية وإن ظل مبدأ التعاون قائما.

ضف إلى ذلك ، نتيجة أخرى تقتضى أنّ خطاب الخلفاء دعم أغلب نتائج الاستدلال المباشر والقياس بحجج خطابية جاهزة (نصوص مقدّسة ، أقوال مأثورة ، حقائق تاريخية) ، أمّا نتائج الاستقراء فلم تستدع ذلك على اعتبار أن مرجعها واقعي .

وفي الأخير ، لا يمكن الجزم بأنّ هذا العمل قد أجاب إجابة نهائية عن الإشكالات المطروحة : ما الأسس الحجاجية التي اقتضاها خطاب الخلفاء الراشدين في إقامة الحجة ؟ وكيف عملت قواعد البناء على إرساء البنى الحجاجية في خطاب الخلفاء الراشدين ؟ وكيف أسهمت الظواهر الفنية في بلورة بلاغة الحجة في خطاباتهم ؟ ، وإن كانت دراسة النماذج الخطابية المختارة وتحليلها وفق آليات تداولية اقتضتها أساليب بلاغية في مستوى تواصلى اتخذ من الحجّة سواء أكانت منطقية أم خطابية وسيلة للتأثير والإقناع ، قد حدّدت أغلب الأسس الحجاجية ، و بيّنت معظم القواعد البنائية ، وعرضت جلّ الظواهر الفنية.

الفهارس:

1 - المصادر والمراجع

2 - المحتويات

1 - المصادر و المراجع:

أولا / المكتوبة باللغة العربية :

- القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم.

- إبراهيم (إياد عبد المجيد):

1 - في النحو العربي - دروس وتطبيقات - ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، الدار العلمية

الدولية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن، ط1، 2002 م.

- إبرير (بشير):

2 - « من لسانيات الجملة إلى علم النص » ، مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية

"التواصل" ، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، العدد14 ، جوان 2005 م.

- إدريس (سهيل) ، عبد النور (جبور):

3 - المنهل - قاموس فرنسي عربي- ، دار الآداب، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،

ط4، 1977 م.

- بلانشيه (فيايب):

4 - التداولية من أوستين إلى غوفمان ، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر

والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007 م.

- بليث (هنريش):

5 - البلاغة والأسلوبية - نحو نموذج سيميائي لتحليل النص - ، ترجمة وتعليق: محمد

العمرى ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، دار أفريقيا الشرق ، بيروت ،

لبنان ، د.ط ، 1999 م.

- بوراوي (مليكة):

6 - « بلاغة التكرار في مراثي الخنساء » ، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة محمد خيضر،

بسكرة ، الجزائر، العدد09 ، مارس 2006 م.

- بوقرة (نعمان):

7 - المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب - دراسة معجمية - ،

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أريد ، الأردن، ط1، 2009 م.

- تبرماسين (عبد الرحمن):
- 8 - « التوازنات الصوتية - التوازي، البديع، التكرار - » ، مجلة المخبر "أبحاث في اللغة والأدب الجزائري"، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 01، 2004 م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):
- 9 - البيان والتبيين ، وضع حواشيه: موفق شهاب الدين ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون ، بيروت، لبنان ، ط 1 ، 1998 م ، المجلد الأول (ج1) ، المجلد الثاني (ج3).
- الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد):
- 10 - دلائل الإعجاز في علم المعاني ، صحح أصله: محمد عبده، محمد محمود التركي الشنقيطي، علق عليه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 2001 م.
- الجرجاني (الشريف علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الحنفي):
- 11 - كتاب التعريفات ، د.تح ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط 1، 2005 م.
- جودي (حمدي منصور):
- 12 - « خصائص الخطاب الحجاجي وبنياته الإقناعية في أعمال البشير الإبراهيمي - دراسة لنماذج نصية مختارة - » ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان، إشراف: محمد خان، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة والأدب العربي، 2007/2008 م.
- الحباشة (صابر):
- 13- التداولية والحجاج - مداخل ونصوص - ، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، ط 1، 2008 م.
- الحسين بن المبارك (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي):
- 14- مختصر صحيح البخاري- التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح - شرحه ووضع حواشيه: الشيخ الشرقاوي، ابن قاسم الغزي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 2005 م.

- الحميري (عبد الواسع) :
- 15 - الخطاب والنص - المفهوم، العلاقة، السلطة - ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008 م.
- 16 - ما الخطاب وكيف نحلله ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط1، 2009 م.
- الحوفي (أحمد محمد):
- 17 - فن الخطابة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط4، 2002 م.
- الدريدي (سامية):
- 18 - الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة - بنيته وأساليبه - ، دار عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أريد، الأردن، دار جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ط، 2008 م.
- دفة (بلقاسم):
- 19 - في النحو العربي - رؤية علمية في: المنهج، الفهم، التعليم، التحليل- ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د.ط، 2003/2002 م.
- دي بوجراند (روبرت):
- 20 - النص والخطاب والإجراء ، ترجمة: تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر، ط1، 1998 م.
- الراجحي (عبد):
- 21 - التطبيق النحوي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، د.ط ، 1988 م.
- الرضي (الشريف):
- 22 - نهج البلاغة ، شرح: محمد عبده ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ط4، 2005 م ، ج1، 2، 4.

- الزّناد (الأزهر):

23 - نسيج النص - بحث في ما يكون به الملفوظ نصا- ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1991 م.

- زيدان (محمود):

24- الاستقراء والمنهج العلمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت.

- السامرائي (إبراهيم عبود):

25- الأساليب الإنشائية في العربية - النمط والاستعمال- ، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008 م.

- السامرائي (فاضل صالح):

26- معاني النحو، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ب، ط1، 2000 م ، ج 4 .

- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن):

27 - تاريخ الخلفاء ، د.تج ، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 م.

- شاكر (محمود):

28 - موسوعة الحضارات وتاريخ الأمم القديمة والحديثة ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2008 م ، ج 1 .

- الشنيطي (محمد فتحي):

29 - أسس المنطق و المنهج العلمي ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1970 م.

- الشهري(عبد الهادي بن ظافر):

30 - إستراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية - ، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، دار أوبا للطباعة والنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ط1، 2004 م.

- صالح (محمد سالم):

31 - «أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية و دور هذه النظرية في التّوصل إلى المعنى» ، <http://www.kau.edu.sa/eiles> ، 2008 م.

- الصمد (واضح):
- 32 - أدب صدر الإسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994 م .
- طاليس (أرسطو):
- 33 - الخطابة ، الترجمة العربية القديمة ، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن بدوي ، دار القلم للنشر، بيروت، لبنان، وكالة المطبوعات ، الكويت، د.ط، 1979 م .
- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):
- 34 - تاريخ الأمم والملوك ، د.تح ، دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان ، ط1 ، 2001 م ، ج 3، 2.
- الطلبة (محمد سالم محمد الأمين):
- 35 - الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر - ، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر، بيروت ، لبنان ، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع ، طرابلس ، ليبيا، ط1 ، 2008 م .
- ابن عبد ربّه الأندلسي (أبو عمر أحمد بن محمد):
- 36 - كتاب العقد الفريد ، شرحه وضبطه ورتب فهارسه: إبراهيم الأبياري، قدم له: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي للنشر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج 4 .
- عبد الرحمن (طه) :
- 37 - في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2000 م .
- 38 - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي للنشر، الدار البيضاء ، المغرب ، المركز الثقافي العربي للنشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998 م .
- عبد المجيد (جميل):
- 39 - البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر، د.ط ، 2000 م .

- عبيدي(نوار):

40 - التركيب في المثل العربي القديم - دراسة نحوية للجملة الاسمية - ، مطبعة المعارف، د.ب، ط1، 2005 م.

- عتيق (عبد العزيز) :

41 - في الأدب الإسلامي و الأموي ، دار النهضة العربية للنشر، بيروت ، لبنان ، ط1، 2001 م.

42 - في البلاغة العربية - علم المعاني، البيان، البديع - ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان، د.ط، د.ت.

- العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل سعيد بن يحيى بن مهران) :

43 - كتاب جمهرة الأمثال ، تحقيق وتعليق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، عبد المجيد قطامش ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، د.ت ، ج2 .

44 - كتاب الفروق ، تقديم وضبط وتعليق وفهرسة : أحمد سليم الحمصي ، دار جروس برس ، طرابلس ، لبنان ، ط1 ، 1994 م.

- عمر شو (صبحي):

45 - أسلوب الشرط و القسم من خلال القرآن الكريم ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2009 م.

- العمري (محمد):

46 - البلاغة الجديدة بين التخييل و التداول ، دار أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، د.ط ، 2005 م.

47 - البلاغة العربية - أصولها وامتداداتها-، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دار إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د.ط، 1999 م.

48 - في بلاغة الخطاب الإقناعي - مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية "الخطابة في القرن الأول نموذجاً"- ، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دار أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ط2، 2002 م.

- الفاخوري (حنّا):

49 - الجامع في تاريخ الأدب العربي - الأدب القديم - ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، د.ت.

- فضل (صلاح):

50 - بلاغة الخطاب و علم النص ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، مصر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2004 م.

- القزويني (الخطيب جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر):

51 - الإيضاح في علوم البلاغة ، تقديم وتبويب وشرح : علي بوملحم ، دار و مكتبة الهلال للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 2000 م.

- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي):

52 - البداية والنهاية ، د.ت.ح ، خرّج أحاديثه: محمد بيومي ، عبد الله المنشاوي ، محمد رضوان مهنا ، مكتبة الإيمان للنشر ، المنصورة ، مصر ، د.ط ، د.ت ، المجلد الثاني (ج 3) ، المجلد الثالث (ج 5 + 6).

- كراكي (محمد):

53 - بنية الجملة و دلالاتها البلاغية في الأدب الكبير لابن المقفع - دراسة تركيبية تطبيقية - ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، أريد ، الأردن ، ط1 ، 2008 م.

- المبخوت (شكري):

54 - الاستدلال البلاغي ، دار الكتاب الجديد المتحدة للنشر ، بيروت ، لبنان ، توزيع دار أويا ، طرابلس ، ليبيا ، ط2 ، 2010 م.

- محمد الصافي (خديجة):

55 - أثر المجاز في فهم الوظائف النحوية و توجيهها في السياق ، دار السلام للطباعة والنشر و التوزيع و الترجمة ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2009 م.

- محمد علي (ماهر عبد القادر) :

56 - فلسفة العلوم - المنطق الاستقرائي - ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1984 م ، ج1 .

- 57 - المنطق ومناهج البحث ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان ، د.ط ، 1985 م .
- مطرجي (محمود):
- 58 - في الصرف وتطبيقاته ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000 م .
- 59 - المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، توزيع لاروس، 1989 م .
- معروف (نايف):
- 60 - الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1998 م .
- 61 - المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق ، المكتبة الشرقية للتوزيع ، بيروت ، لبنان، طبعة المئوية الأولى ، 2008 م ، ج 1 ، 2 .
- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم):
- 62 - لسان العرب ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، ط 6 ، 1997 م ، ج 1 ، 2 ، 4 .
- ميلز (سارة):
- 63 - الخطاب ، ترجمة : يوسف بغول ، منشورات مخبر الترجمة في الأدب و اللسانيات ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر، د.ط ، 2004 م .
- نصبة (بوبكر):
- 64 - «الاتساق والانسجام في شعر إبراهيم ناجي - قصيدة "ساعة التذكار" أنموذجا-» ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان العربي، إشراف: بلقاسم دفة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الأدب العربي، 2006/2005 م .
- هازارد (هاري):
- 65 - أطلس التاريخ الإسلامي ، ترجمة وتحقيق : إبراهيم زكي خورشيد، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، مكتبة النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د.ط، 1954 م .

- الهاشمي (أحمد):

66 - جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط وتدقيق و توثيق : يوسف الصميلي ، الدار النموذجية ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2000 م.

- الواعي (توفيق):

67 - الخطابة و إعداد الخطيب ، دار اليقين للنشر و التوزيع ، المنصورة ، مصر، ط3 ، 1999 م.

ثانياً / المكتوبة بغير العربية :

- Adam (Jean Michel) :

1- Linguistique textuelle – des genres de discours aux textes , édition nathan , Paris , France , 2004.

2 - Petit dictionnaire français , Librairie Larousse , Paris , France, 1968.

3 - «Rhetoric» , <http://wikipedia.org/wiki/rhetoric>.

- Robrieux (Jean-Jacques) :

4 - Rhétorique et argumentation , édition nathan , Paris , France , R2, 2000.

2- المحتويات :

مقدمة	(أ - د)
الفصل الأول: المفاهيم الأولى و المعالم النظرية للمصطلحات البنائية (9 - 47)	
أولاً / الحجّة والحجاج	9
I- الحجّة	9
1- مفهوم الحجّة لغة واصطلاحاً	9
2- أقسام الحجّة	12
II- الحجاج	16
1- مفهوم الحجاج وملامحه	16
2- الفرق بين الحجاج والحجّة	19
ثانياً / الخطاب الحجاجي	21
I- مفهوم الخطاب وأنماطه	21
1- مفهوم الخطاب لغة واصطلاحاً	21
2- الفرق بين الخطاب والنص	25
3- أنماط الخطاب	29
II- أسس الخطاب الحجاجي وخصائصه	31
1- أسس الخطاب الحجاجي	31
2- خصائص الخطاب الحجاجي	33
ثالثاً / فنّ الخطابة	36
I- مفهوم الخطابة ونشأتها	36
1- مفهوم الخطابة لغة واصطلاحاً	36
2- نشأة الخطابة وتطورها	38
II- هيكل الخطابة وأنواعها	40
1- هيكل الخطابة	40
2- أنواع الخطابة	42
III- أغراض خطابة الخلفاء الراشدين وخصائصها	44

الفصل الثاني: بلاغة الحجّة المنطقية المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

(49 - 101)

- أولاً / بلاغة الاستدلال بالتقابل من خلال الاستلزام الحواري 49
- تمهيد (التعريف بالتقابل) 49
- I - منطق التداخل وأبعاده التداولية في خطاب أبي بكر الصديق (النموذج الخطابي الأول) 52
- II - منطق التناقض وأبعاده التداولية في خطاب عمر بن الخطاب (النموذج الخطابي الأول) 58
- III - منطق الدخول تحت التضاد وأبعاده التداولية في خطاب عثمان بن عفان (النموذج الخطابي الأول) 63
- IV - منطق التضاد وأبعاده التداولية في خطاب علي بن أبي طالب (النموذجان الخطابين الأول والثاني) 71
- ثانياً / بلاغة الاستدلال بالعكس والنقض من خلال أفعال الكلام 87
- تمهيد (التعريف بالعكس والنقض) 87
- I - منطق العكس المستوي وأبعاده التداولية في خطاب أبي بكر الصديق (النموذج الخطابي الثاني) 88
- II - منطق نقض المحمول وأبعاده التداولية في خطاب علي بن أبي طالب (النموذج الخطابي الثالث) 95

الفصل الثالث: بلاغة الحجّة المنطقية غير المباشرة في خطاب الخلفاء الراشدين

(103 - 166)

- أولاً / بلاغة الاستدلال بالقياس من خلال أفعال الكلام 103
- تمهيد (التعريف بالقياس) 103
- I - منطق القياس الحملي وأبعاده التداولية في خطاب أبي بكر الصديق (النموذج الخطابي الأول) 104
- II - منطق القياس المضمّر وأبعاده التداولية في خطاب عمر بن الخطاب (النموذج الخطابي الأول) 111

117	III- منطق القياس الشرطي وأبعاده التداولية في خطاب علي بن أبي طالب (النموذج الخطابي الثاني)
126	ثانياً / بلاغة الاستدلال بالاستقراء من خلال الاستلزام الحوارية
126	تمهيد (التعريف بالاستقراء)
127	I- منطق الاستقراء التام وأبعاده التداولية في خطاب أبي بكر الصديق (النموذج الخطابي الثالث)
135	II- منطق الاستقراء الناقص وأبعاده التداولية
135	1- في خطاب عمر بن الخطاب (النموذج الخطابي الثاني)
142	2- في خطاب عثمان بن عفان (النموذج الخطابي الثاني)
150	III- منطق الاستقراء وأبعاده التداولية في خطاب علي بن أبي طالب
150	1- منطق الاستقراء التام (النموذج الخطابي الثاني)
160	2- منطق الاستقراء الناقص (النموذجان الخطابين الأول والثالث)
	خاتمة..... (170 - 167)
	الفهارس..... (184 - 172)
172	1 - المصادر والمراجع
181	2 - فهرس المحتويات
	ملحق..... (192-186)
186	النماذج الخطابية المختارة
186	أ- نماذج أبي بكر الصديق
186	- النموذج الخطابي الأول
187	- النموذج الخطابي الثاني
188	- النموذج الخطابي الثالث
188	ب- نماذج عمر بن الخطاب
188	- النموذج الخطابي الأول
188	- النموذج الخطابي الثاني

190	ج- نماذج عثمان بن عفان
190	- النّموذج الخطابي الأول
190	- النّموذج الخطابي الثاني
191	د- نماذج علي بن أبي طالب
191	- النّموذج الخطابي الأول
191	- النّموذج الخطابي الثاني
192	- النّموذج الخطابي الثالث

ملحق

النماذج الخطابية المختارة

أ- نماذج أبي بكر الصديق:

- النموذج الخطابي الأول: " الحمد لله أحمدته وأستعينه وأستغفره وأؤمن به وأتوكل عليه، وأستهدي الله بالهدى، وأعوذ به من الضلال والردى، ومن الشك والعمى. من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون، إلى الناس كافة رحمة لهم وحجة عليهم، والناس حينئذ على شر حال، وفي ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة، ودعوتهم فرية، فأعز الله الدين بمحمد - صلى الله عليه وسلم -، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، فأطيعوا الله ورسوله، فإنه قال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾¹.

أما بعد، أيها الناس، إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم، فإنه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يهلك. وإياكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب، والى التراب يعود، هو اليوم حي وغدا ميت. فاعملوا وعدوا أنفسكم في الموتى، وما أشكل عليكم فردوا علمه إلى الله، وقدموا لأنفسكم خيرا تجدوه محضرا، فإنه قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾². فانتقوا الله عباد الله، وراقبوه واعتبروا بمن مضى قبلكم،

¹ - النساء / 80.

² - آل عمران / 30.

واعلموا أنه لا بد من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله إنه غفور رحيم. فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك، وزكنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرة، وأوردنا حوضه. اللهم أعنا على طاعتك، وانصرنا على عدوك¹.

- **النموذج الخطابي الثاني:** " قام (...) فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه، فأريدوا الله بأعمالكم، فإنما أخلصتم الله من الأعمال فطاعة أتيتموها وضرائب أديتموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى فانية لحين فقركم وحاجتكم، اعتبروا عباد الله بمن مات منكم، وتفكروا فيمن كان قبلكم، أين كانوا أمس؟ وأين هم اليوم؟ أين الجبارون الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب؟ قد تضعض بهم الدهر، وصاروا رميما، قد نزلت عليهم القالات، الخبيثات للخبيثين، والخبيثون للخبيثات، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم، وصاروا كل شيء، إلا أن الله عز وجل قد أبقى عليهم التبعات، وقطع عنهم الشهوات، ومضوا والأعمال أعمالهم، والدنيا دنيا غيرهم، وبعثنا خلفا بعدهم، فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا، وإن انحدرنا كنا مثلهم، أين الوضاعة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم؟ صاروا ترابا، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط، وجعلوا فيها الأعاجيب؟ قد تركوها لمن خلفهم، فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور. ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ

لَهُمْ رِكْرًا ۗ ﴾²، أين من تعرفون من آبائكم وإخوانكم؟ قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة أو للسعادة بعد الموت، ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا، ولا يصرف به عنه سوءا إلا بطاعته واتباع أمره، واعلموا أنكم عبيد مذنبون، وإن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته « لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة »³.

¹ - ابن عبد ربه الأندلسي ، كتاب العقد الفريد ، 4 / 63 ، 64 .

² - مريم / 98 .

³ - ابن كثير، البداية والنهاية ، المجلد الثالث ، 6 / 696 .

- النموذج الخطابي الثالث: " أما بعد، فمن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ¹ 2.

ب- نماذج عمر بن الخطاب:

- النموذج الخطابي الأول: " يا أيها الناس، إنه أتى عليّ حين وأنا أحسب أنه من قرأ القرآن إنه إنما يريد به الله وما عنده. ألا وقد خيل إلي أن أقواما يقرؤون القرآن يريدون به ما عند الناس، ألا فأريدوا الله بقراءتكم، وأريدوه بأعمالكم، فإنما كنّا نعرفكم إذا الوحي ينزل، وإذا النبي - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرنا، فقد رفع الوحي وذهب النبي عليه السلام، فإنما أعرّفكم بما أقول لكم. ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأثبتناه عليه، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه، اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها، فإنها طلعة، وإنكم إلاّ تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية. إن هذا الحق ثقيل مرئ، وإن الباطل خفيف وبئ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة، وربّ نظرة زرعت شهوة، وشهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً " ³.

- النموذج الخطابي الثاني: " إن الله سبحانه وبحمده قد استوجب عليكم الشكر، واتخذ عليكم الحج فيما آتاكم من كرامة الآخرة والدنيا، عن غير مسألة منكم له، ولا رغبة منكم فيه إليه، فخلقكم تبارك وتعالى ولم تكونوا شيئاً لنفسه وعبادته، وكان قدراً أن يجعلكم لأهون خلقه عليه، فجعل لكم عامة خلقه، ولم يجعلكم لشيء غيره، وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، وحملكم في البر والبحر، ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون.

¹- آل عمران / 144.

²- ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد الثالث، 264/5.

³- الجاحظ، البيان والتبيين، المجلد الثاني، 88/3.

ثم جعل لكم سمعا وبصرا. ومن نعم الله عليكم نعم عم بها بني آدم، ومنها نعم اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم، وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلى امرئ خاصة إلا لو قسم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخفون في الأرض، قاهرون لأهلها، قد نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان، أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يستصفون معاشهم وكدائهم وشرح جباههم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبا، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به، قد دهمتهم جنود الله عز وجل ونزلت بساحتهم، مع رفاغة العيش، واستفاضة المال، وتتابع البعوث، وسد الثغور بإذن الله، مع العافية الجليلة العامة التي لم تكن هذه الأمة على أحسن منها مذ كان الإسلام، والله المحمود، مع الفتوح العظام في كل بلد. فما عسى أن يبلغ مع هذا شكر الشاكرين وذكر الذاكرين واجتهاد المجتهدين، مع هذه النعم التي لا يحصى عددها، ولا يقدر قدرها، ولا يستطيع أداء حقها إلا بعون الله ورحمته ولطفه! فنسأل الله الذي لا إله إلا هو الذي أبلانا هذا، أن يرزقنا العمل بطاعته، والمسارة إلى مرضاته.

واذكروا عباد الله بلاء الله عندكم، واستنموا نعمة الله عليكم وفي مجالسكم مثني وفرادي، فإن الله عز وجل قال لموسى: ﴿أَخْرِج قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ

اللَّهِ^١﴾. وقال لمحمد - صلى الله عليه وسلم - : ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ

فِي الْأَرْضِ^٢﴾ فلو كنتم إذ كنتم مستضعفين محرومين خير الدنيا على شعبة من الحق،

تؤمنون بها، وتستريحون إليها، مع المعرفة بالله ودينه، وترجون بها الخير فيما بعد الموت، لكان ذلك، ولكنكم كنتم أشد الناس معيشة، وأثبتهم بالله جهالة. فلو كان هذا الذي استشلاككم به لم يكن معه حظ في دنياكم، غير أنه ثقة لكم في آخرتكم التي إليها المعاد والمنقلب، وأنتم من جهد المعيشة على ما كنتم عليه أحرىء أن تشحوا على نصيبكم منه، وأن تظهروه على غيره، فبله ما إنه قد جمع لكم فضيلة الدنيا وكرامة الآخرة، ومن شاء أن يجمع له ذلك منكم ، فأذكركم الله الحائل بين قلوبكم إلا ما عرفتم حق الله فعملتم له، وقسرتم أنفسكم على

^١ - إبراهيم / 5.

^٢ - الأنفال / 26.

طاعته، وجمعت مع السرور بالنعمة خوفا لها ولانتقالها، ووجلا منها ومن تحويلها، فإنه لا شيء أسلب للنعمة من كفرانها، وإن الشكر أمن للغير، ونماء للنعمة، واستيجاب للزيادة، هذا لله علي من أمركم ونهيكم واجب¹.

ج- نماذج عثمان بن عفان:

- النموذج الخطابي الأول: " قال: الحمد لله، أحمدته وأستعينه، وأؤمن به، وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. أمّا بعد، فإنكم لم تعدلوا في المنطق، ولم تتصفوا في القضاء، أما قولكم: تخلع نفسك، فلا أنزع قميصا قمصنيه الله عز وجل وأكرمني به، وخصني به على غيري، ولكني أتوب وأنزع ولا أعود لشيء عابه المسلمون، فإنني والله الفقير إلى الله الخائف منه...) أما أن أتبرأ من الإمارة، فإن تصلبوني أحب إلي من أن أتبرأ من أمر الله عز وجل وخلافته. وأما قولكم: تقاتلون من قاتل دوني، فإنني لا أمر أحدا بقتالكم، فمن قاتل دوني فإنما قاتل بغير أمري، ولعمري لو كنت أريد قتالكم، لقد كنت كتبت إلى الأجناد فقادوا الجنود وبعثوا الرجال، أو لحقت ببعض أطرافي بمصر أو عراق، فالله الله في أنفسكم أبقوا عليها إن لم تبقوا عليّ، فإنكم مجتلبون بهذا الأمر - إن قتلتموني - دما"².

- النموذج الخطابي الثاني: " لكل أمة آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذه الأمة عيابون طعانون، يظهرون لكم ما تحبون، ويسرون ما تكرهون، طعام مثل النعام، يتبعون أول ناعق، لقد نعموا عليّ ما نعموه على عمر، ولكن قمعهم عمر ووقمهم. والله إنني لأقرب ناصرا وأعز نفرا. فضل فضل من مالي، فما لي لا أفعل في الفضل ما أشاء"³.

¹- الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، 574/2، 575.

²- نفسه ، 667/2 .

³- الجاحظ ، البيان والتبيين ، المجلد الأول ، 251/1 .

د- نماذج علي بن أبي طالب:

- النموذج الخطابي الأول: " أما بعد: يا أهل العراق! فإنما أنتم كالمرأة الحامل، حملت فلما أتمت أملصت، ومات قيّمها، وطال تأيّمها، وورثها أبعدها. أما والله ما أتيتكم اختياراً، ولكن جئت إليكم سوقاً، ولقد بلغني أنكم تقولون: «علي يكذب»! قاتلكم الله! فعلى من أكذب؟ أعلى الله؟ فأنا أول من آمن به؟ أم على نبيه؟ فأنا أول من صدّقه؟ كلاً والله ولكّنها لهجة غبتم عنها، ولم تكونوا من أهلها. ويلّمه كيلاً بغير ثمن، لو كان له وعاء، ولتعلمنّ نبأه بعد حين! ¹.

- النموذج الخطابي الثاني: " أما بعد: فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء، وديّث بالصغار والقماء، وضرب على قلبه بالأسداد، وأدب الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف. ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: "اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلاّ نلوا". فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنّنت عليكم الغارات، وملكت عليكم الأوطان. وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسّان بن حسّان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني: أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها، وقلبيها، وقلائدها ورعاثها، ما تمتع منه إلاّ بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرّين ما نال رجلاً منهم كلم، ولا أريق لهم دم.

فلو أن امرأ مسلماً مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما بل كان به عندي جديراً. فيا عجباً! عجباً والله يميت القلب، ويجلب الهَمّ من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم فقبحا لكم وترحاً، حين صرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون. فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر، قلتم: "هذه حمارة القيظ أمهلنا يسبّخ عنا الحرّ"، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: "هذه صبارة القرّ أمهلنا ينسلخ عنا البرد"، كل هذا فراراً من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون فأنتم

¹ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، 74/1.

والله من السيف أفر. يا أشباه الرجال ولا رجال! حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم معرفة، والله، جرت ندما، وأعقبت سدما.

قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيظا، وجرعتموني نغب التَّهمام أنفاسا، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: "إنّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب".

لله أبوهم!! وهل أحد منهم أشدّ لها مراسا وأقدم فيها مقاما مني؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أناذا قد ذرفت على السّتين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع"¹.

- النّمودج الخطابي الثالث: " (ومن خطبة له- رضي الله عنه -) وناظر قلب

اللييب به يبصر أمده، ويعرف غوره ونجده، داع دعا، وراع رعى، فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعي.

قد خاضوا بحار الفتن، وأخذوا بالبدع دون السنن، وأرز المؤمنون، ونطق الضالون المكذبون. نحن الشّعار والأصحاب، والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سمي سارقا. (...). فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمان، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رائد أهله، وليحضر عقله، وليكن من أبناء الآخرة، فإنه منها قدم، وإليها ينقلب، فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعماله عليه أم له، فإن كان له مضى فيه، وإن كان عليه وقف عنه، فإنّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطريق الواضح إلا بعدا من حاجته، والعامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح، فلينظر ناظر أسائر هو أم راجع.

واعلم أن لكل ظاهر باطنا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه، وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله: "إن الله يحب العبد ويبغض عمله، ويحب العمل ويبغض بدنه" واعلم أن لكل عمل نباتا، وكل نبات لا غنى به عن الماء، والمياه مختلفة، فما طاب سقيه، طاب غرسه، وحلت ثمرته، وما خبث سقيه، خبث غرسه، وأمرت ثمرته"².

¹ - الشريف الرضي ، نهج البلاغة ، 45/1 ، 46.

² - نفسه ، 171 / 2 ، 172.

Résumé

Intéressé par les théories linguistiques de l'étude moderne de l'argumentation dans le discours au cours des étapes spécifiques de la négociation , qui est l'étape au cours de laquelle baptise l'expéditeur d'établir l'argument et construit selon les moyens du langage , mais l'expéditeur peut dépasser ce niveau ; la construction de tout niveau l'argument au niveau de l'éloquence de l'argument , si l'orateur prétend échelons les plus élevés l'argumentation , car il a la responsabilité d'influencer le destinataire selon un discours spécifique et son premier travail de persuasion , et les bases de données et des preuves . Et la recherche sur le sujet , qui est marquée par " l'éloquence de l'argument dans un discours les califes orthodoxes - modèles d'études descriptives rhétoriques - " afin de prouver que les structures orbitales dans le discours littéraire non seulement les lois de la construction , mais aussi exigent que les phénomènes de artistique établir éloquent , mais cette preuve ne peut être atteint par le genre dans lequel ces lois représentent les phénomènes structurels et fonctionnels des fondements structurels , était le style rhétorique course de rhétorique , qui a réalisé les paramètres souhaités à partir de laquelle , parce qu'elle est fondée sur la logique de la parole et de l'imagination , et aborde l'esprit sans exclut conscience . Pour limiter l'étude à des modèles spécifiques de discours les califes orthodoxes justifiées que ces discours ainsi que délibérément les codes de la syntaxe dans la formation de leurs structures fonctionnelles, ils ne dépassent pas le niveau de la rhétorique qui l'attire sans phénomènes techniques qui contribuent à la cristallisation éloquent. Si spécifier des arguments prêts , et les structures logiques , à la fois directs et indirects , a été construit sur ce qui est contenu dans le modèle rhétorique à l'étude , la rhétorique des phénomènes a été identifié la procédure sur la base de ce qui a nécessité le contenu de structures saisis à l'avance par une analyse systématique est attribuable à chacun de mes théorie L'implication conversationnelle et les Actes locutoires.